أنيس منصور

الصابرا

الجيل الجديد في اسرائيل



الصـــــــبرا

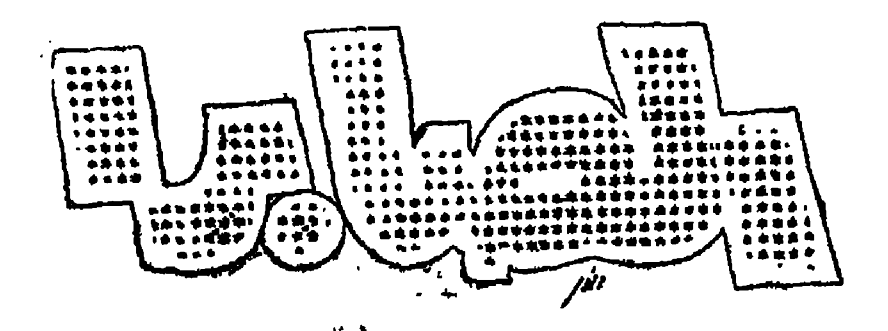
أو الجيل الجديد فى اسرائيل

الطبعة الأولى

يونيه ١٩٧٤

الناشر : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
٧ شارع نوبار ت : ٢٦٦٠٢ الاسكندرية
٢ شارع شريف ت : ٥٣١٢٧ القاهرة

أنيس منصور



الجيل الجديد فى إسرائيل

المكتب المصري الحديث

الذى عرفناه قد شرفنا ...

من القصص اليهودية ان داود حارب عملاقا اسمه جوليات .. هذا العملاق كان يرتدى زيا من الحديد يحميه من السهام والنبال . وكلما تقدم أحد لمحاربته احتمى العملاق فى ملابسه .. وتكسرت كل الاسلحة على جلـده .. او ابعـد من جلـده بقليل . وبقى العملاق يخيف كل الناس .. ولكن شابا صغيرا هو داود قرر ان ينازل هذا الوحش .. وهذا الشاب مؤمن بالله الذى لا يؤمن به الوحش .. ثـم انه يهـودى .. وهـذا الايمان يكفيه سلاحا . ثم ان هذا الشاب ذكي واكثر حيلـة ورشاقة وخفة من هذا الوحش المنيع المدرع .

انها اذن معركة بين القوة الغاشمة والذكاء والايمان ..

اما سلاح داود فلم يكن سوى مقلاع أو نبلة وعدة احجار صغيرة ناعمة ..

والتقى الاثنان .. وراح داود يدور حـول الوحش ، يمينا وشمالا .. ويتحرك امامه ، كمـا يفعـل محمـد على كلاى فى الملاكمة .. حتى تعب الوحش من الدوران حول نفسه . ولكن الشاب لم يتعب . وضاق الوحش بهذه المعركة والأصوات التى يحدثها الشاب .. واراد ان يرى وجه هذا الذى جاء يحاربه . ورفع الحديد عن وجهه . وبسرعة اطلق داود حجرا من النبلة اصابت الوحش بين عينيه واسالت دمه . وسقط على الارض .

وانقض داود عليه وأخذ سيفه الحديدى الثقيل واطاح بعنقه وانتصر داود .

ما الذى انتصر ؟

انتصرت الحيلة على القوة ٠

أو انتصر الشباب على الرجولة ٠

او انتصر الدين على الوثنية ٠

او انتصر اليهود على غيرهم من الشعوب الاخرى ٠٠

وكان من شروط النزال ان الذى يهزم الاخر ، يستعبد كل اتباعه ٠٠ وقد استعبد اليهود كل اتباع هذا العملاق !

واليهود يرون ان حربهم فى الشرق الاوسط شىء من ذلك ٠ فالعرب هم العملاق القوى الغاشم ، اليسوا مائة مليون ؟ اليسوا جهلة ؟

اما اليهود فهم هذا الشعب الشاب الذكى المؤمن المسكين الذى لا حيلة له امام هذه القوة الهائلة العربية التى ينقصها العلم !

بهذه القصة وبهذا المعنى تسللت اسرائيل الى الشرق الاوسط ٠ وآمنت بانها سوف تنتصر على العرب ٠ وفى ١٩٤٨ انتصرت على العرب ٠ وفى ١٩٥٦ حاولت مرة اخرى مع انجلترا وفرنسا ٠ وفى ١٩٦٧ تحقق لها ذلك ٠٠ واحس اليهود ان داود قد انتصر فى النهاية ٠ وان الاحجار الناعمة التى أسقطها داود على العرب كانت الطائرات الامريكية التى اصابت الوحش فى رأسه فلم يعد قادرا على التفكير ، وفى عينه فلم يعد قادرا على الرؤية ٠٠ ان داود اصاب العرب كما فعل محمد على كلاى فى احدى معاركه : بالضربة القاضية الفنية ٠

فانتهت المعركة مع محمدعلى كلاى قبل ان يجلس المتفرجون!

وكذلك انتهت حرب ١٩٦٧ بسرعة خاطفة !

وقال اليهود ان الحرب انتهت ، كما انتهى الله من خلق العالم ، فى ستة أيام !

ولكن من قال ان الوحش الغاشم هم العرب ٠ من قال ان الذكاء وقف على اليهود ؟ ان اليهود يعتمدون على امريكا

ومصانع اسلحتنها الهائلة ، وليس لهم حق في اغتصاب الارض العربية : هذه هي الوحشية ، هذه هي القوة الباطشة الغاشمة .. انها اكبر قوة في العالم وفي كل العصور .. ان اسرائيل هي القزم الذى يقف على كتفي عملاق .. ولذلك فاسرائيل أطول دولة في العالم .. انها أقوى من أمريكا .. ان الملايين السته من اليهود الامريكان هم الذين يحكمون ويتحكمون في امريكا بالصوت والصورة والبورصة والارهاب .

اما الذين يملكون الحق والعدل فهم العرب .. ولكنهم في نفس الوقت ليسوا ضعافا الى هذه الدرجة .

وكان لابد للعرب ان يشربوا الهوان والذل في ١٩٦٧ وما بعدها ، ليقفوا في عناد وتعطش الى الثأر ـ بل الى النصر ـ على العدو الذى خطف منهم النصر .

بل ان المصريين لم تتح لهم فرصة واحدة ان يواجهوا عدوهم .. بل انهم قبل ان يتقدموا صدرت اليهم الاوامر بالا يفعلوا ذلك . ولم يتمكن المصريون حتى من الانسحاب . وكانت الهزيمة الساحقة لنا ، ولكل العرب !

وليس من قبيل السخرية بانفسنا ان احد الجنود عندما عاد من هزيمة ١٩٦٧ سألناه : هل رأيت اليهود ؟

قال : ولكن لم ار الا عددا من الخواجات !

كأن اليهود ليسوا خواجات من كل دول العالم .. انه لايعرف . لان صورة اليهودى كما جاءت في الاذاعة والنكت : انه رجل قصير القامة . اخنف . اصلع . مقوس الظهر يبيع كل شيء لاى احد .. بما في ذلك دينه وشرفه . فالفلوس هي التي تهم !

بهذه الصورة الكاريكاتورية دخل الحرب مئات الالوف من الجنود . دون أن يتوقعوا حربا أو سلاحا متطورا . أو أمريكيا !

هناك عبارة تقول : تكلم لعلي أراك !

هذه العبارة معناها : انك اذا تكلمت عرفت انا اى نوع من الناس انت . فكلامك يدل على صحتك ووزنك ومكانك بين الناس !

وفى الحروب : قاتلنى حتى اراك !

فلا المصريون رأوا اليهود . ولا اليهود راوا المصريين . لأن احدا منهم سنة ١٩٦٧ لم يتمكن من الآخر . وانما اليهود ضربونا من فوق ، وهربنا نحن من تحت .

طائراتهم ضربتنا باحجار داود ، وكنا فى ذلك الوقت مكشوفى الراس والصدر . فاصابونا .. وهربوا فوق السحاب ، وهربنا تحت التراب مشيا على الاقدام فى جهنم سينا الى شواطيء الهوان على قناة السويس ، وفى كل بيت وكل ارض عربية !

ولابد ان عددا من اليهود قد اندهش لهذه الهزيمة الماحقة الفاضحة فى ١٩٦٧ : كيف ينهزم هذا العدد الهائل من الناس امام هذا العدد القليل جدا من الناس ؟ كيف يخسر هذا «الكم» العربى امام هذا « الكيف » اليهودى ؟ اكثر اليهود قال : اننا نحن صفوة الشعوب .. ان الله قد اختارنا .. فلا شيء يدل على اننا شعب الله المختار الا هذا التفوق الهائل على العرب !

وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٧١ نشرت مجلة « التايم » بحثا للويس هاريس عن رأى اليهود فى العرب . وقد كشف هذا البحث :

٢٥ ٪ يكرهون العرب .

٢٣ ٪ يتضايقون اذا جلس الى جوارهم عربى ..

٢٦ ٪ يتضايقون جدا اذا اضطرتهم ظروفهم ان يعملوا مع واحد من العرب .

٦٤٪ يشعرون بالقرف اذا انتقلت الى جوارهم اسرة عربية .

٥٣٪ لايستريحون مطلقا اذا كان لأولادهم مدرس عربى .

(وانا لا انسى عندما دعانى المستشار الصحفى للسفارة الامريكية فى الهند سنة ١٩٥٩ وكان يهوديا صهيونيا ــ كما عرفت فيما بعد . وكنت قد تقدمت للسفارة الامريكية بتاشيرة دخول الى امريكا عن طريق جزر هاواى . وذهبت لتناول

الفداء فى بيته . وجلسنا معا : هووزوجته وابنه ، ولاحظت ان ابنه بين الحين والآخر يرفع السكين يريد ان يقتلنى . وكان ابواه يمنعانه برفق . او لعلهما يقدمانه لى برفق . فالمعنى الذى اراده الابوان قد بلغنى : انهم يهود يكرهون المصريين . والذى يشعر به الابوان ويكتمانه يصرخ به الابن بمنتهى الصـــدق والبراءة

وقلت للطفل : لكن لماذا ؟
فاجاب : انت مصرى !
وقلت له : وانت ؟
قال :يهودى . !
قلت : امريكى يهودى ؟
قال : يهودى . !
فقلت له : اسرائيلى ؟
قال : اسرائيلى يهودى امريكى !

وصدقته .. فهذا هو شعور كل يهودى فى العالم . انه اسرائيلى . أى يهودى أولا وأى شىء آخر بعد ذلك !)

٧٤ ٪ لايستريحون لأن يكون اولادهم اصـدقاء لاطفال من العرب ـ أى اليهود العرب ..)

٨٤ ٪ يغضبون ويثورون اذا تزوج واحـد منهـم فتـاة عربية ـ يهودية عربية طبعا ! وفى هذا البحث ايضا مثل هذه النتائج :

٥٣ ٪ يرون ان العرب كسالى .
٧٤ ٪ يرون انهم اقل ذكاء .
٦٨ ٪ يرون ان العرب يكرهونهم .
٧٥ ٪ يرون ان العرب اكثر قسوة من اليهود .
٨٠ ٪ ان العرب اقل شجاعة منهم .
٦٦ ٪ اقل وفاء بالوعد .

٦٧ ٪ ان العرب دون اليهـود فى الذكـاء وفى الصـفات الاخرى .

ولكن من هم هؤلاء اليهود فى اسرائيل ؟
اكثر يهود اسرائيل من اليهود الشرقيين ـ اى السفرديم ـ اى السود والصفر والسمر ويهود اسبانيا .
اما اليهود الذين يحكمـون اسرائيـل فهـم الغربيون ـ الاشكنازيم ـ اى الروس والبولنديون والالمان والاوروبيون والامريكيون .. هؤلاء هم الحكام‌وهم الذين اسسوا اسرائيل.. اى اليهود الرواد ..

فيهود اسرائيل ثلاثة انواع :
رواد ـ اى جاءوا اليها من بلاد كثيرة وعاشوا وماتوا فيها .
وصابرا ـ اى مواليد اسرائيل اى اليهود الجدد الذين ولدوا عـلى الارض التى اصـبحت اسرائيـل من امثـال موشى ديان واليعازر ومن هم فى مثل سنهما او اصغر من ذلك .

ثم مهاجرون جدد : أى الذين وفدوا على اسرائيـل من كل مكان فى العالم ..

واكثر اليهـود كراهيـة للعـرب هـم اليهـود الشرقيون الذين عاشوا فى الشرق ثم طردوا من البلاد العربية وعادوا الى اسرائيل . ولذلك فهم حريصون على ان يبدوا اكثر فهمـا للامور واكثر دراية بالعرب من اليهود الغربيين الحاكمين .
وهؤلاء الشرقيون محتاجون الى التباهى بالعلم والمعرفة ، لانهم محتقرون في اسرائيل . فهم محكومون فقط . ولا رأى لهم . ففى داخل اسرائيل تفرقة عنصرية شـديدة : البيض والسود .. الشرقيون والغربيون .. المهاجرون والصابرا .. والصبرا والرواد .

ومشكلة اسرائيل ان بها عددا كبيرا من شعوب العالم . وليست لهم لغة واحدة ولا مذهب سـياسى واحد ولا مذهب دينى واحد .. ولذلك يريدون صهر الشعب بالقوة . فلابد ان يتكلمـوا العبرية . امـا الاطفـال فلابد ان يوضـعوا فى المستعمرات حتى يكونوا طرازا واحدا من المواطنين الجـدد المتعصبين لاسرائيل . واكثر هؤلاء « الصابرا » من ابنـاء المستعمرات لايتكلمون لغة آبائهم . وهذه المستعمرات هى التى

تصب الشباب في قوالب حديدية من العمل والابتعاد عن مشاكل الاسرة والمدينة وكل العلاقات الانسانية بين الابوين والابناء • واملهم خلق جيل جديد عنيف •

ولكن هذه التجربة ضاعفت عقد ومشاكل الاجيال الجديدة • وقد رأينا بعد انتصار اكتوبر ١٩٧٣ عددا من الاسرى • وقد اعترفوا بحياتهم القاسية • وجاء انسحاب اليهود دليلا على انهم كرهوا الحرب وكرهوا المؤسسة العسكرية التى تدفع بالشباب الى الموت •

كما ان المستعمرات لم تكن وسيلة لخلق جيل متشابه • بل انها ادت الى تمزيق جديد لهم •• فبعض هذه المستعمرات يديرها الحزب الشيوعى اللادينى •• وبعضها يديرها الاحزاب الدينية المتعصبة •

وعندما يذهب هؤلاء الشبان الى المدن يجدون بقية اليهود يعيشون حياة عادية • بينما يعيشون فى الرمال فى انتظار الموت العربى من كل مكان •• ثم ان يهود امريكا سعداء بحياتهم • فلماذا هم وحدهم ؟

ان بن جوريون احد مؤسسى اسرائيل قد قال وكرر هذه العبارة : اسرائيل يجب الا تكون دولة شرقية • يجب ان تكون غربية فروح الشرق تدعو الى الانحلال والتراخى •• ثم ان الروح الشرقية سوف تؤدى الى تحطيم كل ما اتمناه • انني لا اريد ان يكون اليهود عربا • يجب أن يحتفظوا بكل القيم اليهودية التى بلورتها الوف السنين •

وفى حديث اجراه الصحفى العراقى اليهودى نسيم نجوان مع الكاتب اليهودى حاييم هزاز فى عدد « رأس السنة » سنة ١٩٦٧ فى صحيفة « معاريف » • قال الكاتب اليهودى : من نحن ؟ شعب واحد ؟ طبعا لا • نحن مئات الطوائف • يجب ان نأتى بالحضارة الاوروبية الى الطوائف الشرقية • شعبنا يجب الا يكون شرقيا . يجب ألا نعود بالزمن الى الوراء حيث الحضارة اليمنية او العراقية او المراكشية ؟! »

ان حرب ٦ اكتوبر لن تغير طبعا من رأى اليهود فى انهم

سادة الشعوب .. ولكن ستغير رأيهم في المصريين . وفي قدرتهم على القتال .. وانهم ليسوا القوة بلا عقل .. وان اليهود ليسوا هم الذين احتكروا العقل والذكاء والحيلة !

شيء عجيب حدث . ادى الى تمزيق السكون والجمود .. وتحطيم التماثيل التي اقامها اليهود لجنودهم وضباطهم وقادتهم .. وابنائهم ايضا ..

نحن نعرف ما حدث يوم ٦ اكتوبر وما بعد ذلك : ظهر الجندي العربي القوي القادر . وكان من نتائج قدرته ان بدد خرافة الجيش اليهودي الذي لن يهزمه جيش عربي .. واهم من هذا كله ان ارتفع رأس الجيش العربي ، وان اصبح الصف العربي حقيقة . وان الجيش العربي والبترول العربي - او التضامن العربي - يصنع المعجزات .. صنعها .. ولم يكن الجنود العرب اكثر فرحة من الجنود اليهود الذين اسعدهم الانسحاب من الارض العربية ، ومن كل الارض العربية .. فقد نجوا بارواحهم . وفي نفس الوقت هم شامتون في قوادهم الذين لقنوهم : انه لا نصر للعرب .. وانما ظهر العرب للعالم ليتكلموا فقط . ولينهزموا أمام داود .

ولكن العرب لن ينهزموا امام داود ووراءه جوليات الامريكي القوي الجبار .. فليس العرب وحدهم في هذه الدنيا .. فهناك اصدقاء كثيرون هم في نفس الوقت اعداءلامريكا وقد تعبوا من اليهود الذين لايستريحون الا اذا خربت البشرية كلها !

ولكن البشرية لن تضحي بنفسها من اجل هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا ارضا ليست لهم . واعانتهم القوة ، اكبر قوة في العالم على ذلك .. ان اليهود عندما استغلوا قرار وقف اطلاق النار تسللوا الى الضفة الغربية ، وكان ذلك عملا دينيا باهرا .. وكان عملا عسكريا فاشلا . فقد بكى احد الجنود عندما راى موشى ديان على الضفة الغربية للقناة وساله ديان : ولكن لماذا تبكي ؟

فقال الجندي : لانني ارى موسى في مصر !

ولكن موشى هذا كان فى مصر منذ ١٩٦٧ ـ اى عندما احتل سيناء ، لان هذه هى مصر ايضا • وموسى الاول عليه السلام قد خرج من مصر منذ ٣١ قرنا وموسى هذا ـ عليه اللعنة ـ قد خرج منها ايضا • وكان خروجه من مصر هو الخــروج الثانى والاخـــير • ولن يخـــرج موسى من مصر بعد ذلك ، لانه لن يدخلها !

وكان التسلل عملا عسكريا فاشلا • لان الجيش المصرى قد احاط به يستنزفه من كل مكان وفى كل وقت !
واذا كان انسحاب ١٩٦٧ هو « دنكرك » العرب ، فان عبور ١٩٧٣ هو « بيرل هاربور » اليهود ••

× × × ×

وعلى سبيل الفكاهة انقل ماجاء فى كتاب « ســدور » ـ اى « أساس الديانة اليهودية » للكاتب المصرى اليهودى هلال ابن يعقوب فارحى • يقول فارحى وهو يتحدث عن امجاد اليهود وخروجهم من مصر وضرورة عودتهم اليها • وقد نظم فارحى هذه المعانى التاريخية فى هذا الشعر الركيك :

فرعـون يومـا اقتفى اثارى
كاسد وراء قطيع ضــــارى
اذا وقف المـــاء كالاســوار
مرتعــدا من غضب كــان له
وسار العدا وراء شعب قدسه
والرب مـد نعيمـه لحرســه
كما يفتــدى مظلــة لراسـه
ثم نجــاه مـع تخلص لــه

× ×

قد قاده فى اليبس ثم ضايقا
اعــــداه وبينهم قد فـــرقا
اياهم وسط البحار اغرقـا
الناحت الصخر مســاكنا له

× ×

اذ رجع البحر لا حيل حاله
فرعون قــد غرق مع ابطالــه
فالبحــر ثقل ركــاب خيله
مــع الالــه ليس قــدرة لــه

× ×

ابطــاله مع الجيــاد فشــلوا
مثل الرصاص فى البحر نزلوا
وطالبوا الرب له قــد هللوا
وبرباب عشر غنــــوا له !

***

والكاتب فارحى يكتب عن خروج اليهود من مصر وتمزق القوات المصرية يوم ١٤ أبريل سنة ١٢٢٣ قبــل الميــلاد ٠٠ ولكنه لم يعش ليرى كيف خرج اليهود من مصر ومن كل ارض عربية ٠٠ ولم يسمع ببطولات الجنود والمدنيين ٠٠ وكيف ان رأس العربى ، جنديا ومدنيا ، يعيش فى العالم العربى ، او وراء البحار ، قد ارتفع أعلى من السواتر الترابية التى اقامهــا اليهود ٠٠ وأعلى من الفانتوم التى القت النار وخلفت الدمار فى كل مدن القناة ٠

مع السادس من اكتوبر العاشر من رمضان وعيد الغفران اليهودى ، تبدد كل شىء ٠٠ ليظهر كــل شىء عــلى حقيقتــه وبحجمه ٠٠ لاننا رأينا عدونا وعرفناه وحاربناه ٠ فعرفنــــا انفسنا ٠ والذى عرفناه قد شرفنا ٠

والذى أحسسناه فى اكتوبر رائع عميق وليس له نظير فى كل تاريخنا !

أنيس منصور

من النكبة..
إلى النكسة!

أشياء كثيرة تغيرت بعد ٥ يونيو

معك حق اذا قلبت هذه الصفحة والتى تليهـا ، لان الكلام يشير الى ذلك اليوم الرهيب ٥ يونيو ١٩٦٧ والايام التى بعده •• ولنفس الاسباب التى تعرفها • فانه يوم تمنينا أن يكون قبل أن يجيء •• والا يكون بعد أن جاء ولم يشأ أن يذهب بعيدا عن خيالنا وضميرنا وتاريخنا •

فقبل أن يجيء هذا اليوم كنا نتوقع أن يكون أقصر يوم فى التاريخ •• بعد أن نكون قد حققنا « المعجزات » •• مسحنا الارض العربية من الـذين جاءوا من كل أركان الدنيا ليكون لهم وطن • ولم نتساءل بوضوح قبـل ذلك اليوم كيف اتفقوا على كل شيء وهـم لا يعرفون بعضهم البعض ، بعضهم الابيض الروسى والاحمـر الامريكانى والاصفر اليمنى والاسـود الزنجى •• كيف تجمعوا على هذه الارض وتسللوا اليها واحدا واحدا ••

حتى اذا جاءت ساعة الصفر من ٢٥ عاما كانوا جميعا يحملون السلاح ويصوبونه الى قلب واحد • وعدو واحد ، قصة طويلة معروفة • ولم تعد هناك فائدة من البكاء على ما كان يومها أو بعدها •

ولكن الغريب جدا أننا بعد ذلك — أى بعد أن أصبح لليهود مكان معروف •• وبعد أن أصبح كل سطر يكتبونه على مرأى منا ، وكل صرخة على مسمع منا ، وكل مدفع وكل طائرة وكل باخرة ، وكل مليون دولار يجىء من أمريكا الى هذه المنطقة مرصودا عندنا ، وبعد أن عرفنا من كل ما كتبه اليهود فى القرن التاسع وقبل ذلك بتسعة عشر قرنا أخرى ، يؤكد أنهم لن يرضوا بما استولوا عليه وأن الارض ضيقة عليهم وأن أحلامهم وأهماعهم أوسع وهذه من النيل الى الفرات ومن أريحا الى خيبر شمالى المدينة المنورة بعد ذلك كله لم نفعل أى شىء ، ولم نتقارب أيدينا وعواصمنا ونتحد خططنا ونتجمع أموالنا ورجالنا — وهذه أيضا قصة أخرى طويلة معروفة ، ويجب أن نذكرها لنقول أن كل ما جرى لنا نستحقه •• وكل ما جرى لهم يستحقونه • هم عرفوا ، ونحن لم نعرف • هم اتفقوا ، ونحن — لحسن حظهم — لم نتفق على شىء •

وبعد ما حدث سنة ١٩٤٨ • جاءت سنة ١٩٥٦ • ونحن نعرف الانتصار السهل الذى حققناه •• وهذه السهولة

هى التى ألقت بنا فى اليمن • وظننا مرة أخرى أن مظاهرات ١٩٥٦ وأن توازن القوى الدولية ، قد أدى الى خروج اليهود والفرنسيين والانجليز من قناة السويس • وأضفنا خروج هذه القوى جميعا الى حسابنا ـ كيف ؟ لقد حدث أننا أضفنا ذلك الى انتصاراتنا •

وليس أسوأ فى تاريخ الشعوب من مثل هذه المغالطات ودخلت هذه المغالطة تاريخ مصر كلها ، وليس بور سعيد وحدها • ولو عدنا بالذاكرة الى هذا الوقت القريب وكان من الواجب علينا ، أن نقلب هذه الصفحة أيضا • فقد هدد الروس فى ذلك الوقت العالم بالقيام بمظاهرات عدائية ـ أى بنوع من التأييد الادبى السلبى ـ وكيف أن هذا التهديد قد جعل رجلا مثل ايزنهاور ينفخ فى دول العدوان الثلاثى ، فاذا هذه الدول تطير أمامه الى الوراء وفى غمرة الفرح والبهجة التى عمت العالم العربى من المحيط الى الخليج نسى العرب من الذى نفخ ومن أين هبت الريح •

وكان انتصارا سهلا لنا وعلينا •

وبهذه الروح وبهذه النفخة القوية ذهبنا الى اليمن عشرات الالوف من الشبان وبأسلحة جديدة نريد أن نجربها فى الجبال والوهاد التى لم يقهرها أحد فى كل التاريخ اليمنى •• وأطلقنا النار على من نعرف •• أو

على الذين لا نعرف كيف تملأ أفواههم بالذهب ومعداتهم بالطعام وأيديهم بالسلاح .. ومات عشرات الالوف .. واختلطت الدماء .. واختلط علينا الامر .. ولم نعرف كيف كانت الصخور تتحول الى قواعد لنيران غريبة وعجيبة لا تخطىء رأسا أو قلبا مصريا طاهرا .

ولا تقل لاحد كيف عدنا .. فانك لا تعرف ولا أحد يعرف كيف . وسوف يجىء اليوم الذى نعرف من الذى فعل بنا كل ذلك .

وبعد ذلك تجىء الى ما قبل ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .. وفى استطاعتك أن تجرب خيالك فى كل ما حدث .. ففيها شىء كثير من سيناريو وحوار أفلام الحرب .. فالاخبار تروح وتجىء . والاكاذيب والحيل والخدع .. وأكثر الآراء تجىء من عواصم الدول الصديقة .. اضربوا . لا تضربوا .. احترسوا .. ولا يهمكم شىء .. ان هناك حشودا على حدود سوريا .. ولم تكن هناك حشود .. اذن ماذا نفعل ؟

ويجىء الكلام بعد منتصف الليل : لاتضربوا أول الامر اياكم من الضربة الاولى .. دعوا العالم يعرف أن اليهود هم المعتدون .. هذا هو أهم موقف ايجابى فى استطاعة مصر أن تفعله .. ضموا أيديكم فى جيوبكم أمام كل عدسات الدنيا .

هـذه الصورة التاريخيـة مهمة جدا .. ويوم يراها العالم سوف يتأكد بعد مئات السنين أن الحرب وسفك الدماء والاعتداء على الابرياء من صميم التقاليد اليهودية.

آه هذه الصورة يجب أن تحتفظ بها .

واحتفظت الامم المتحدة بأربعين صورة مماثلة ـــ أى الاربعين عدوانا اسرائيليا على الارض العربية . وأدانت الامم المتحـدة اسرائيل فى عشرة منهـا ـــ فماذا كانت النتيجة ؟ بعد أن عرف العالم كله ذلك . ولا شىء !

فالعالم كله يتفرج على السـلاح الامريكى المتطور المتهور جدا يحول الحياة الى تراب فى فيتنام .. ولا شىء فالذى يملك القوة ، أو الذى يسند ظهره الى مركز قوة عالمى ، يملك القوة ، أو الذى يسند ظهره الى مركز قوة عالمى ، يستطيع أن يفعل أى شىء . فماذا فعلت فيتنام وماذا فعلت الدول التى تساند فيتنام أمام الحشـود الامريكية .. انه الأمر الواقع . ضع الدنيا أمام الأمـر الواقع ، والعالم كله يصلى من أجلك ، ظالما أو مظلوما !

صحيح أننى ما أزال بعيدا عن ٥ يونيـو سنة ١٩٦٧ كأننى أنا أيضا قد قلبت هذه الصفحة حتى لا أكتب عنه ولكنى أحاول أن أراها من بعيد ، لكى أراه أوضح ... فأنا لا أبعده عن عينى ، ولكنى أباعد بينه وبينى لكى أراه أوضح .. وربما كان سبب عدم وضوح الرؤية عندنـا

جميعا أننا ألصقنا هذا التاريخ بأعيننا أو أننا عصبنا به أعيننا فلم نعد نراه •• وانما نحسه •• أو كأننا نضعـــه عـــلى أعينـنــــا حتى لا نـــرى من خـــلاله أى شيء •• وبذلك يصيب الانســــــان نفســــــه بالعمى حتى لا يرى لا هذا اليوم ولا أى يوم آخر ــ وهذه صورة من صور الهرب التى لجأنا اليها بعد هذا اليوم الاسود فى تاريخ الامة العربية كله •

وقد جاء يوم ٥ يونيو بعد ست سنوات وللمرةالسابعة ــ ٥ يونيو من ٦ سنوات وللمرة السابعة ــ الى آخر هذا التلاعب بالارقام • أو محاولة تنسيق الالم •• أو تلحينه أو تنغيمه •• لا من أجل التخفيف عن أنفيســنا ولكن من أجل ترسيبه وتثبيته فى آذاننا ، لحنا حزينا ، ونغمـــــــا أليما ، ويجب ألا يجف لـــه دم ؛ والا يسكت له نبض •• لماذا ؟ لانه من الالم الكبير والحزن العميق تتولد كـــــل قوى التاريخ •• أن اليهود أنفسهم قد أضاءوا جروحهم وأحيوا أوجاعهم ، ألوف السنين • حتى كان لهم ماأرادوا بالصبر الطويل ، والفكر الدائم ، والمأساة الحية •

ويوم ٥ يونيو ، ليس الا قمة لايام طويلة سبقته •• هذه الايام امتلأت بالخطب الطويلة والوعود الجزيلـــة والنفخة الكذابة • والاوهام الغزيرة ، والاناشيد والالحان وكلمة من هنا •• وعشرات مثلها من هناك •• وجعلنا من

الكلمات سلاحا يدك المدن ، ومن الاغانى غارات تحرق الزرع ومن المارشات العسكرية مبيدات حشرية تقتل الانسان والحيوان •• حتى أصبحت الارض خالية تماما ما بين القاهرة وعمان ودمشق وبيروت وبغداد •• وكان دخولنا الى هذه الارض التى أخليناها نهارا • وانتهى كل شىء • انتصرنا • انتصرنا •

ففى يوم ٤ يونيو كنت فى خطوط النار •• وكانت النار حقيقية •• سلاح وشباب وحرارة وحماسة •• وايمان ثابت بأن كل شىء سوف يكون كما أردنا •• وبأن كل شىء قد أعددناه من قبل •• وليس أمامنا الا أن نتقدم بلا مقاومة •• وبعد ساعات سوف نكون هناك ، وينتهى كل شىء •• هذا هو الحل النهائى لكل هموم الامة العربية •• نهاية الحروب الصليبية ـ أو حروب الهلال والصليب ونجمة داود •• وينتصر العرب وتصبح الامه العربية من المحيط الى الخليج •• وتتكلم الارض لغة عربية ـ كما تقول الأغنية المصرية •• وتولد امبراطورية اسلامية استقرت على محيط من البترول والذهب الاسود الى ما كان يقال ، وما سوف يقال •

وكما ترى ـ اذا كنت قد وصلت الى هذه السطور من كلامى ـ ان حياتنا سهلة جدا • أو أننا جعلناها سهلة جدا وليس علينا الا أن نركب ونمضى وهناك نتمدد على

شواطىء البحر الابيض ، تلك البحيرة العربية ، وينتهى كل شيء .. أو هو انتهى بالفعل .

ولكن اليهود فى الجانب الآخر ، كانوا يرونها بصورة أخرى .. صورتهم كانت أوضح .. كان عندهم شيء كثير من الخوف . ويريدون أن يتم كل شيء بسرعة ، قبل أن تتحرك الدول الكبرى ، وقبل أن تخنقهم الدول العربية بجيوشها هنا وهناك .. وقبل أن يحدث شيء مفاجيء بكل الاذاعات تؤكد أن مفاجأة كبرى قادمة من موسكو سوف تحدث ، وسوف يتبدد كل شيء .. فليس من المعقول طبعا أن يظل العرب هكذا ، ولهم مثل هذا الصديق الكبير .. وكذلك انتظرت كل الدول الاشتراكية التى تطلعت الى موسكو .

أما اليهود فهم يضمنون فلوس أمريكا ومساندتها الادبية والمادية ــ ما فى ذلك شك . ولكنهم فى نفس الوقت يجب أن يعتمدوا على أنفسهم .

ولم تكن الحياة سهلة فى اسرائيل فى ذلك الوقت .. فالمجتمع كله يحمل السلاح . الرجال والشباب والنساء وكل موارد الدولة موجهة نحو التسليح .. واليهود بشر مثلنا يتعبون ويتعذبون ويريدون أن يلقوا السلام ليعيشوا . وقد ضاقوا بالحياة فى هذه الترسانة العسكرية

أو فى هذه الجزيرة المحاطة بالكراهية العـــربية .. فقد عاشوا ألوف السنين محاطين بكراهية كل الشعوب .

فى ذلك الوقت كانت اسرائيل بها بطالة فظيعة ، أكثر من ١٥٠ الفا من الشباب بلا عمل كمـــا أن الكثيرين بدأوا يهاجرون من اسرائيل .

كما أن الامم المتحدة ضعيفة جدا ، وهى لا تستطيع أن تتقدم اذا انتصر عليهم العرب ، أو لا تســتطيع أن تنقذ العرب اذا انتصر عليهم اليهود .

ولحسن حظ اليهود أن الرئيس جونســون أفضل من الرئيس ايزنهــاور . لان جونسون مشـــغول بالمعركة الانتخابية ١٩٦٨ ، وهو فى حاجة الى أصوات اليهـــود وأسلحتهم الدعائية .. ومعنى ذلك أن المـوقف الدولى سنة ١٩٦٧ أحسن مما كان عليه سنة ١٩٥٦ .

ومن متاعب اسرائيل أيضا أن من بـين ١٧٠٠ خريج جامعى ، هاجر ١٦٠٠ بحثا عن العمل فى البلاد الاخرى ــ أى فى أرض الشتات ــ كما يسميها اليهود .. وأكثرهم من المهندسين والاطباء . واذا استمر الحال كذلك ولمـدة عشر سنوات أخرى فلن يبقى فى اسرائيل سوى اليهـود الملونين ــ أحط أنواع اليهود فى نظر اليهود البيض .

وفى مارس سنة ١٩٦٧ ذهب عدد كبير من الشـبان العاطلين وراحوا يرجمون بلدية تل أبيب بالطوب ، لانهم

لا يجدون عملا • ولأن آملهم خاب فى « أرض الميعاد » والجنة التى اختارها الله لشعبه المختار •

والسياحة كسدت تماما •• فلا يستطيع أى يهودى أن يزور هذه البلاد التى تستعد لجولة مميتة مع البـــلاد العربية • بل أن بعض اليهــود أدرك فى ذلك الوقت أن نهاية اليهود قد دنت •• الفلوس ابتلعتها الصحراء •• والشعب ابتلعه البحر •

صحيح أن اليهود بأساليبهم الخبيثة قد حاولوا اختبار العرب قبل أن تبدأ الحرب الرادعة أو الانتقامية •• حدث ذلك فى ٤٨ و ٥٦ • وفى نوفمبر سنة ١٩٦٦ هاجمت القوات الاسرائيلية احدى القرى الاردنية • وكان الهجوم قوامه عشرين دبابة وثمانين عربة نصف جنــزير وأربعة آلاف جندى •• وهدمت ١٢٠ بيتا ومسجدا ومئــات المحلات التجارية •

وحدث نفس الشىء أيضا فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ عندما هاجم اليهود غزة واستولوا على العوجة •• وفى ســنة ١٩٤٨ هاجموا دير ياسين •

وفى مايو سنة ١٩٦٧ أعلنت اسرائيل أنها سوف تنتقم وهددت سوريا •

وفى يوم ٧ أبريل أغارت اسرائيل على سوريا •• وأعلن

رئيس الاركان الاسرائيلى أنه سوف يضرب دمشق ويسقط نظام الحكم فيها .

وكان ما كان يوم ٥ يونيو وما بعده .

ولا أحد يستطيع أن يقول لنا بالضبط ماذا حدث .. أن عشرات الكتب قد أصدرها اليهود بكل لغة .. ومئات الصور والافلام والاسطوانات ، كل ذلك أصدروه اليوم وثبتوا هذا اليوم فى الوجدان العالمى ، قبل أن يفتح العرب أفواههم بكلمة واحدة .. فهم الذين أسموا هذه الحرب : حرب الستة أيام .. أو الحرب الخاطفة .

وأعلن وقف اطلاق النار عندما وصل اليهود الى قناة السويس .

وأعجب ما حدث ـ وقد حدث ذلك فى حالات نادرة فى التاريخ ـ أن الشعب العربى قد وقف وراء قائده الجريح جمال عبد الناصر . فقد كانت مظاهرات الشعوب العربية فى كل العواصم العربية حدثا فريدا فى التاريخ .. فقد كانت حسابات الطرف الآخر كلها قائمة على أن تؤدى الهزيمة ـ ونسميها النكسة ـ الى سقوط النظام فى مصر والى اختفاء جمال عبد الناصر .. ولكن حدث العكس فقد طالبت الشعوب بأن يبقى جمال عبد الناصر فى مكانه فليس الذنب ذنبه .. ولكن هناك خيانة وخدعة استدرجنا اليها .

ويوم حاول جمال عبد الناصر أن يترك القيادة لغيره ، بكت الامة العربية اذ كيف يتخلى عنها فى لحظة محنتها .. ونسيت الامة العربية أسباب المحنة .. وأسباب الهزيمة وتمسكت بالرجل الذى أشعل أحلام الامة العربية ، وقادها وتزعمها ، وانعش روحها ، وجعلها قريبة من آمالها ، وبعد ذلك بعيدة عنها .. وبقى جمال عبد الناصر قريبـــا من قمتها .

ثم جاءت وفاة جمال عبد الناصر مفاجأة أخرى . تماما مثل مفاجآت الهزيمة .. ومفاجأة التمسك به ـ وكـل ذلك يدل على أن الامة العربية لا ترى أبعد من أنوفها . فكل شيء مفاجأة لها . وليس لها حساب طويل الاجل . ولا تنظر الى المستقبل .. ولا ترى أبعد من اليـوم أو العام .

وقد توقفت أفكارها وأسماعها وخيالها وأوهامها وأحلامها عند ٥ يونيو .. لا تريد لهذا اليوم أن يتقدم أو يتأخر . لقد تحجر هذا اليوم .. تصلب . أصبح قطعة من الحجر لا قبله أيام ولا بعده أعوام .. كأنه السد العالى راكـد من ناحية ومندفع من ناحية أخرى ليركد تماما بعد ذلك !

وكان ما كان ولا أحد قد شرح لنا شيئا مما حدث . ولا أحد يستطيع ذلك الآن .

ولكن سوف يجيء هذا اليوم ، فقد حدث ذلك فى كل

تاريخ الشعوب .. وسوف يعرف الناس من الذى فعلها !
من الذى خدع من ؟ من الذى استدرج من ؟ من الـــذى
أصدر القرار ؟ من الذى أخفى القرار ؟

ورحنا بعد النكسة نهون على أنفسنا ما حدث .. وكان
هذا التهوين نوعا من المقاومة السلبية فى داخلنا .. نوعا
من « ماسحات » الزجاج الامامى للسيارة .. ماسحات
العار والندم .. وقلنا انهزمت جيوشـــــنا ، ولم تنهزم
عزائمنا .. انسحبت الارض من تحتنا .. ولكن ما نزال
فوق سطح الارض .. وسوف نعود اليها مرة أخرى ..
وثالثة ورابعة .. وليكن ما يكون .. فأى شىء يهــون
الا الهوان .. وأى شىء يضيع منا الا أن يكون لنـــا
الضياع .. والارض أهون من العرض .

ولم يكن من الصدف أن تجىء أول خطبة لجمـــال
عبد الناصر بعد النكسة يطلب فيها الى الشعب أن يكف
عن النكت .. فقد استغرقنا فى السخرية من أنفسنا ..
وكان الجيش ضحية هـــذه النكت .. وانتهت النكت ،
ولا يزال الجيش هو الذى يحمينا ويدافع لكى نكون فى
أمان ونحن ننكت عليه أيضا !

وانقلبنا على أنفسنا نمزقها ونلومها ونلعنها .. ونقلب
فى تاريخنا القديم ونستعرض الوجوه الكاذبة علينا ...

وظهرت وجوه شامتة ووجوه حاقدة .. ووجوه لا ترى أملا فينا أو فى أحد .. وأسوأ من ذلك كله حدث .

وعلى الجانب الآخر كان العدو فى قمة غروره .. عدد قليل غلب عددا كبيرا .. انها الخبرة والعزيمة ، وليست الخطب والتهويش .. وقالوا أكثر من ذلك .. انهم منتصرون .

وبدأت لعبة شد الحبل حول قناة السويس .. متى يعودون .. متى يتراجعون .. وكيف .. وبدأنا نقول : أن الذى أخذوه بالقوة سوف نسترده بالقوة .. القوة يا عرب وتساند العرب وراء الجيوش العربية التى سوف تحمل عبء الدفاع عن بقية العرب . فالذين عندهم رجال ليست عندهم فلوس ، والذين عندهم فلوس لا رجال عندهم .. اذن لابد أن يتشابك العرب عبر البحر والخليج والقناة .

وتوقفت لعبة النار ، ودخلنا فى لعبة الكلمات المتقاطعة فى السياسة الدولية .. وذهبنا الى الامم المتحدة ... والوساطة والمبادرة .. والتصريحات والنشاط السياسى والدبلوماسى ، والهمس فى أروقة القصور والسفارات والأسلاك الباردة والساخنة .. وجاء السلاح ــ ليس كل السلاح ــ ولكن الكثير من السلاح .. وبدأت المخابرات العالمية تلعب .. وتتساقط حكومات فى افريقيا وآسيا .

ولم تفلح هذه الاجهزة الخطيرة أن تصنع شيئا من ذلك فى مصر ** وذهب الساسة وجــاء الدبلوماسيون وتوارى العسكريون وتهامس الرؤساء ** أنهم جميعا يقولون * وماأكثر ما يقال وما أبرع من يقول *

وكل يوم يمضى يؤكد أن اسرائيل لا تريد أن تتحـــرك من مكانها * وأن المطلوب بوضوح هو : أن تتحول خطوط وقف اطلاق النار ، الى حدود طبيعية ** أى تبقى حدود اسرائيل ــ مؤقتا طبعا ــ هى قناة السويس ونهر الاردن والجولان ** وبعد ذلك يتقدم العـــــرب فى هوان وذل يطالبون بتحريك الموقف ** أو على الاصح يطالبون بهز الموقف دون أن يحركوه ، أو يحركوه دون أن ينقلوه ** وتظل هذه المرجيحة السياسية عشرات السنين *

واذا كانت هذه هى السياسة ، فان الحرب استمرار لها * ومعنى ذلك أن أحدا لن يرضى عن هذا الذى قـــام على أرضنا * اذن لابد من جـــــولة رابعة وخامسة حتى يستقر كل شىء فى هذه المنطقة المشتعلة *

انتصرت اسرائيل ** لاشك فى ذلك ** ولكن ما الذى فازت به ؟

زادت الارض التى استولت عليها * وهى الآن تطلب المزيد من المهاجرين من كل أنحاء العالم * وهى تضـــغط على روسيا باسم الديون التى عليهـــــا ، والقمح الذى

تحتاج اليه ، والبترول الذى يتكشف عنه فى سيبيريا ، أن تبعث لها كل شهر ، بعشرة آلاف من المهندسين والشبان ليقفوا فى مواجهتنا على الناحية الاخرى من القنــاة .. وقد هاجر الى اسرائيل أكثر من نصــف مليون يهودى سوفيتى ــ ولا يزال اليهود الروس يجيئون الى اسرائيل كل شهر .. كما أن اسرائيل تبنى المستعمرات فى الارض التى استولت عليها .. كما أنها تحاول أن تطرد العرب من الارض التى يمتلكونها .. انها تريد دولة يهــودية مائة فى المائة .. بل أنها تريد دولة من السلالات اليهودية البيضاء .. فهى لا تريد اليهود الملونين .

انتصرت اسرائيل .. وكان انتصارها سهلا جدا .. ولكن لم تستفد من هذا النصر كل ما أرادت .. فاسرائيل تحلم « بالحل النهائى » .. ففى سنة ١٩٤٨ بعد اعــلان الدولة ، أحس اليهود أن كل شىء قد انتهى . ولــكن لم ينته أى شىء .. قامت اسرائيل عــلى المساعدات الامريكية .. أى على مساعدات اليهــود فى أمريكا .. وأعفت كل ما يصدر الى اسرائيل من الجمــارك ومن الضرائب .. وكل شىء يرد اليها من الخارج .. وليست قادرة حتى الآن على أن تكفى حاجة سكانها .

ولم يتحقق لاسرائيل الامن .. فهى ليســت على أية علاقة بجيرانها العرب .. ولن يحدث ذلك .. كما أنهــا

عضو غير معترف به فى الشرق الاوسط • وكانت تحلم بأن تبيع وتشترى وتتوسط فى كل أنواع التجارة الدولية لهذه المنطقة •

كما أن انتصاراتها لم تحقق لها الأمن الداخلى • ولا راحة المواطنين •• فالشعب كله يحمل السـلاح ، وكل أموالها موجهة لخدمة الحرب التى لم تنته •

وتخيلت اسرائيل أنها بروسيا الشرق الاوسط ••• ولكن بروسيا عندما هزمت الدنمارك والنمسا وفرنسا ، كان من أجلتوحيد الشعوب الناطقةباللغة الألمانية ــ ولكن اسرائيل لم توحد الا أعداءها ضدها •• كما أن اسرائيل ممزقة داخليا ، ففيها عشرات الاحزاب المتضاربة •• كما أن هناك أحزابا تدعو الى السلام والى أن تكف اسرائيل عن غرورها • كما أن هناك أحزابا ترى اسرائيل هى أكبر جنون صهيونى • فقد كان اليهـود فى كل دول العالم يعيشون فى أمان ورخاء دون أن يدرى بهم أحد •• أما الآن فقد تجمعت حولهم كل أحقاد وكراهية الشعوب •

ثم أن الشباب الذى عاش فى المستعمرات أى فى ثكنات عسكرية زراعية قاسية قد تعب من هذه الحياة •

كما أن اسرائيل قد ظهرت على حقيقتها لا أمام العالم ولكن أمام اليهود أنفسهم • فالتفرقة العنصرية صارخة فالاقلية الحاكمة فى اسرائيل من اليهود البيض ــ الألمان

والروس والامريكان ـ وَالاغلبية من اليهـــود الملونين الشرقيين • وقد ضاق الملونون بهذه التفرقة ولذلك يرتكبون الجرائم ويسرقون ويحرقون المحلات التجارية •• بل أن هناك يهودا متطوعين للعمل ضد اسرائيل •• بل أن هناك حاخاما أمام المحاكم الآن لانه يحاول بالمال تهريب اليهود الشرقيين الى خارج اسرائيل •• فالحياة لا تطاق •

ثم أن الحياة فى اسرائيل تجمع عددا من اليهود الغرباء على هذه الارض •• فهم يتكلمون أكثر من سبعين لغة • كما أنهم غير قادرين على أن يبدأوا من جديد •• حياة مرهقة وسوف تزداد ارهاقا لان الحرب لم تنته •• فعمر هذه الحرب أكثر من ثلاثين عاما •• ويحاول اليهود أن يملأوا القلوب باليأس فيقولون أنها حرب المائة عام •• ويحاولون بكل الطرق السياسية والمخابرات أن يجعلــوا العرب وأعوانهم يصابون بالقرف والملل مما حدث ، ومما سوف يحدث •

وأصبح الملل جوا عاما يخيم على الشرق الاوسط •• وتحت هذا الملل وفى أمواجه بدأ النـــاس يخوضون فى قضايا غريبة وعجيبة •• تعـــالت دعوات الســـلام والاستسلام •• والحوار •• والجوار •• والجلوس معا ظهرا الى ظهر •• والتنازلات •• عن شبر من هنـــــا وشبر من هناك •• والمبادرات •• والمبادرات المضادة ••

وتحرك الشباب يطلبون •• الشباب فى العالم العربى وفى اسرائيل أيضا •• وأصبحت معركة أجيال •• الجيل الماضى هو الذى أشعل النار ، والجيل الحاضر تدمع عيناه من الدخان •• والجيل القادم لا يعرف شيئا ولا شأن له بشىء •• اذن ما الحل ؟

وقبل أن يكون هناك كلام عن أى حل •• يجب ألا ننسى أن هناك شعبا قد تحول الى لاجىء على أرضه •• شعب فلسطين • راح تحت الاقدام • ثم جاء آخرون من الخارج أكلوا هذا الشعب وجردوه من سلاحه ومن أرضه ومن مستقبله • وتمسكت الأمة العربية باشقائها الضائعين فى كل أرض •• وظهرت اجتهادات فى السياسة •• فى اقامة وطن مستقل لفلسطين تحت الحماية الاسرائيلية • أرض معزولة عن العرب منزوعة السلاح • هذه الارض تمتص العرب من اسرائيل ، لكى تبقى اسرائيل يهودية تماما •

واعتمد الفلسطينيون على أنفسهم ، يعلنون بالنار فى الارض وفى السماء أنهم هناك •• وأنهم لن يموتوا ، ولا أحد يلوم اليائس اذا فعل أقصى ما يستطيع •

وما أكثر ما يقال ، وما أبعده عن الحقيقة أيضا •

والآن ما الحل ؟ •

قبل أن نفكر فى أى حل يجب أن نضع هذه العبارة المتكررة فى مكانها الصحيح وأن نفعل ما هو ممكن اليوم

أو غدا أو بعد غد ، هذا الجيل ، أو الجيل الذى بعدنا : يجب أن يخرج اليهود من كل أرض احتلوها وأن يعترف بحق شعب فلسطين .

وعليك أن تضيف الى هذه العبارة ما شئت من الصفات والمعانى والتقديم والتأخير ، وأن تختار الزعامة التى تعجبك . ولكن يجب أن يخرجوا . وليس الخروج أمرا سهلا .. لقد حاولنا ذلك وسوف نحاوله مدى الحياة .

ولست هنا خطيبا . وأن كان الواقع يفرض على الانسان أن يكون كذلك . فنحن لا نعى الكلمات الهادئة فلا تزال المئذنة من معالم الحضارة الاسلامية .. يجب أن تصفق وأن تصرخ فى النائمين من الناس حولك ... النائمين عن حقوقهم وعن الوحش الذى يتهددهم ويحلم بوضوح أنه يريد أن يبتلع الامة العربية كلها .. أمة البترول وقناة السويس والكعبة والقدس .

زهقنا من هذه الكلمات .. صحيح .. ولكن ليس عندنا غيرها . ولا عند أى أحد غير هذه الكلمات . ومن ضمن أساليب الدعاية الاسرائيلية أن نزهق من هذه الكلمات أن نبحث عن كلمات أخرى . لا مانع من البحث عن كلمات أخرى بشرط أن يكون لها نفس المعنى .

والحل ؟

الكلام والسلام ، أو السلام بالكلام ، أو على الكلام

السلام •• كل شىء قد جربناه •• ولم يبق الا أن نصبح قادرين على أن نقول ما نريد • ولن نقول ذلك الا اذا كنا قادرين على حماية أنفسنا ونحن نقـــول ونحن نصول ونجول بعد ذلك •

وما أكثر الذين قالوا ، وما أبرعهم •

وما أقل ما ينفع هذا الكلام يوم يتكلم الســـلاح •• ويوم يتواجه الرجال ، بالنيابة عنا ، دون أن ينطق الواحد بكلمة ودون أن يخطب ، ودون أن يتباهى بأنه فعل كذا وكذا •• أنهم سوف يموتون وحدهم فى صمت ، ودون أضواء ودون تصفيق •

حتى هذا الكلام معاد ، قبل ذلك ألف مرة • وما لنـــا هذا الكلام •• لاننا نتصور أن هناك معنى آخر • لامعنى آخر ، وأن هناك كلاما آخر بنفس المعنى •• لا كلام آخر فليس أمامنا الا أن نحارب •• هذا الجيـــل أو الجيل الذى يليه •• أو الذى يليه أيضا •• اليهود أنفسهم فعلوا ذلك !

وبعض القلوب الرحيمة اليهودية تقــول : المصريون يريدون أن يحاربوا • لماذا ؟ ان هذه الحرب خراب عليهم وعلى أولادهم • المصريون اذا أرادوا حل هذا الاشكال ففى استطاعتهم أن يعلنوا ذلك •• وأن يتركوا بقيـــة

العرب لأنه لا يمكن أن يتفقوا معهم •• ليعلنـــوا ذلك واليهود ينسحبون فورا من غزة وشرم الشيخ !

طبعا كلام • ومصيدة ، ولايجرؤ أحد ، ويجب الا يفعل ذلك ، فيعلن رغبته فى الانفصال عن القضية العربية •• وأن يفكر فى نفسه • ويترك لاسرائيل تأديب بقية العرب •

وهو كلام قيل كثيرا • ومستحيل أن تكون مصر كذلك مصرية بلا قومية عربية •• وأن تخون الامانة •• وأن تتخلى عن العرب والعروبة •• وهذا هو الذى يجعـل دور مصر مصريا عربيا ، وليس مصريا فقط •• ولم تكن مصر فى يوم من الايام للمصريين وحدهم ، وانما كانت للعرب أيضا •

وبعض القلوب الرحيمة مثــل الفيلسوف البولنــدى اليهودى اسحاق دويتش يقول فى كتابه « اليهودى غير اليهودى» ـــ أى اليهودى الذى ليس صهيونيا •• يقول : أن أبناء فلسطين لم يقصدهم أحد فى هذا الصراع ••• فالذى حدث أن بيتا كان يحترق •• وهرب منه صاحب البيت بعد أن أكلت النار أولاده وأثاث بيته ، واصطدم هذا الرجل وهو يهرب برجل آخر فكسر ساقيه وقدميه ـــ هذا المكسور غير المقصود هو شعب فلسطين !

ونسى الفيلسوف اليهودى أن البيت الــذى قفز منه الاسرائيلى ليس بيته ، وأنه هو الذى أشــعل النار فى

البيت .. وأنه قبل أن يقفز من النــــافذة ، قد ألقى بالفلسطينى خارج البيت !

وبعض القلوب الرحيمة التى تطلب الصلح مـــع اسرائيل ، لانه لا داعي للحرب وتبديد الاموال تقــول : أن موسى ديان قد أعلن بعد الهزيمة .. أنه جالس ينتظر وأن العرب يعرفون رقم تليفونه ، فلماذا لا يطلبونه .. ان نيكسون يعانق برجنيف .. ويعانق الرئيس ماو .. فلماذا لا يفعل العرب ذلك !

كلام أيضا .. لولا أن واحدا من هؤلاء لم يحتل أرض واحد آخر .. ولا طرده من بيته .. ثم أنـــه يريد أن يحوله من مواطن من الدرجة الاولى الى واحد من الهنود الحمر ، أو زنوج أمريكا .

ويتساءلون لماذا تكرهون اليهود ؟

والسؤال يقال لنا فى كل مرة نسافر فيها الى أوروبا .

ويكون الجواب : يا سيدى ليس اليهـــود .. ولكن المصيبة أن اليهود هم الذين فرضوا علينا كراهيتهم .. فلا يوجد يهودى واسرائيلى . كل يهـــودى اسرائيلى اليهودى الرأسمالى واليهودى الشيوعى كلاهما اسرائيلى صهيونى وأنت ترى أن يهود أمريكا يهاجرون الى اسرائيل ويهود روسيا أيضا .. واليهود الشيوعيون فى الــدول الاشتراكية رقصوا طربا عندما انهزمنا .. واليهود فى أى

مكان على استعداد لبيع أى شيء من أجل اسرائيل ••• وهم خونة لكل بلد يأويهم من أجل اسرائيل أنهم الذين جعلونا نكرههم ، وهذا واجب وطنى وأخلاقى !

ويسألونك : وكيف نفسر أن بعض اليهود يهاجمون اسرائيل •

وأقول : أفسر ذلك بأننى أيضا أهاجم مصر والمصريين لاننى أريد لبلادى ولشعبى أن يكون أفضل •• فأنا أكثر مصرية عندما أفعل ذلك !

أشياء كثيرة تغيرت بعد النكسة •

من بين هذه التغيرات أننا أدركنا بوضوح أنه لا حل بغير حرب •• أى أن الجيش الذى أغرقناه بالنكت بعد النكسة، هو وحده الذى يستطيع أن يفعل شيئا • وأمريكا تعطى لاسرائيل أحدث الاسلحة ، ونحن نبحث فى أركان الارض عن أسلحة •

وشيء آخر أننا بدأنا نعمل حساب الكلمة التى تقال فى الميكروفون أو التى نخطها على الورق •• لاننا كنا ضحية كلامنا • قلنا وبالغنا وصدقنا ما قلنا وكنا الضحية •

وشيء ثالث أننا لم نعد نخوض فى الكلام عن الخطط العسكرية • ولم نعد نطالب القيادة بأن تكشف أوراقها أمامنا • لاننا نريد أن نعرف • فبعد النكسة تحول كل مواطن الى قائد عسكرى كان من الممكن أن ينتصر لولا ••

وكل واحد منا يضع ألف « لولا » .. ولابد أن واحدة منها تقول : لولا أنه البخت !

أى من بخت أناس آخرين أن يكونوا قوادا ، ولا نكون

وشىء رابع أننا بدأنا نوطن أنفسنا على أن القتال طويل وأن هذا القتال ليس من نصيب هذا الجيل وحده . ولكن من نصيب الاجيال . لان ما حدث ليس من صنع جيل ، وحتى اذا كان من صنع هذا الجيل ، فان اصلاح الخطأ هو مهمة الاجيال .

وأن العبء يجب أن يحمله كل مواطن . أى يجب أن يكون كل مواطن تحت السلاح .. اسرائيل كذلك .. الرجال والنساء .

وتعبير آخر : انه لابد أن يكون هناك من يحمل السلاح وأن يكون هناك من يزرع ويبنى ويعلم ويعالج .. فليس من العقل ولا من الحكمة أن نعطى آذاننا وأيدينا فى نفس الوقت لكل ما يقال .. آذاننا فقط .. وأيدينا يجب أن تعمل .. فليس كل مواطن جنديا يحمل البندقية .. لان كل مواطن يجب أن يحمل سلاحه هو الذى يستطيع به أن يفعل شيئا من أجل الجميع . الكل يعمل . ما دام الكل يأكل ويشرب .. الكل من أجل الكل .

ان هناك قصة معروفة . يقال أن رجلا حائرا ذهب الى أحد الحكماء يسأله : ما الذى جعلنى هكذا لا أفكر الا فى

نفسى ولا أبحث الا عن سلامتى •• وأسد أذنى اذا الباب دق ، وأغمض عينى اذا رأيت محتاجا أو مريضا •

وقال الحكيم : انظر من خلال هذا الزجاج •• ألا ترى كل النـــاس •

قال الرجل : بلى أرى كل الناس •

قال الحكيم : اذا وضعت على هذا الزجاج طبقة من الفضة ألا يتحول الزجاج الى مرآة •

قال الرجل : نعم •

قال الحكيم : فما الذى تراه فى المرآة •

قال الرجل : لا أرى الا نفسى !

قال الحكيم : هذه الفضة هى مصالحك الشخصية •• هى أنانيتك •!

والذى لا يرى الا مصـــلحته •• وســـلامته •• وأمنه وأمانه ، لا يرى أحدا • لذلك كان من الضرورى أن نلقى بالمرايا •• وأن ننظر فى الزجاج الشفاف الى مصر كلها •

وأعتقد أننـــا نفعل ذلك الآن ــ ليس كلنـــا • ولـــكن الكثيرين يفعلون ذلك • وسوف نزداد يقينا مع الايام ، انه اذا سكتنا على ما هو قائم ، فوجئنا بما هو أخطر من ذلك فوجئنا بالذى يجعلنا لا نقوم ولا نقاوم !

ان الصحف المصرية قد نشرت منذ أيام أن العلماء قد اكتشفوا هرما تحت الارض •

أرجو أن تقرأ هذه العبارة مرة أخرى •

انهم اكتشفوا هرما ، وليس دبوســا ولا قرشا تحت الرمــال • ومعنى ذلك انه من الممكن أن يختفى هـــرم تحت الرمال •

وقد هبت رمال كثيرة منذ سنة ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ حتى الآن •• وهذه الرمال قادرة على أن تخفى تحتها كل أوضاع الشرق الاوســط •• وأن تكون الرمال هى الامر الواقع •• وأن نكون نحن تحت هــذه الرمال •• توابيت تضم جثثا لأناس كانوا هنا ، وفضلوا سلامة الموت ، على قلق الحياة ، فضلوا الارض على الثورة من أجل العرض •

فليس الغريب أن نكتشــف هــرما ، ولكن الغريب أن يختفى هرم على سطح الارض وتمضى ألوف السنين قبل أن يهتدى أحد اليه •

والزمن قادر على أن يشفى كل جرح ، وأن يخفى كل هرم •

والزمن لا يفعل ذلك الا اذا آمن الناس بقدرة الزمن على كل شىء •• والا اذا استسلموا له •

ونحن جميعا نعلم أن الموت نهاية كل حى •• ولكن ليس معنى ذلك أن نعيش كما لو كنا موتى •• أو نشغل أنفسنا ببناء القبور ، مادام القبر هو نهاية الطريق فى هذه الحياة•

ان كل ما يعمله الانسان فى هــذه الحيــاة أن ينسى انه

ســـــوف يموت •• ولذلك يعيش وينسى ويروح ويجىء ويستمتع • ان كل حياته هى محاولة مستمرة لكى ينسى انه سوف يجىء يوم لا طعام فيه ولا شراب •

ولذلك يجب أن ننسى أن الرمال سوف تغطى هرما من المغالطات والاخطاء •• وانما يجب أن نواجه رمال النسيان بأفكار واضحة ، واصرار جديد على أن الحرب مع اسرائيل هى حرب موت أو بقـــاء •• موت لنا وبقـــاء لها •• وأن اسرائيل خلقوها لكى تتسلط وتبيع وتشـــترى •• فاليهود سماسرة العالم •• ولكنهم ليسوا الاقوى وليسوا الاكثر وليسوا الاغنى •• وأنهم لم يحققوا الراحة بانتصارهم السريع •• لم يفوزوا بالامن ولا بالصـــــداقة •• وان اسرائيل ما تزال قلعة حصينة هى جزيرة مسروقة وحولها عشرات الملايين من النـــاس وألوف الملايين من الجنيهات ومئات السنين من البترول •

واننا يجب أن نصبر • وأن نتماسك •• فليس كل شىء هو مظاهرات ١٩٥٦ ، ولا كل الحروب معارك فى اليمن •• ولا وجه الحقيقة فقط هو الذى نقوله لأنفسنا ونصدقه ، هناك وجوه أخرى ، وهناك حقائق أخرى •

وأهم تغيير أن أصبح لنا جيش حقيقى منظم مدعم •• يضع خططه لنفسه وبنفسه ومستعد لان يعيش من بعده ملايين الشرفاء •

ومن التغيرات التى حدثت لصالحنا •• ان العالم بدأ يضيق باليهود • ان العالم قد تعب من الحروب •• الدول الكبرى تتعانق وتبيع وتشترى •• وسوف تتعانق فوق فى السماء بعد عام أو عامين •

ولكن اليهود يريدون أن يمزقوا العالم بمشاكلهم •

ان اليهود الذين أحرقتهم أفران الغاز فى ألمانيا وبولندا — أحرقهم الاوروبيون البيض — جاءوا الى هذه الارض يستخدمون كل أساليب التعذيب التى ذاقوا مرارتها •

ان اليهود أفلحوا أن يجعلوا هتلر بعبعا ، لا نظير له فى التاريخ •• بل أن يجعلوا الالمان كلهم وحوشا بشرية •• يكفى أن ننظر الى الافلام التى ظهرت بعد الحرب •• والى عشرات الكتب التى صدرت عن هتلر وحيوانية هتلر ووحشيته •• وكيف أن هتلر ليس وحده كذلك • وانما الالمان كلهم وحوش •

وأخذت اسرائيل من ألمانيا تعويضا بألوف الملايين من الماركات وطاردت بالوثائق كل رجال ألمانيا تتهمهم بالنازية وبالاشتراك فى احراق اليهود •• وقالوا : ستة ملايين يهودى • وهو رقم مبالغ فيه • ولكن ياليتهم أحرقوا أكثر من ذلك !

وأصبح من المقرر فى المدارس الالمانية تدريس هذا

التاريخ الذى يجعل الالمان وحوشا • بل وتدريس الحياة فى اسرائيل والمستعمرات الاسرائيلية • وأصبحت كلمة « عدو للسامية » أخطر شتيمة يمكن أن تقال لاى ألمانى •• أو أى انسان •• مع أن العرب واليهود ساميون •• وأن كان حكام اسرائيل ليسوا من الساميين !

وفى ألمانيا افتتحت نماذج حديثة لمعسكرات الاعتقال وأفران الغاز ، وأصبح من الواجب على كل مدرسة فى ألمانيا أن تحج لرؤية هذه الصور البشعة • وبذلك يتعمق الشعور بالذنب عند كل ألمانى •• مع أن هذا الجيل ليس مسئولا عما فعل كل أجداده • ولكن يجب أن يخاف الالمان من كل جيل من أن يلتفتوا الى اليهود • وعاد اليهود الى ألمانيا بفلوسهم وسلطانهم • وان كانت ألمانيا أفلحت فى أن تلتفت الى مصالحها وألا تعادى العرب من أجل اليهود !

وفى العالم كله الآن عطف شديد على هتلر •• فبعد أن ذاق الناس مرارة الوقوف الى جوار اليهود والاستماع الى شكاياتهم التى لاتنتهى ، بدأ العالميعطف على هتلر • فقد صدرت كتب كثيرة تصف هتلر بأنه وطنى • وانه لم يكن مجرما ولا وحشا • ولا متجنيا على اليهود • فاليهود خونة لكل بلد • ولم يفعل هتلر باليهود أكثر مما فعله بالمواطنين الالمان الذين تمردوا عليه أو ثاروا ضده أو عملوا لحساب أعدائه •• وأوروبا تحتاج الى رجل له قوة هتلر ليوحد

أوروبا ضـــد أمريكا •• وضـــد رؤوس الاموال اليهودية الامريكية •

وقد ظهرت علامات النازى فى كل مكان فى أوروبا وأمريكا وفى ألمانيا حزب نازى •• وهذا الحزب يلقى اهتماما بالغا من الجميع •• وأحس الالمان أن دور النشر الامريكية قد شوهت تاريخهم ولوثتهم وبالغت فى اهانة الجميع •

فمن هذا الارهاب اليهودى قد تولدت رغبات عنيفة فى أن يظهر رجل ينتقم لهذا الهوان والتعذيب والايلام المستمر منـــذ أربعين عاما •

وليست هذه الروح المعادية لليهود قد ظهرت فى ألمانيـــا وحدها ، بل فى سويسرا وفى أمريكا وفى بريطانيا •

وموقف اليهود فى الشرق الاوسط يضاعف من خطورة هذا الاتجاه • فاليهود فى الشرق الاوسط رمز للغطرســـة والدموية والكذب وهم لا يريدون الســـــلام • ولم يعد اليهودى ذلك المسكين القابع فى احـــدى الحوارى المظلمة خائفا من الاغلبية الساحقة •• ولم يعد اليهودى ذلك التائه المطرود من كل أرض •• وانما هو انسان ظهرت عليه كل الغرائز الحيوانية التى تعوضه عن كل ما أصابه فى مئات الســنين : فهو يريد المزيد من الارض والمزيد من الدماء ولا يهم بعد ذلك أن يحترق العالم كله •• فقد فعل اليهود ذلك كثـــيرا فى كل أرض •• لانهم كارهون لكل الناس •

حاقدون على كل الشـــــعوب • طامعون لكل ما فى أيدى الآخرين •• فكلهم شمشمون اليهودى الذى هدم المعبد على نفسه وعلى غيره •• فهم أولا وبعدهم طوفان من الدم والدخان لكل الشعوب •

ولكن الشعوب تريد أن تعيش فى سلام • وأن تعمل وأن تستريح وأن تصنع وأن تكسب • وليس من حق اليهود أن يفرضوا الخراب والدمار على كل الناس •

ولذلك كانت الحرب ضدهم ، ليست من نصيب العرب وحدهم ، ولكن واجب كل محبى الحياة والسلام فى العالم !

الجيل الجديد في إسرائيل

زراعة "أشجار الصبار" أو كيف تقوم إسرائيل بفبركة هؤلاء الأسرى؟

اليهود صناعتهم الاكاذيب والخرافات وتصديقها • فالديانة اليهودية من أولها لآخرها قد اخترعوها • واغتصبوا ديانات ومعتقدات الشعوب الاخرى وأضافوها الى أنفسهم • ففى الديانة اليهودية تجد كل أحلام الشعوب القديمة •• أنقض عليها اليهود •• أو أودعوها فى معابدهم، كما تودع الاموال فى البنوك بنسبة فى الربح •• ولكنهم لم يكتفوا بنسبة معينة وانما استولوا عليها •• وجمدوها ثم أمموها فى النهاية •

وهم حريصون على أن يجعلوا لكل شىء تاريخا دينيا • وأن يجعلوه مقدسا • وليس يهم عندهم أن تكون له حقيقة من التاريخ • ولكن المهم جدا أن يبدو كل شىء سماويا مقدسا • وأن يكون هناك عدد كبير من المؤمنين والمتهوسين ولكن زعماء اليهود ليسوا متدينين • ولكنهم قادرون على

تسخير المؤمنين والمتعصبين الحالمين بأرض الميعاد • وقد نجح زعماء الصهيونية فى استدراج اليهود من كل بلد الى اسرائيل ليعيشوا على أرض الاجداد والانبياء •

ولو قرأت ما ينشره السائحون بعد عودتهم من اسرائيل لوجدت اليهود يقولون لهم : على هـذه الصخرة بالذات وقف ابراهيم عليه السلام •• وفى هذه المساحة من الظل تحت هذه الشجرة وقفت شالوميت بطلة « نشيد الانشاد » وهنا نام موسى ومات قبل أن يرى أرض الميعاد •

واليهود فى العالم لهم مشـاكل كثيرة • من أهم هـذه المشاكل أنهم مختلفون • لهم عشرات اللغـات وعشرات الجنسيات • ولا شىء يجمع بينهم غـير الديانة اليهودية والاحلام اليهودية والحقد على كل الشـعوب واحتقارها ـ أى احتقارهم هم للشعوب واحتقار كل الشعوب لهم ـ والا فلماذا نجدهم مطرودين منبوذين فى كل أرض ؟!

ومن مشاكلهم أيضا أنهم لا يملكون الارض أو يخافون أن يملكوها • لانهم اذا طردوا فكيف يهربون بالارض • ولذلك لا يعملون فيها أيضا •

وانهم عاشـوا وماتوا فى « حارات اليهـود » أى فى الشـوارع الضيقة المظلمة القذرة •• ولذلك فهم يحلمون بالشوارع الواسعة والقصور أو الفلل ـ وهذا واضح جدا

فى أمريكا • فاليهود الامريكان يسكنون بعيدا عن المدن • لانهم عاشوا ألوف السنين سجناء الحوارى السجينة فى داخل المدن !

واذا جلس اليهود معا ، فانهم لا يجدون لغة واحدة يتكلمون بها • وأحيانا يتكلمون لغة اسمها « البيديش » أو « اليدية » وهى خليط من لغات أوربية •• ولكن لكى يكون لهم وطن ، أو تكون عندهم وطنية لابد من الدين واللغة والارض • الدين موجود بمذاهبه المختلفة ، والوطنية يجب أن تجىء من الوطن •• والوطن اغتصبوه سرقوه من العرب بتشجيع من الانجليز وغيرهم •

وذلك فاليهود التفوا حول شعار :

العودة الى جبل صهيون • وهذا الجبل موجود فى فلسطين المحتلة•وتسللوا الى فلسطين بالعشرات والالوف•

ولكن الحالمين من اليهود استطاعوا أن يبنوا البيوت النموذجية •• أو المساكن التى يحلمون بها • وهذه المساكن هى التى يسمونها «المستعمرات» أو «الكيبوتس» ولعلها من كلمة «القموص» أو «القبوص» أو «القفوص» وربما كانت كلمة « قفص » العربية مشتقة من الكلمة العبرية قيص •• وأيام حرب الرسول عليه الصلاة والسلام ضد يهود خيبر هجم المسلمون على قلعة اسمها «القموص»

وربما كانت القبوص .. أى الشىء الذى يلم الناس ويجمعهم فى مكان واحد ! ـ وقد تحققت من ذلك عندما زرت المدينة المنورة .

وهذه المستعمرة عبارة عن قرية صغيرة تعيش على الاكتفاء الذاتى . هى تزرع وتقلع وتبيع وتعود الاموال للمستعمرة كلها . فالارض مشاع بين الجميع . لا أحد يملك الارض . أو يملك ملابسه .. لا ملكية . فقد عانى اليهود طويلا من أنهم كانوا يملكون وغيرهم لا يملك . ولذلك ألغوا الملكية .. وألغوا الفوارق ، فى المستعمرات ، بين الجميع .. فالملابس واحدة . والطعام واحد . ولا فرق بين الرجل والمرأة . كلهم ينامون فى فراش واحد وكلهم يستحمون عراة . فليس هناك ما يخفيه أحد . لان هذه الحياة الجماعية قد قتلت الرغبة الجنسية تماما . فلا شىء مثير .. فكل شىء مكشوف . عريان . وكل شىء ممكن . وكل شىء فى متناول الجميع : الطعام والشراب والجنس .

وقد أنشئت هذه المستعمرات اليهودية من عصور قديمة جدا . وأقرب هذه المستعمرات هى التى أقامها اليهود قبل لغاء الانتداب وقيام اسرائيل فى فلسطين المغتصبة .. فقد متلك بعض اليهود المغامرين أرضا .. وأقاموا فيها ستعمرات سرا .. وكانت هذه المستعمرات تضم المزرعة

والمصنع وغرف النوم وغرف الطعام والمعبد .. وورشة صغيرة لصناعة الاسلحة والدفاع عن النفس ضد العرب .

وقبل هذه المستعمرات كانت فى اسرائيل على أيام المسيح جماعة اسمها «جماعة الاطهار» ـ هكذا يسمون أنفسهم . وهم جماعة من رجال الدين أقاموا لنفسهم مزرعة . وجعلوا يزرعونها معا . ويملكونها معا ـ أو على الاصح لا يملكونها معا ، فلا أحد يملك شيئا لا الارض ولا العرض ولا الذهب .

انما هم يعملون ويموتون بعيدا عن العالم الخارجى . وقد أطلقوا على أنفسهم اسم الاطهار ، لان ملابسهم بيضاء نظيفة . ولانهم بعيدون عن الشعوب الاخرى والديانات الاخرى . ولانهم يأكلون ما يزرعون ، ويلبسون ما ينسجون فأيديهم لا تتلوث بطعام أحد أو السلام على أحد . لانهم يؤمنون بأن كل ما ليس يهوديا فهو شىء قذر أو انسان قذر !

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية عثر أحد الباحثين على أوراق أو لفائف سميت « أوراق البحر الميت » .. وفى هذه الاوراق وصف كامل لحياة هؤلاء الناس وعباداتهم وكيف كانوا يعيشون .

وفى العصر الحديث أعاد اليهود بناء هذه المستعمرات على مسافات متباعدة .. وهذه المستعمرات تملكها الاحزاب

الاسرائيلية : مستعمرات الحزب الشيوعى ومستعمرات الحزب الاشتراكى والعمال ومستعمرات تملكها الاحزاب الدينية .

وهذه المستعمرات اختارت لها أماكن فى الصحراء .. وهى تحاول اصلاح الاراضى وزراعة الموالح . وتساعدها الاحزاب بالآلات الحديثة . وتقرضها بعض الاموال . وعلى هذه المستعمرات أن تعيد هذه الاموال الى الاحزاب أو الى الحكومة .

أما سكان هذه المستعمرات فقد تكفلت الدولة بالاتيان بهم . فهم جميعا من المهاجرين اليهود الذين فضلوا الحياة فى اسرائيل على الحياة فى أوربا وأمريكا وآسيا وافريقيا . وأكثرهم من المتدينين ومن الفقراء . فالاغنياء الذين يعيشون حياة مترفة فى أى مكان آخر ، ليسوا فى حاجة الى أن يعيشوا فى اسرائيل .

وكل هؤلاء المهاجرين عاشوا فى اسرائيل ، أما أولادهم فقد انتقلوا الى المستعمرات . أحيانا ينتقل الابوان مع الطفل . وأحيانا يذهب الطفل بعيدا عن أبويه . ولا فرق بين الحالتين . لان أول مبادىء الحياة فى المستعمرات هو ابعاد الطفل عن أبويه . حتى لا يكون الطفل ضعيفا . وحتى لا يتعلق بأمه وأبيه . فأمه وأبوه : اسرائيل . وهذا هو الاب وهذه هى الام . ولذلك فاذا قرر الابوان أن

يعيشا فى المستعمرة ، فالطفل ينام مع عشرات الاطفال فى عنبر واحد • وتقوم احدى الفتيات أو السيدات برعاية الاطفال وليس من حـــق الاب أو الام أن يريا طفلهما • وكثيرا ما دارت خلافات بين سكان المستعمرات اذا لاحظوا أن رئيس المستعمرة قد شوهد مع ابنه أو ابنته أكثر من مرة فى الشهر !

واذا بكى الطفل وسمعته أمه ، فليس من حقها أن تذهب اليه وتسكته حتى لا يتعلق بها •• وحتى لا يشكو أطفال آخرون : يتامى أو لقطاء •• أو أطفال يعيش آباؤهم فى أوروبا أو فى المدن الكبرى بعيدا عن المستعمرات !

فالاطفال ينامون فى مكان واحد • ولهم لعب واحدة • دبابة للطفل ومدفع للطفلة • وكل الدبابات متشابهة وكل المدافع من لون واحد وحجم واحد •

والدراسة فى مكان واحد • واللغة العبرية اجبارية •• كثيرا ما ذهب الاب والام ليريا طفلهما • فاحتاج الاثنان الى مترجم لان الاب بولندى الاصل أو ألمانى •• والطفل لا يعرف الا لغة اسرائيل !

واذا كبر الطفل فانه يدخل فى برنامج حديدى لا يتغير• الاولاد والبنات معا • فى التدريب العســكرى وفى زراعة الارض أو كنسها أو رشها • أما الدين فهــو يروى لهم قصص العذاب الذى لقيه اليهود فى كل أرض •• وقصص

وحشية العرب « الذين يأكلون اليهود أحياء دون أن تسقط منهم قطرة دم » ــ كما يقول الاديب اليهودى عاموس أوزى فى قصته « وحدهم دائما •• ولكن فوق » ••

وقصص أخرى للبطولات الوهمية لرواد الصهيونية فى اسرائيل •• وكيف جاءوا • وكيف ضحكوا على العرب واغتصبوا الارض • وكيف تسللوا • وكيف تآمروا • وكيف حرثوا الارض بأيديهم • وانتظروا الامطار ليعصروا السحب لكى يغرسوا أشجار البرتقال •• وكلها قصص متكررة متشابهة !

وهؤلاء الذين يولدون فى اسرائيل ويعيشون فى المستعمرات لهم اسم معروف هو « الصبرا » ومعناها نبات الصبار الذى ينمو فى الصحراء • وهم سعداء بهذه التسمية لان نبات الصبار جاف شائك من الخارج ، ولكنه ناعم أبيض حلو من الداخل • وهم يقصدون بذلك أن أبناء اسرائيل تعلو وجوههم مسحة القسوة والاسى ، ولكن اذا جلست اليهم وجدتهم طيبين بسطاء •

والتعبير صحيح مع بعض التغيرات ــ كما سنرى فيما بعد ــ فهم بالفعل عليهم هذه المسحة الحزينة ــ انظر صور الاسرى ــ ولكن قلوبهم فى غاية الضعف • فهم فى شدة القرف من حياتهم ، وهم مدفوعون الى هذه الحياة بالقوة ، ومدفوعون الى الحرب بالتهديد والتخويف •

وأهم معالم « الصبرا » هذا هو أنه لا يكن أى شعور بالحنان لامه أو لابيه •• وهو بذلك لا يحب أحدا ولا يكره أحدا •• وانما هو على الحياد بين العواطف • أو لا عواطف عنـــده •

وفى المسرحيات اليهودية التى يشـــاهدها الاسرائيليون نجد مثلا : الفصل الاول أب جاء من روسيا وأم جاءت من أمريكا • وقد افترق الاثنان عشرين عاما • وجاء لهما طفل فى أول لقاء لهما فى وارسو •

واتفق الاثنان على أن يبعثا بالطفل الى أرض محايدة • فأرسلاه الى احدى المستعمرات • وفى هذه المستعمرة عاش الطفل • وهو لا يعرف من هـــو أبوه ولا من هى أمه •• ولكن من حين الى حين يتلقى خطابات من روسيا وأمريكا تبعث اليه بالتحية فى الاعياد ، مع بعض الهدايا •• وهذه الخطابات يتولى ترجمتها بعض أعضـــــاء المســـتعمرة • وتتكدس هذه الخطابات عند الطفل الذى أصبح شابا ، ثم نجده فى أحـــد أيام الاســـبوع يمسح بها حذاءه دون أن يعرف قراءتها •

وفى الفصل الثـــانى : نجـــد الاب والام قد اتفقا على زيارة الابن والالتقـــاء فى تل أبيب أو حيفـــا • ويلتقى الزوجان •• وكل واحد منهما يحمل ورقة مكرمشة هـــذه الورقة هى بقايا خطاب أرسله الابن الى كل من أمه وأبيه

ويجلس الابوان يتحـدثان عن كل شيء • وهـل كان من الافضل أن يعيش الابن مع الاب أو مع الام •• وحول الابوين عشرات الشباب يجلسون على المقاهى •• شعورهم منكوشـة ملابسـهم كاكى •• يشربون الخمر فى حزن ، ويدخنون فى قرف •• وتجلس اليهم فتيات يرتدين الكاكى أيضا •• والفتاة فيها خشونة الشبان • ويلاحظ الابوان أن الفتيات لا يلقين معاملة طيبة • وأن الفتاة تنهض وتأتى بالمقعد وتأتى لنفسها بالشراب والطعام وتدفع الحساب ، دون أن يحاول أحد الشـبان أن يعاونها على شيء •• أو يدفع لها أو يلتفت اليها •• وفجأة ينهض الشـبان الذين كانوا يتحدثون معا دون أن يبدو على الوجوه أى معنى •• وانما الجميع يقولون كلمة أو يبصقونها هى كلمة : شالوم أى سلام عليـكم •• دون أن ينظر أحـد الى أحـد •• ويتركون الفتاة ويجيء شبان آخرون يجلسون الى جوار الفتاة دون أن ينظر أحد الى أحد •

ولكن الابوين يعتقدان أن ولدهما يعيش حياة أخرى •• لابد أنه فى حيـاة أكثر نظاما وأكثر سعادة وأكثر عمقا • وأن ابنهما قد حقق ما عجز الابوان عن عمله فى روسـيا وأمريكا •

وفى الفصل الثالث : يذهب الابوان معا فى سـيارة الى المسـتعمرة التى يعيش فيها الابن • وينظر الابوان الى

أشجار البرتقال التى نمت فى الصحراء • ويعجبان بذلك •• والى خزانات الماء والوقود •• ويسعدان بذلك •• ويرون كل الشباب فى ملابس واحـــدة • وكذلك الشابات • وكل واحد مشغول بعمل • وان هذا العمل قد صرفه عن أى شىء فى الدنيا • ولو سقطت من السماء جوهرة ما التفت اليها • واذا التفت اليها ، فانه ســـــوف يعيدها الى الارض لان الارض ومن عليها وما عليها تملكه المستعمرة • ولو أهداه والداه حذاء فليس من الضرورى أن يكون من نصيبه ربما كان من نصيب شاب آخر أكثر صبرا على العمل والمرارة •

والابوان معجبان بكل شىء حولهما •• الشـــمس حارة والرمل الابيض •• والسماء صافية •• والوجوه سمراء والشعر أسود •• وبين الحين والحين يظهر شـــاب أشقر أوربى أو أمريكى • وفجأة يجىء شـــاب نحيف أصـــفر الملابس •• والحذاء غليظ عليه غبار •• والوجه أســـمر أصفر شاحب • والعينان حزينتان • ويجىء المترجم يقدم الشاب الى والديه : هـــذا أبوك •• وهـــذه أمك • ويمد الشاب يده يصافح الابوين • ووجهه الى الارض • ويمضى المترجم ينقل كلام الابوين • والابن مهتم جـــدا بنفض الغبار عن الحذاء •• وهنا يسرع الاب فيخرج منديله من جيبه لعل ابنه ينفض به حذاءه •• ولكن يفاجأ بأن الابن يلف المنديل حـــول عنقه •• والام تنظر الى ابنهـــا كأنه الانسان الاول الذى خرج من الكهف توا •

وتنتهى الزيارة • ويعود الابوان أكثر حزنا •• وكأن شيئا لم يحدث فى حياة الشاب الذى عاش على صدر غير صدر الام • ورضع لبنا صناعيا • وتقلب فى فراشــه فى الليل • يصرخ حتى يتعب من الصراخ فينام ••

وينزل ستار الفصل الثالث من أية مسرحية تصف حياة المواطن الاسرائيلى الجديد ••

أى المواطن الذى قامت اسـرائيل « بفبركتــه » أى بصناعته صـناعة غير طبيعية • حتى يتجرد تماما من كل الصفات الطبيعية : من بنوة وحنان وحب وكره وأمل ويأس من أى شىء •

فالمواطن الاسرائيلى الجـديد يجب أن يكون « آلة » صماء •• يدفعونها الى الامام والى الخلف كما يريدون فى الوقت الذى يشاءون •

ويرى اليهود أن الانسان الاسرائيلى الجديد يجب أن يكون بلا مشاكل : فالطعام موجود • والمسكن • ولا يشعر بشـوق الى أب أو حنين الى أم •• أى لا يضعف مطلقا أمام هذه المشاعر التى تعتبر نوعا من الترف •

وليس له أن يشكو من عدم وجود الانسان الآخر •• ولا داعى لان يتصور الفتاة ملاكا أو عفريتا •• ولا داعى لان يجرى وراءها ويتسلق الاسوار والنوافذ • ولا داعى لان يتعب من أجل أن يشـترى هـدية أو يدفع مهرا •

ولا داعى لان يكون زوجا •• والفتاة نفسها لا داعى لان تكون زوجة يفديها زوجها • فليس من المعقول أن تظل المرأة تشكو من أنها دون الرجل وفى حاجة اليه • ولا داعى أن تنتظر طويلا حتى تجىء ثورة تساوى بينها وبين الرجل فليس من الضرورى أن تكون زوجة • واذا قررت أن تكون زوجة فلا معنى لان تكون أما ، وأن تتعذب بالامومة : رضاعة الطفل وحضانته ورعايته وخدمته والحنين اليه • لا داعى •

ولا خوف على الفتاة اذا حملت بلا زواج •• واذا أنجبت بلا زواج •• لا يهم من أين جاء ولا كيف جاء •

وكثير من الفتيات رفضن الزواج لانهن مازلن ضعيفات أمام الامومة •• فهذا الضعف يجب أن تقاومه فى نفسها • وأن تقاومه فى كل فتاة أخرى • ولذلك قامت بتربية الاطفال فى المستعمرات فتيات رفضن الزواج : رفضن الحنان والامومة •• ورفضن أن يرين هذا الحنان أو الامومة عند أحد من الناس •• ولذلك كانت هذه الفتيات أو السيدات فى غاية القسوة على كل طفل •

ثم ما الذى يتبقى بعد ذلك عند « الصبرا » من جهد أو طاقة أو رغبة أو وقت ؟!

ان حياتهم مرهقة جدا •• فلا وقت عندهم للراحة •• أو لا وقت عندهم الا للراحة • أى النوم على الرمل تحت

الشجر نهارا أو ليــلا •• ومن المناظر المألوفة أن يذهب السياح فيجدون شابا وشابة نائمين متجاورين عاريين تحت الاشجار •• دون أن يتحرك أحدهما لرؤية أجنبى أو عدد من الاجانب •• ولــكن هذين الشابين لا يفهمان ما يقوله المترجم الاسرائيلى للسياح • فهو يقول لهم : هكذا نجحنا حيث فشل العالم كله •• لقد خلصنا الولد من التعلق بأمه وكراهية أبيه •• وخلصنا البنت من التعلق بأبيها وكراهية أمها •• انها حياة بلا عقد •• بلا خوف •• بلا تحفظ •• انها حياة عادية •• فالله خلق الانسان عاريا •• وهو الذى يحاول أن يغطى نفسه بعد ذلك •• قد يقول واحد منــكم انها حيــاة حيوانية •• من الممكن أن يقال ذلك : ولــكن قولوا لى يا سادة : أليس الحيوان أسعد من الانسان •

ان الحيوان لا يعتدى على أحد •• ولا يحرق أحدا •• ولا يقتل أحــدا •• اننا نحن اليهود قد قتلونا وأحرقونا وطردونا •• فقررنا هنا أن نرفع الحواجز والموانع •• وأن تكون للانسان الاسرائيلى حياة أخرى •• من نوع آخر •

ولكن هؤلاء « الصبرا » طراز مختلف تماما عن هــذه الصورة الشاعرية التى تصورها الدعاية اليهودية فى كل مكــان •

فمن أهم معالم الدعاية الاسرائيلية أنها تختــار دائما

صورة فتاة جميلة شبه عارية وقد حملت السلاح .. وهى شبه عارية لان الجو حار .. ولانها بهذه الصـــورة تكون مثيرة أكثر .. وتغرى الشباب اليهودى وغير اليهودى أن يسارع الى اسرائيل والى الحياة فى المستعمرات . وقد جاء الى اسرائيل كثير من شـــباب العالم وشاباته .. وكانت الصدمة الكبرى . فلم تكن الحياة بهذه الشاعرية . وانما هى حياة جافة خشنة . وليست هذه المستعمرات الا أنواعا من المعتقلات تحت الارض . واذا كان اليهود يجدون فى هذه السجون معنى دينيا أو وطنيا ، فالاجانب لا يشعرون بشىء من ذلك .. واذا كان اليهود يريدون أن يطهـــروا أنفسهم من كل ما هو انسانى ، فما ذنب الآخرين ؟

ولكن الصـــابرا هـــؤلاء ليسوا راضين عن الحيـــاة فى المستعمرات .

لان معظم هـــؤلاء الذين يعيشـــون فى المستعمرات من اليهود الشرقيين ــ أى السفرديم ــ أما سكان المدن فهم من اليهود الغربيين ــ الاشكنازيم .

فما هذه التفرقة بين الشرقى وبين الغربى ، بين الابيض والاصفر ، ثم ان الاوربيين الذين يسكنون المدن هم الذين يتولون المناصب الكبرى ، أما الشرقيون فهم الذين يقومون بالاعمال اليدوية وبأحط الاعمال الاخرى .. ثم انهم هم

الذين يعيشون فى المستعمرات تحت الارض ، كأنهم وحوش ضـــارية •

فكأن أبناء المستعمرات هم الذين يضحون ويتعذبون من أجل اسرائيل ، بينما اسرائيل تكافىء كل الذين لا يعملون شـــيئا •

ونصف سكان اسرائيل من أبناء المستعمرات •

وثلاثة أرباع سكان اسرائيل من من الشرقيين المنبوذين•

وعندما يذهب الصـــابرا الى المدن فانهم يجدون المدن عامرة باللعب والضحك والمرح •• فالشـــبان أكثر نعومة والفتيات أكثر أنوثة •• أما هم هؤلاء الغلاظ الاجلاف أو (الالواح) أو بالعبـــرية : شـــــوتنسباه •• (فى الكويت يستخدمون كلمة غريبة للدلالة على هذا المعنى هى) :

اشبثاه ! ربما كانت قريبة من الكلمة العبرية •

أكثر من ذلك أنهم يقرأون الصحف والمجلات الامريكية وخصوصا المجلات الجنسية • ويرون أن اليهود الامريكان يعيشون فى النعيم •• وأن الكثيرين من اليهود قد هاجروا من اسرائيل وهربوا من المستعمرات الى أوربا وأمريكا • ثم انهم يريدون أن يفعلوا نفس الشىء •

بل ان الدولة تنظر الى الامريكان على أنهم مصدر الحياة والفلوس والدفاع •• اذن فالدولة لا تستنكر أن يعيش

اليهود فى أمريكا وأوربا • فلماذا لا يعيشون هم أيضا هناك •• ثم لماذا هم وحدهم المطالبون بالوطنية والتضحية بينما غيرهم يدفع الفدية : أى يدفعون الفلوس فقط حتى لا يعيشوا فى اسرائيل أو يموتوا من أجلها !

ولذلك يهرب كثير من « الصبرا » من الحياة فى المستعمرات •• « الصبرا » كلهم ملحدون •• فقد كرهوا الدين وكرهوا قصص العذاب •• وبطولات المعذبين من اليهود •• وأكثر الذين يتثاءبون أثناء الصلاة من اليهود الصابرا •

ومن المشاهد المضحكة أن نجد على مدخل أحد المعابد هذا النداء : « ممنوع التثاؤب بصوت مرتفع » •• وهذا التحذير موجه الى الصابرا طبعا الذين زهقوا من الارهاب الدينى •

وانتشرت بين هؤلاء الشبان الخمور والمخدرات •• وانتشرت أيضا حالاتهم المرضية العصبية •

فعندما ذهب العالم اليهودى برونو بيتلهايم الى اسرائيل ليدرس حالات الاطفال الصغار • وجد أن ٨٠٪ من الاطفال يتبولون أثناء النوم •• وأن ٢٠٪ من الشبان الكبار يتبولون أثناء النوم •• وأن ١٠٠٪ من الشبان مصابون بحالة كآبة دائمة • وكان تعليق هذا العالم

اليهودى : أن الحياة الجديدة قاسية • وأن هؤلاء الشبان فى حاجة الى مئات السنين لتصبح لهم عادات جديدة متوارثة !

ونسبة نزلاء مستشفيات الامراض العصبية كبيرة جدا• ربما أكبر نسبة فى أى بلد فى العالم كله •

والصابرا ممزق تماما بين الذى يسمعه والذى يراه •• والذى يريد أن يفعله وبين الذى يعمله غيره من اليهود فى العالم •

ان زعماء اليهود قد ضحكوا على اليهود فى كل مكان • وأوهموهم أن اسرائيل هى أرض الميعاد •• هى جنة الله فى أرضه • يكفى أن يمشى الانسان دون أن يسأله أحد :

هل أنت يهودى ؟

يكفى أن يعمل بيديه دون احتقار من أحد ! يكفى أن يدافع بسلاحه عن أرضه !

ولكن الصابرا لا يرون شيئا من ذلك : فالبعض يسألونهم : هل أنت يهودى ؟ ولكنك لا تبدو يهوديا ؟

ثم انه وحده المطالب بأن يموت دفاعا عن الذين لا يعملون من اليهود البيض •

ومن المألوف جدا أن يهرب الصابرا من المستعمرة •• وأن يهرب من الجيش أيضا • لانه لا يعرف عن أى شىء يدافع •• ولا عن أسباب كراهية اليهود للعرب •• انه هو

شخصيا لم ير من العرب شيئا • ولكن أجداده رأوا ••
ولكن ليس من الضرورى أن يؤمن بما آمن به أجداده ••
وهو يسمع دائما : عن أجداده وعن العرب •• ولا رأى
أجـداده ولا رأى العـرب •• ان العـرب فى اسرائيل
لا يحملون السـلاح ولا يقاتلونه •• بل انه يعطف على
العرب لانه مضطهد مثلهم •• فكأن سكان اسرائيل من ثلاث
درجات : مواطن من الدرجة الاولى وهو اليهودى الابيض
الذى لا يعيش فى المسـتعمرات •• واليهودى الملون الذى
يعمل بيـديه ويعيش فى المسـتعمرات •• ثم المواطن من
الدرجة الثالثة هو المواطن العربى •

وهناك جماعات يهودية تكره اسرائيل •• تكره هـذا
الاسلوب القاسى من الحياة • ولكن هؤلاء الكارهين يلقون
أنواعا من العذاب : الحياة فى المستعمرات •• والتجنيد
الاجبارى •

وقد أذاع التليفزيون المصرى حديثا لأحـد الاسرى
الافغان يقول: انهم فى اسرائيل يحتقرون اليهود الشرقيين
وانه شخصيا قد كره هذه الحياة !

وهذا الاسير صادق تماما فى كل ما يقول • وليس وحده
فى كراهية اليهود البيض • ولا فى كراهية الحكومة المضللة
للشعب اليهودى ، وللشعب الامريكى أيضا •

فاليهود يرون أنهم سـادة البشر •• وأن اليهودى

الابيض هو سيد البيض جميعا •• ويليه اليهودى الملون وبعد ذلك تجىء بقية الشعوب •

واليهود يرون أن الحرب ضد الشعوب الاخرى واجب مقدس وليس من الضرورى أن يحاربوهم وانما يساعدون على الحرب • أن يساعدوا على القتل • أن يساعدوا على القضاء على كل الشعوب الاخرى •

وحرب اسرائيل ضد العرب يجب أن تكون واجبا مقدسا وعداء اليهود للمصريين ـ بالذات ـ عداء منصوص عليه فى « التوراة » وفى « التلمود » وفى « المشنا » وفى « الجمارة » وفى كل الكتب اليهودية الاخرى •

أى لابد من قتل المصريين أولا ، وبعد ذلك بقية الشعوب •

وفى الاجتماع السرى الذى عقده اليهود فى مدينة « بازل » بسويسرا فى أواخر القرن الماضى قد أسفر عن كتابة «بروتوكولات حكماء صهيون» •• هذه البروتوكولات تنص على قتل كل من ليس يهوديا • ولذلك يتولى عمليات الاجهاض فى العالم كله ـ وفى مصر قبل ١٩٥٦ ـ أطباء يهود •• وهم يرون أن الاجهاض عمل دينى ، لانه قتل لطفل ليس يهوديا !

ومن الاوهام التى عاش عليها شباب الصابرا أنهم لن يحاربوا مدى الحياة •• لماذا ؟

لان المصريين ــ والعرب عمــوما ــ جهلاء ضعاف .. وأنهم اذا حاربوا فلكى يرفعــوا الروح المعنــوية التى تحطمت بعد ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ .. وانه لا أمل فى أن يقوم العرب . ولذلك فالاســــتعداد للحرب ليس الا عمــلا لاستكمال الوجاهة القومية فقط .

وأهم من ذلك : السياحة !

فاسرائيل تعيش على الصدقات من أمريكا ، وبقيــة يهود العالم . ولان اسرائيل استطاعت أن تخترع لنفسها عــددا من الاساطير الباهرة والتى نشرتها فى كل مكان ، فلابد أن تجىء الشعوب الاخرى تتفرج على الذين قفزوا من تحت الارض الى وجــه الارض لضرب الحضــارات العربية والفرعونية وكل الحضارات القديمة .. وكيف أن عددهم قليل ، ولكنهم رغم ذلك استطاعوا أن يقهروا مئات الملايين .. وانهم أشبه بالانجليز عندما احتلوا الهند .. فالانجليز كانوا مئات الالوف .. والهند مئات الملايين .. ثم انهم كالامريكان الذين دفعهم الاضطهاد فى أوربا الى الهجرة الى العالم الجديد .

ثم انهم يشبهون الالمان الذين دفعهم هتلر الى القتال : فجاءت الدول الاخرى وجردتهم من الســــلاح والتعذيب والاضطهاد .

ثم انهم مثل الزنوج ولهم نفس العـــدد فى أمريكا ٠٠ والناس يهددونهم ٠٠ الى آخر الاســـاطير التى اخترعها اليهود ليثيروا عطف العالم كله٠٠واعجابه فى نفس الوقت٠ ولذلك يجب أن يجىء السياح ليتفرجوا على الحيـــاة فى اسرائيل وعلى المســـتعمرات وعلى صـــناعة « الانســـان الاسرائيلى الجديد» ٠٠ ولذلك يجب أن يكون هذا الانسان مستعدا للعروض العسكرية التى يحبالاجانب أن يتفرجوا عليها ٠

وعندما انهزمت مصر والدول العربيـــة فى سنة ١٩٦٧ أضـــاف اليهود الى تاريخهم معجزة الصـــحراء ٠٠ التى أسموها « حرب الستة الايام » وهذه الحرب لم تستغرق ستة أيام ٠٠ بل أقل من ذلك كثيرا ٠٠ ولكنهم أرادوا أن يجعلوا كل شىء مقدسا ، أو له شكل القداسة ٠ فكما أن الرب عندهم قد خلق العالم فى ســـتة أيام واستراح فى اليوم السابع وهو يوم النسبت أو يوم « الشبوط » ومعناه يوم الراحة ، فكذلك هم أيضا ٠ وبذلك تكون حرب الايام الستة حربا مقدسة !

وفى تاريخ اليهود معارك معروفة : معركة المكابين ٠ وقد جعلوها بطولة أســـطورية ٠٠ ومعركة « الماســـادا » ٠٠ و « الماسادا » معناها « الصخرة » ٠٠ وهذه الصخرة من

أهم المعالم السياحية فى اسرائيل • فالنـــاس يذهبون الى هذه القلعة •• أو الى هذه الصخرة ليروا كيف أن اليهود قاوموا الرومان يوم العيد سنة ٧٣ بعد الميلاد حتى الموت!

ولا يكتفى اليهود بخلق أسطورة الماسادا هذه ومقاومة اليهود بقيادة اليعازر للرومان • وانما يقولون كان عـــدد اليهود وقتها ٩٦٠ رجـــــلا وامرأة وقرروا أن يموتوا بأيديهم فاختاروا تسعة كل واحد قتل عشرة • فبقى ستة• فاختاروا ثلاثة كل واحد قتل اثنين • واختاروا واحــدا كل واحد قتل اثنين • واختاروا واحدا يقتل الاثنين بقتل الاثنين الباقيين •

ثم حرب الايام الستة •• التى انتصروا فيها من الجو على جيش صدرت اليـــه الاوامر بالانسحاب • وســـبق الانســحاب ضرب جــوى لكل طائراتنا عــلى الارض • وصدرت مئات الكتب والافلام والاسطوانات كلها تشيد بالخرافة الاسرائيلية •

بل أن المعلق والمؤرخ العسكرى الكبير ليدل هارت عندما أصدر مذكراته فى مجلدين ، كتب فى المقدمة يصف الضباط الشبان اليهود وقد جاءوا يسألونه النصيحة : كيف نقضى على الجيش المصرى ؟

يريدون أن يوهمــوا العـــــالم أنهم فــكروا ودبروا واستطاعوا هزيمتنا • وانتهى عنـــد الهزيمة كل شىء ••

فالمصريون لن يحاربوا والصـــابرا لن يحاربوا وكمـا أن موسى عليه السلام قد عبر هاربا هو وقومه من مصر الى سيناء •• وكما أنه ضرب البحر بعصـــاه ومشى على قاع البحر وغرق الجيش الفرعونى وراءه ، فكذلك سوف يعمل موسى ديان وســـوف يعبر البحر الاحمر من الشرق الى الغرب برا وبحرا وجوا •

ومعنى هــذا كله أن هــؤلاء الصــابرا لن يحاربوا ، فلا خوف على حياتهم من أحد • لانه لا أحد هناك فى سيناء أو فى الجولان !!

حتى كانت حرب السادس من أكتـــوبر أو العاشر من رمضـــان أو « عيد الكفارة » اليهودى •• والبـــاقى نحن نعرفه وسعداء بذلك ، وسوف يتم الله علينا نعمته بالنصر التام ، أى باسترداد ما كان لنا من أرض وشرف وكرامة • وليس هذا على الله بكثير !

وهذه الحرب كانت صدمة هائلة ، لم يفق منها أحـــد : يهودى أو غير يهودى •

ولكن الذين صدموا فى المقام الاول هم هؤلاء الشبان : الصابرا •• أبنـــاء المستعمرات •• لقطاء اسرائيل •• أو الانسان « المفبرك » أو الانســـان « العمولة » أى الذى صنعوه على أيديهم الملطخة بدماء الشعوب •• أو الانسان المهزوم ، الانسان المحتقر من بقية اليهود •• أو المواطن

من الدرجة الثانية •• فلا المصريون لهم ذيل ، كما قيل له ، ولا هم مصاصو دماء •• انهم لا يقتلون كل من يجدون • ولا يدوسون بالدبابات على الاحياء من الاسرى كما فعل مجرمو حرب سنة ١٩٦٧ •• وانما يقدمون لهم الطعام والشراب •• ويطيلون فى أعمارهم عندما يحقنونهم بدماء مصرية ـ أكبر أنواع العذاب لليهود أن تجرى فى عروقهم دماء مصرية !!

وسوف نرى فى الايام القادمة حشودا من أشجار الصبار ، غابة من هذه النباتات الصحراوية التى جف عودها ودمها وتجردت من كل احساسات الانسان الذى خطفوه من أبويه وفتحوا بطنه فأخرجوا قلبه ، فهو اليوم بلا قلب •• ولا حب لأحد فى اسرائيل أو فى غيرها !

ولا أعرف لماذا لا يختارون لهذه المستعمرات اسما آخر مثل : المستحمرات •• أى الذى تستحمر فيه الدولة مئات الالوف من المواطنين ؟!

انى أذكر عبارة قالها مونتسكيو : سعيد جدا ذلك الشعب الذى له تاريخ يبعث على الملل !

وهو يبعث على الملل لانه بلا حروب ولا ثورات ولا أعمال عدوانية من هنا أو من هناك••واليهود تاريخهم؟ لا يبعث على الملل لانه ملىء بالكثير من الجرائم التى يرتكبونها ضد كل الشعوب ، ولا تملك الشعوب الا أن ترد عليها •

ولكن هؤلاء الشبان الذين تجاوزوا العشرين بقليل قد ملوا تاريخ دينهم وشعبهم •• فهـو لا يتغير •• ولذلك فعندما قامت حرب ٦٧ كان ذلك انعاشا عابرا لهم •• وبعد ذلك ملوه •• لان هذه الحرب أكثرها خرافة ، وأقلها حقيقة فهم لم يحاربوا •• وانما قيل لهم انهم صنعوا المعجزات ولكن هذه الحرب الاخيرة حقيقة •• حرب التحرير ــ نحن الذين نحرر أرضنا منهم ــ لا يمكن أن تبعث على الملل ، وانما ســـوف تبعث على اليأس ، يأســـهم من أكاذيبهم وخرافاتهم الطويلة العريضة •

ولا أعرف الآن من الذى سيردد الاغنية التى استخدمت فى حرب الايام الستة •• الاغنية كانت تقول :

« عندما يجىء الســلام ، عندما يجىء الســلام ••

سيهزمنا الفريق المصرى لكرة القدم فى تل أبيب •

وسنذهب بالقطار الى دمشق •

وننزلق على الجليد فى لبنان » •

انها أحلامهم وأوهامهم • ولابد أنهم قد صـــحوا على تفسير هذه الاحلام ومعنى هـــذه الهلوسة ، ضياعهم كما ضـــاع بارليف !

أطفال العسل والسم !؟

برقية عاجلة من احدى المستعمرات اليهودية طارت الى أمريكا تقول : الحقونا ان عددا من الشبان يتبولون أثناء النوم ..

وهى ظاهرة نفسية تربوية . ولابد لها من علاج . وذهب عدد من علماء النفس والطفل الى اسرائيل ، واتجهوا الى احدى المستعمرات اليهودية ليروا هذا السلوك المنحرف ، وليعرفوا السبب ، وصدرت لهم كتب عديدة تشرح ذلك .

وهى ظاهرة عادية تحدث فى كل اسرة . ولكن هذه البرقية وقد صدرت من احدى « المستعمرات » اليهودية فى اسرائيل كان لها معنى خاص . فقد كان منتشرا بين العلماء

---

(١) انظر كتابى « الحائط والدموع » الطبقة الثالثة ص ٢٥٧ وما بعدها .

الامريكان أن الانحراف نادر فى هذه المستعمرات ولا عدد للدراسات التى صدرت عن تجربة الحياة فى المستعمرات اليهودية منذ أواخر القرن الماضى •

ولكن أحدث الدراسات وأعمقها وأهمها أيضـــا كتاب للعالم الامريكى اليهـــودى « برونو بتلهايم » وعنوانه انظر كتاب « الحائط والدموع » الطبعـــة الثانية ص ٢٥٧ وما بعدها

« أطفال الحلم » ـ والحلم طبعا هو قيام دولة اسرائيل ، أو اسرائيل الكبرى •• الارض التى فيها اللبن والعسل ، والتى يهربون اليها من الارض التى فيها السم •• ســم التعذيب والاضطهاد فى أوروبا وآسيا •• والمؤلف الامريكى أستاذ فى جامعة شـيكاغو ، وهو من أشد الناس اهتمـاما بتربية الطفل • وقد أضاف كثيرا من النظريات الجـديدة وخصوصا فى النمو والاضطرابات العاطفية عند الطفـل • ومن رأى بتلهايم : أن المجتمع الذى يهتم بالطفل ، هـو المجتمع الذى يستحق الاهتمام • ولكى نفهم أى مجتمـع يجب أن نفهم أسسه التربوية • ولكى نفهم هذه الاسس يجب أن نفهم المجتمع الذى نخدمه •

وقد ذهب الى اسرائيل وعاش فى احدى المستعمرات ، ورأى وتأمل • وقرأ ونشر ، لعل أحدا يستفيد من خبرته العميقة • وهو يدعو كل من يهتم بتربية الطفل أن ينظر الى هذه التجربة بكل ما فيها من عيوب ومزايا ولأن هذا الرجل

جاد ولأن الاهتمام بالطفل هو اهتمام بالأجيال الجديدة فى اسرائيل ، وعندنا أيضا فان هذا الكتاب له أهمية خاصة ٠ ولأنه من الضرورى أن نعرف عدونا على كل مستوى ٠٠ وفى كل صورة ، فكل دراسة جادة عن العدو هى فرصة لأن نراه ونتأمله ٠٠ وأن نقارن وأن نعرف وأن نستفيد ٠ والمعرفة فى حد ذاتها فائدة كبرى ٠

هناك عدد كبير من المستعمرات فى اسرائيل يصل الى ٢٥٠ مستعمرة ٠ هذه المستعمرات تديرها الاحزاب اليسارية والدينية ٠ ولذلك فهناك مستعمرات يسارية ويمينية ومعتدلة ودينية ٠ وسكان المستعمرات عددهم يوازى ٤٪ من سكان اسرائيل كلها ٠ وحسب احصائية سنة ١٩٦٤ يبلغ عدد سكان المستعمرات ٨٠ ألفا ــ ٧٤ مستعمرة يسارية (تضم ٢٧٤٥٠ عضوا) ــ و ٥٨ مستعمرة معتدلة (٢٣٥٢ عضوا)و ٧٦ مستعمرة يمينية (٢٤٤٦٧ عضوا) و ١٢ مستعمرة دينية و ٢٠ مستعمرة مستقلة ٠

وهذه المستعمرات الزراعية التجارية الصناعية العسكرية متنوعة حسب حجمها ٠٠ وحسب مساحة الارض التى تشغلها ، وحسب الأحزاب التى تديرها ولكن المعنى العام واحد : انها مستعمرات ملحدة ٠ لا توجد هناك ملكيات خاصة وانما الجميع يملكون كل شىء ٠ أو لا يملكون أى شىء ٠ ولا شىء يعاقبه قانون المستعمرات مثل النزعات

الفردية • أو حرص انسان على أن يكون بمفرده أو له رأى خاص أو اجتهاد فى أى رأى •

وأهم من ذلك أن الطفل لا تربيه أمه • وانما تتولى تربيته فتاة متفرغة أو سيدة تتناوب تربية الاطفال من سيدات المستعمرة • وليس من حق أى أم أن تحتضن طفلها ليلا • فالأطفال ينامون فى مكان آخر • وتتفاوت عقوبة الأمهات اللاتى يملن — أحيانا — الى حضانة الطفل فبعض المستعمرات تطرد الام وتحتفظ بالابن • لأنه ابن المستعمرة وان كانت الصدفة فقط هى التى جعلت هذه السيدة بالذات تلده • أو تطرد الام والطفل • امعانا فى العقوبة فانها تحتفظ بالأب •

أما الجنس فهو حق طبيعى •

وان كانوا فى داخل المستعمرات يستنكرون العلاقات غير الزوجية •

والذين عاشوا فى أولى المستعمرات اليهودية واسمها دجانيا يروون قصصا عجيبة • من بينها أن أهل هذه المستعمرات قرروا ألا يكون هناك زواج ، حتى لا تكون هناك أسرة •• أو مجموعة أسر •• هذه الأسر تترابط وتتماسك وتنعزل وبذلك تتفكك الجماعية •• أى تتفكك المستعمرة كجماعة • وبعد ذلك قرروا أن يكون هناك زواج • ولا يكون حمل أو ولادة •• وكانوا يذكرون فى

تفسير ذلك أن الحمــل والولادة نوع من الاعتراض على سير العمل • فالمرأة يجب أن تعمل مثل الرجل • وأن المرأة قد عاشت طول عمرها مقيدة بالطفل • ومن حقها أن تحرر من الولادة ومن الطفل •

ثم الديانة اليهودية تحتقر المرأة • والرجل فى صلوات كل يوم يشكر الله أن خلقه انسانا وليس حيوانا ، رجــلا وليس امرأة • وعلى الرغم من أن المرأة لعنـــة ومحنـــة وكارثة فى الدين اليهودى ، فان الطفل لا يعتبر يهوديا الا اذا كانت أمه يهودية وعلى اليهود أن يواصلوا مشوارهم الطويل فى أن يتزايدوا حتى لا ينقرضوا أمام الاضطهادات الكثيرة • فالمرأة اليهودية تريد أن تتحرر من أنوثتهـــا وأمومتها ولا تستطيع أن تتحرر من رسالتها التاريخية • ولذلك فسكان هذه المســتعمرة قد قرروا ضرورة الزواج وأن يكون لهم أطفال • وعندما ولد طفل احتاروا فى تربيته هل يخدمه الرجال أم النساء • تعب الرجال • وتحــيرت النساء • وهل ينام الطفـل مع أمه أو وحده ؟ كان لابد أن ينام بعيدا عن أمه •• وكل الاطفال بعيدا عن أمهاتهم •

ولكن لماذا اختار اليهود الحياة فى المستعمرات ؟ لمــاذا هربوا من المدن وعاشوا فى الصحارى ؟ ما هو المرض الذى يعالجونه ؟ ما هو العبء الذى يتخوفون منه ؟ ما الفائدة لهم •• ولغيرهم ؟ ••

لقد عاش اليهود معذبين فى المدن فكرهوها •• ولم يعش اليهود فى كل المدن • وانما فى حوارى المدن • حارات اليهود •• الجيتو هذه الحارات ظاهرة قذرة حقيرة ••• ولكن داخلها تجرى كل طقوس الديانة اليهودية المتعصبة الاسرة تأكل فى مكان واحد •• الاب يتصدر المائدة ويستهل الطعام بالصلاة •• والام تعد الطعام •• فقاعة الطعام مكان للاجتماع الدينى والتعهد والعهد بأن يتحد اليهود من كل لون وفى كل مكان ومن أجل أن يكون لهم وطن •

ولابد أن اليهود قد ضاقوا بهذه الحوارى •

ومعظم هذه الحوارى كانت فى أوروبا الوسطى •• وفى ألمانيا بصفة خاصة ولغة اليهودية ـ اليديشية ـ أصلها ألمانى أيضا •• والتعلم الالمانى جاف قاس ، يضاف الى هذا الضيق : تعاليم الديانة اليهودية المتشددة • وعندما ظهرت جماعة « الطائر المهاجر » انضم اليها اليهود فى أوروبا •• ولم يكن هذا الطائر المهاجر الا رمزا لليهودى الذى يريد أن يهرب من ضيق الحارة والمدرسة والدين ومن أن يشعر بأنه يهودى وسط جماعة من المسيحيين •

ولذلك أقام اليهود مستعمراتهم فى الصحراء • وجردوا هذه المستعمرات من قيود الحارة واللغة والدين •• ولكن هذه المستعمرات تحولت مرة أخرى الى حارات ضيقة •• فاليهود حريصون الآن على أن يتماسكوا وأن يكون مجالهم

أضيق فهم فى جزيرة محاطة بالاعداء •• فقد اختار اليهود أن يغتصبوا أرضا وأن يحاربوا أصحاب هذه الارض •• فالأمن الذى كانوا ينشدونه قد أضاعوه •• واللبن والعسل والزيتون قد اختفت وراءها القنابل والمدافع •

وهذه المستعمرات لها أهمية خاصة لمن يدرس حـــال الطفل بلا أم ولا أب •• أو حال الاطفال الذين لا يلقــون عناية من آبائهم ، مثل أولاد الفقراء •• أو أولاد الملاجىء أو الاطفال الذين تربيهم زوجات الأب •• أو زوج الام • أو الاطفال الذين تتركهم الامهات العاملات للمربيــات والمدرسة • أو بعبارة أخرى : ماذا يجـــرى هناك لتربية الطفل (صلة بالاب والام لان الابوين لهما عمل آخـــر غير تربية الطفل) •

شىء غريب يحدث فى المستعمرات اليهودية وخصوصا بالنسبة للمرأة •• فالمرأة هى التى تحتاج الى المســاواة بالرجل •• وهى التى ترى المساواة فى أن تحرر من لعنة جسمها الذى يمرض كل شهر •• والــذى يعطلها عن أن تكون انسانة تقرأ أو تفكر وانما تظل مربوطة بسلاسل من الحنان والحب الى طفلها الرضيع الذى يحتاج اليها ــ أو هكذا تعلمت من أمها •• ان المرأة لاتكون أنثى الا اذا ولدت •• فالأمومة هى نضج الانوثة ونعمتهــا الكبرى ورسالتها التاريخية أيضا •

ان المرأة فى المستعمرات كثيرا ما رفضت الحمل وكثيرا ما رفضت العلاقة الزوجية •• واختارت الزمالة للجميع أو الاخوة • وهناك يصبح الجنس ثانويا بل أن الجنس يصبح لعنة لانه يهدد المرأة دائما بأنها سوف تفقد حريتها عندما تنتفخ كرشها •

ولكن المرأة لا تقاوم أن تكون أما • من هنا كانت نسبة المواليد عند يهود المستعمرات قليلة نسبيا •• بل ونسبة العقم عند النساء أيضا مرتفعة وربما كان ذلك لأسباب نفسية •• فكثيرا ما يصاب الرجال والنساء بعقم لمجرد الخوف الشديد أن يكون لهم أولاد • وحتى عندما يحدث العقم فان هذا الخوف لا يزول •

ولابد أن تكون هذه المستعمرات صورة بارزة تهم المشتغلين بتربية الشبان وملاحظة الانحرافات الشديدة عليهم : الجنس وادمان المخدرات والشعور بالضياع والشعور بالغربة والميل الى التخريب والانسحاب من حفلات العمل الجماعى الاجتماعى والسياسى والعسكرى •

فهذه مشاكل موجودة فى كل دول العالم •• وقد كان العلماء يتصورون أن الحياة من غير أم تؤدى الى الانحراف وأن الحياة بعيدا عن الابوين كارثة وأن الطفل اللقيط هو لعنة السماء على الارض •• وأن أولاد الفقراء هم الذين يعيشون فى ظروف غير انسانية وأن تربيتهم حيوانية

بدائية •• فالطفل الفقير يبحث عن الضرورى من أى شىء الرغيف واللبن والدواء •• أما حنان الام ورعـاية الاب والمدرسة والمستشفى فتلك أنواع من الترف لا يقدر عليها ولابد أن يكون من واجب الدولة « تأهيل » هؤلاء المواطنين الفقراء وتحويلهم الى أناس صالحين يشاركون فى الحياة ولا يرفضونها أو يتفرجون عليها •

ولـكن يبدو أن الدراسات التى أجـريت على هذه المستعمرات لها دلالات أخرى • لان نسبة الانحراف بين الشبان أقل • فالشبان لايتعاطون المخدرات لانها لا تصلهم وان كانت اسرائيل تهرب المخدرات الى كل دول العـالم ولكنها تحرمها بتاتا • بل ان سكان المستعمرات لايستطيعون شراءها فليس لديهم فلوس •• لان أحدا لا يملك شيئا • ولا أحد يملك أكثر من غيره بل ان الطفل الصغير يجـد أمامه نفس كمية الطعام التى يجدها أمام طفل آخـر مهما كانت صحته ومهما كانت قدرته الجسمية •• بل انهم فى داخل المستعمرات يوزعون الامشاط حتى على الصلع لان الشرط الاساسى هو المساواة المطلقة •

ولابد أن نثير قضية أبناء الملاجىء •• هؤلاء الاطفال الذين عزلهم المجتمع كأنهم مرضى •• وأن مرضهم سريـع الانتشار مع أنهم ضحايا أناس يعرفونهم •• وقد دلت الدراسات على أن هذه التربية الجماعية والحياة الجماعية

تؤدى الى كثير من الانحراف النفسى والاجتماعى •• ولكن يبدو أن الدراسات فى المستعمرات اليهودية •• قد كشفت لنا عن دلالات مختلفة تستحق أن نلتفت اليها ـ وسننقل ذلك فيما بعد لانه من الضرورى أن نعرف ما يجرى فى أرض ونفس مستعمرات أعدائنا •

وليس من الضرورى أن يكون اللقيط مجرما ولا أن يكون اليتيم ذليلا ، ولا أن يكون الفقير حيوانا •• ولا أن يفسر بأنه دون الناس جميعا •

واذا كانت الام هى مصدر الحياة والحنان ، فما الذى فعله الطفل الذى فقـــــد الام أو الاب •• أو كانت له أم انشغلت عنه بالعمل •• فاذا حاولت أن تحنو عليه كانت جاهلة •• أو كان عندها أطفال آخرون •• أو كانت مريضة أو انتزع منها طفلها ليعيش مع أبيه وزوجة أبيه •• لابد أن يفكر العلماء فى ظروف الاطفال الذين ولدوا •• ولكن المجتمع لم يحتفل بهم •• فهناك ألوف الملايين من هؤلاء الاطفال والرجال •

الذين يعيشون على زجاجات اللبن!

كل أم تقول : من يمسح خد طفلى ، فقـــد قبلنى فى شفتى •

جوهرة نفقدها عندما نكبر : أطفالنا •

خلق الله آدم ، ثم عاد فخلق حواء أحسن منه •• ولكنه خلق الاطفال أروع من الجميع ••

أطفالنا الصغار همومنا الصغيرة •• أطفالنا الكبار •• همومنا الكبيرة •

تستطيع أن تفعل من الطفل أى شىء اذا كنت تلعب معه •• ومن الام أى شىء اذا كنت تلعب مع طفلها ••

أطفالنا يولدون فى سن متأخرة ، يتامى فى سن مبكرة •

ما الذى يجعل الزوجة تتحمل سخافة الزوجيـــة ، مرة وألف مرة : أطفالنا •

وغير ذلك تقوله كل أم ••

ولكن ما رأى الأم اذا قرر المجتمع ، أى مجتمع ، أن يعفيها من هذه المهمة ؟ أن يسحب منها وظيفة الأمومة ، وأن يترك هذه الوظيفة لسيدة أخـــرى •• أو لسيدات أخريات • ما رأى الأم اذا استغنى المجتمع عن ثديهـــا بزجاجة ، وعن صدرها بمخدة ، وعن حنانها بعـــادات أخــرى ؟

ان الأم ترفض عادة ، ومعنى ذلك أن تتقبل هذا العذاب وتشكو منه وتجد المتعة فى هذا العذاب وفى الشكوى منه ، ولو حرمتها الابن لأصابها الجنون • ولكن الحقيقة أنه لا توجد أمهات كثيرات فى الدنيا قد تفرغن للطفل ، أو اذا تفرغن للطفل يعرفن كيف يكن أمهات •

ولكن هل حنان الأم ضرورى ؟

فى المستعمرات اليهودية قد جربوا هـــذا النـــوع من الحنـــان ، ورأوا أنه ضرورى لبعض الوقت ولكن ليس ضروريا دائما ، فالحنان ضرورى لكل الحيوانات وللانسان أيضـــا ، حتى القرود اذا ســـحبناها عن صدر الأم وهى صغيرة مرضت ، اذن لابد من حنـــان الأم وثدى الأم ، ولكن من الضرورى أن تكون الأم هى المصدر الوحيـــد للحنان • ويكون معنى ذلك أن الأم هى الحنان الواحـــد المستمر أى الحنان من انسان واحد وبصورة مستمرة ••

ولكن فى المستعمرات اليهودية يربون الطفل بصـــورة أخرى مختلفة عن الصورة المعروفة لدينا جميعا •

فمن المؤكد أن الطفل يحتاج الى الحنان والى الرعاية ، هذا الحنان يغرس فى الطفل نوعا من الأمان ومن الثقة بالنفس ، فهو يثق فى نفسه وفى غيره ، ولذلك لا يفزع ولا يخاف ، يستطيع أن يقلب رأسه يمينا وشمالا وهو فى المهد ، ويمد يديه ورجليه بلا خوف • ومعنى ذلك أن الطفل لا يخاف من شيء وفى نفس الوقت يثق فى غيره ، فهذه الحركات لن يكون رد فعلها أن أحدا يضربه أو يخيفه ، ويثق الطفل فى قدرته على تحقيق احتياجاته ، والطفل الرضيع يثق فى قدرته على الاعتماد على نفسه ، وعلى عدم الاعتماد على الآخرين •

والأم ليست مهمة فى حياة الطفل ، وانما المهم فى هذه الحالة الأمان ، ولا يهم من يكون مصدر الامان والاطمئنان وهناك نوعان من الأمان : الأمان الجسمى : أى ثقة الطفل بجسمه •

الأمان الاجتماعى : أى ثقة الطفل بزملائه الصغار فى العنبر الذى ينام فيه ••

وأهم أنواع الأمان عند طفل المستعمرة اليهودية أنهم يعلمونه أن الأمان الحقيقى هو أنه سوف يعيش ، ولا خوف على حياته ••

وكان فرويد يؤكد دائما أهمية الأم فى حياة الطفل ، ولكن هذه التجارب تقطع بأن دور الأم ليس مهما ، بل

ويمكن الاستغناء عنه ، ولكن هذا الاستغناء لا يتم مرة واحدة ، ولكنه يتم ، فالطفل يفطمونه بعد ستة أشهر أى بعد ستة أشهر من الرضاعة من الزجاجة ..

وهناك خلافات بين المستعمرات اليسارية واليمينية فمستعمرات اليسار تمنع الأم من ارضاع طفلها ليلا ، والمستعمرات اليمينية لا تمانع فى ذلك ، أما الرضاعة فى الليل فممنوعة حتى لا يعتاد الطفل أن ينتظر أمه اذا جاء الليل ، وحتى لايخاف ويبكى فتجىء الأم وترضعه وتطمئنه فى نفس الوقت ، ومن الثابت علميا أن مخاوف أطفال المستعمرات من الظلام فقط .

ففى الظلام يشعر الطفل أنه وحده ولا يدرى ما الذى سوف يحدث له ، ثم انه لا يرى زملاءه الأطفال فى الغرفة التى ينام فيها ..

وطفل المستعمرة لا يعرف التدليل ..

وهو أيضا لا يعرف قسوة الوالدين فلا أب ولا أم تضرب طفلها لأى سبب بل لا توجد أسباب لأن يفعل أحدهما ذلك .

فالأم تعلم أنها ضعيفة أمام طفلها وأن لها سلطان عليها ، وعلى الرغم من أن الطفل يحتاج الى أمه جسميا ونفسيا واجتماعيا ، فانه يستطيع أن يتحكم فيها جسميا

ونفسيا واجتماعيا ، والأم تعلم قوة الطفل وتخشى من سوء استغلاله لهذه السلطات •

وسيطرة الأب على الطفل هى التى خلقت (عقدة أوديب) ، أى تعلق الطفل بأبيه ثم اغتياله بعد ذلك •

ولكن ماذا يحدث لو أن المستعمرة جردت الابن من سلاحه ، والأب أيضا •

ان الآباء قد نزلوا عن سلطانهم للمستعمرة ؛ أو لمجتمع المستعمرة ، فالاطفال أبناء المستعمرة ؛ ولا يقول الطفل ابن فلان • وان كان الأب أحيانا يقول : هذا ولدى ، ويكون الرد عليه : فعلا ذلك ؛ وفى نفس الوقت ابن المستعمرة •

وقد دارت مناقشات حادة بين أحد الآباء وزملائه رجال المستعمرة ، الأب يقول:انه ابنى • ويثور الرجال قائلين : بل هو ابننا جميعا ، وأنت ما الذى فعلته له بالمرضعة والمربية ؟ قدمنا له الطعام والشراب والعلم والعلاج، فماذا فعلت أنت ؟ وماذا فعلت أمه أيضا ؟ ان الدور الذى تقوم به المربية هو امتداد لدور الأم ، ولكن المعنى المقصود غير ذلك : المطلوب هو الغاء دور الام •

وبذلك يكون دور المربية هو دور المستعمرة نفسها ، فهى مندوبة عن المستعمرة ، والطفل مرتبط بزملائه الاطفال وعندما يكبر ويبكى فى الليل فان زملاءه يتولون

اسكاته ، انهم مرتبطون به ، انهم مجموعة من التوائم بحكم العشرة والنشأة والأمان المشـــترك فهم يرتدون ملابس متشابهة ، ويأكلون طعاما واحدا ، ومن الممكن أن تتغير المربيات مع بداية الفطام ، فكأن المستعمرة تفطمهم عن اللبن وعن المربية التى تقدم لهم اللبن ، وتظهر مربيــة عندما ينقلون من الحضانة الى رياض الاطفال •• ومعهم مختلف اللعب المختلفة ، فاذا رأوا هذه المربية يوما ماحدث شيء غريب ، ان أحدا لا يحبها ولا يسلم عليها ولا يقول لها : شالوم ــ أى سلام عليكم ، وانما هى التى تقــول فهم لا يشعرون نحوها بأى امتنان خاص ، وكذلك بالنسبة للاب والأم ••

ولفت نظر علماء النفس الاوروبيين والامريكان الذين زاروا المستعمرات اليهودية أن الاطفال يمصون أصابعهم وظاهرة « مص الاصابع » معناها أن الطفل يحتاج الى شيء ، ويظل يضع اصبعه فى فمه الى أن تتحقق رغباته ، فما الذى تفعله المستعمرة فى هذا الموقف ؟

كان الجواب : ان الطفل اذا كان يريد شيئا فقد وافقنا على أن يمص اصبعه ، وبذلك يكون مص الأصابع غرضا فى ذاته ، وليس عندنا ما نعطيه له أكثر من ذلك •

فالطفل لا يأخذ أكثر مما يأخذه غيره ••

فالسرير والغطاء ملك للمستعمرة ، واللعب أيضــــا ،

فهى جميعا « عهدة » يستخدمها ويتركها لغيره ، وهـــو أيضا « عهدة » لا يستردها أحد وانما عهدة تنتقل من يد الى يد ومن مرحلة الى مرحلة . خطوة خطوة .. بلا خوف ولا دين ..

ومن المعروف أن الانطباعات الاولى هامة وعميقة جدا عند الطفل ، ولابد أن ملازمة الأم للطفل هى التى جعلته يتعلق بها ولا يرى غيرها ، فاذا انفصل عنها بكى ، ولكن يمكن أن تقوم المربية بهذا الدور ، ولكن لأن المربيـــة لا تستطيع أن تعنى بطفل واحد ، أو بكل الأطفال بنفس الدرجة ، فان المربية لا تستطيع أن تعطى نفس انطباعات الأم ، وليس ضروريا ، ولكن الذى يترك الأثر العميق فى نفس الطفل هو طفل آخر ينام الى جواره فى سريره ، أو فى السرير المجاور له فاذا حدث أن ابتعد هذا الطفل عن جاره ، لأى سبب ، لوحظ أن الطفل يمتنع عن الطعام حتى يعود اليه الطفل ، وبذلك يرتبط الطفل بزميله .. وفى ذلك يعتمد الطفل على غيره من الاطفال ويرتبط ، وبذلك يكون فى المستعمرة عشرات التوائم : نفسيا واجتماعيا .

وقد لوحظ أن الأطفال فى هولندا مثلا يعيشون فى بيوت نظيفة وصحية جدا ، ولكن يحب الأطفال فى هولندا أن أمهاتهم يتركنهم فى البيت وبذلك لا يوجد عند الطفل وقت للعب ، والطفل الذى لا يلعب لا يستطيع أن يكتشف العالم

الخارجى ، ولا أن ينشط خياله ولا أن يثق فى أصابعه وفى نفسه أيضا ، ولذلك فاللعب ضرورى لأنه عن طريق اللعب يكون الطفل اجتماعيا ، ويصطدم الطفل بغيره ويعرف حدود قدرته ، ومن الضرورى أن يعرف ذلك فى كل وقت .

والطفل اليهودى فى المستعمرة كلما كبر عرف العالم الصغير الذى حوله واستغنى عن أمه تماما ، وعن المربية . ولا يحب أحدا : لا أمه ولا مربيته ولا مدرسته ، وانما يحب زملاءه ، ويحب المستعمرة ، وفى ذلك استغناء عن الأب والأم والدين ، فالمستعمرة هى أبوه وأمه ووطنه ودينه ومستقبله .

حدث أن دارت مناقشة بين أعضاء احدى المستعمرات ، وكان موضوع المناقشة : ولماذا لا ينام الطفل ــ فقط ينام ــ فى غرفة والديه ، على أن يعود فى النهار الى مكانه من المدرسة ؟

وقرر طفل فى التاسعة من عمره أن يشترك فى هذه المناقشة ، لأن الموضوع يهمه هو وزملاءه أيضا ، وكان رأى الطفل أنه يفضل أن ينام مع والديه ولما سئل عن السبب قال : اننى أسمع صوت الذئاب والكلاب .

وقيل له : لماذا ؟

قال : لأننى أحس بوحشة شديدة ، أما هناك فلا أحس بشىء من ذلك ! ..

قيل له : ولكنك عندما تكون مـع والديك فانك لسـت وحدك ، أنت تنام فى غرفتهما •

وكان جوابه : ولكن والدى ليسا معى طول الوقت •• ولكن زملائى ورفاقى معى طول الوقت •• ومنذ ولدت •

وفى احدى المستعمرات ترك أب ولده ، ثم عاد اليه بعد عشر سـنوات وتقدم بطلب لكى يتمكن من رؤية طفله ويسلمه بعض الهدايا ، واعترضت المستعمرة على الهدايا ، وسألت الأب ان كان يمانع فى أن يمنحها للمستعمرة كلها •

ووافق الأب بشرط أن يستبقى واحدة لابنه ، واعترضت المستعمرة أن يكون لطفل واحد أى ميزة لا تتوافر عند بقية الاطفال ، ووافق الأب وحددوا موعدا للقاء الاثنين

وجاءت المربية وقدمت الطفل ، وتركت الابن وأباه ، ولم تمض سوى دقائق حتى انفصل الاثنان ، والدموع فى عينى الأب ، واستنكرت ادارة المستعمرة أن يكون الأب بهـذا الضعف أو بهذه الانسانية ، ففى ذلك خوف على الطفل قد يهز قلبه أو يترك فى نفسه أثرا سيئا أو ضـعفا ، أما بكاء الأب فسببه أن ابنه يتكلم العبرية أما الأب فلا يعرفها كما أن الابن لا يعرف اللغة البولندية ـ لغة والديه •

فما الذى يريدونه فى هذه المستعمرات ؟ ما الذى يريدون أن يغرسوه وأن يقتلعوه أيضا ؟

انهم يريدون أطفالا بلا أمهـات ولا آباء ، ويريدون

أمهات ليست كل صفاتهن أنهن أمهات •• وآباء ليست كل مؤهلاتهم أنهم آباء ، ولا بد أن يعملوا شيئا آخر • وأن يتركوا للمستعمرة أن تتولى الباقى ، وأن يكون الحب والولاء للشعب وللمستعمرة وللارض وللتاريخ •• ولتاريخهم هم ••

قالت سيدة لها ثلاثة من الأولاد يعيشون فى مستعمرات متفرقة •• لا أعرف بالضبط ان كنت فقدت ولدتهم ، ولا أعرف ان كنت الآن أحس بأى شىء نحوهم •• أما الثلاثة فأنا أعرف شعورهم •• لا شىء •

وسنمضى فى عرض هذه التجربة الغريبة العجيبة لأطفال بلا أمهات ولا آباء •

الكلاب تأكل كل قلوب الأمهات!

نعود الى قصة الملك سليمان .

فقد جاء الى سليمان امرأتان ومعهما طفل .. وكل واحدة تقول : هذا ابنى ..

ولم يعرف الملك سليمان حقيقة الامر .. وفكر قليلا . ثم اقترح عليهما حلا : أن يقطع الطفل نصفين .. فوافقت واحدة وصرخت الاخرى .. وأدرك الملك سليمان أن هذه الصرخة لا تصدر الا عن قلب أم .. فأعطاها الطفل .

ولو ذهبنا الآن الى المستعمرات اليهودية ، وجاءت امرأتان وتشاجرتا على طفل وصرخت الاثنتان فى نفس واحد ، فان النتيجة معروفة : هى أن المستعمرة تطرد السيدتين ، أما التهمة فهى : أن كل واحدة منهما تريد أن تهدم نظام المستعمرة الذى يقوم على ضرورة ابعاد الام عن الطفل ، والطفل عن الام ، فلا أم لاحد ، ولا أب لاحد

ولا ابن لاحد •• فالكل للمستعمرة •• هى أم الجميع وأبو الجميع •

والاطفال بعد الثالثة والخامسة لا يشعرون بضرورة الام أو الاب •• فليس للاب دور •• وكذلك الام ــ فلا هى تطعمه أو تعلمه أو تكسوه • واحساس طفل المستعمرة بوالديه •• كاحساس أبناء الفقراء فى أى مكان فى العالم : ضعيف وليس ضروريا من وجهة نظر الاطفال على الاقل •

وفى هذه السن يواجه الاطفال مشكلة هامة جدا : كيف يذهبون الى دورة المياه ليلا ؟

كثيرون من أطفال المستعمرة يتبولون فى فراشهم فماذا يحدث لهم ؟ من المعروف أن المربية ليس عندها متسع من الوقت لتدريب كل هؤلاء الاطفال ولذلك ليس لدى الاطفال آداب دورة المياه •• ومن هنا كانوا يتبولون فى الفراش •• فاذا فعلوا ذلك فماذا يحدث ؟ لن يضربهم أحد لن يؤذيهم أحد ولا يشعر الطفل بأنه أخطأ كثيرا •

تقول سيدة ذهبت الى أمريكا ومعها طفلها بعد أن أمضيا فى احدى المستعمرات عشر سنوات : فوجئت بأن طفلى لا يذهب الى دورة المياه اذا كنت فى البيت •• فلا أكاد أخرج من البيت حتى يذهب اليها • وحاولت أن أعرف السبب •• ولما سألته قال : اننى أريد أن أترك باب دورة

المياه مفتوحا كما اعتدت فى المستعمرة ولكنك لا تحبين ذلك •

وقد سئل كثير من أطفال المستعمرات : ما الذى تذكره عن طفولتك ؟

وكانت الاجابة واحدة : كنا نخاف من الظلام اذا ذهبنا الى دورة المياه ليلا •

ولكن يمكن أن نفكر فى الاسباب التى تجعل أطفال اليهود فى المستعمرات يتبولون على أنفسهم •• لابد أن هناك أسبابا منطقية •• فالطفل يولد وينمو ويكبر على عدد من التعليمات تقول له : أنت لاتملك شيئا •• ولا أحد كذلك •• ويجب ألا تملك شيئا •• فأنت ملك للمستعمرة طعامك وشرابك وملابسك ولعبك وسريرك وغرفتك •• كل هذه الاشياء « عهدة » •• لا مال •• ولا بنون •• ولا آباء •• الجميع للجميع •• كل شىء •• من أجل المستعمرة •• ولابد أن يكون الشعور العام بأن الانسان يجب ألا يمسك شيئا أو يحتفظ بشىء هو الذى يدفع الطفل الا يمسك نفسه عن التبول •• ألا يحتفظ بشىء فى نفسه والعالم الكبير فرويد له رأى فى ذلك هو أن الطفل الذى يمسك نفسه من التبول والتبرز •• هو الطفل الذى يستطيع أن يملك شيئا ويجب أن يملك شيئا •

ولذلك فالمستعمرة لا تشجع الطفل على أن يتمسك

بأبيه ، ولا أن يتمسك به أبوه •• وتمنع حق الاب أو الام أن تعطى طفلها هدية ، أو ملابس جديدة ، فيمتاز عن غيره من الاطفال •• ممنوع •• الاختلاف عن غـــيره ممنوع وكثيرا ما شكت طفلة بأنها تريد فستانا آخر مثل زميلـه لها فى غرفة النوم •• ولكن المربية تمنع أمها من ذلك •• ثم تذهب الى الطفلة •• التى حصلت على فستان آخر جديد وتسحب منها الفستان وتتشاجر مع أمها •

ويحدث كثيرا أن تذهب المربية الى أم أحـــد الاطفال وتدفع باب غرفتها بقوة وتخطف الطفل من صـــدرها •• والطفل يبكى •• والام أيضا •• ثم تضع الطفل بين زملائه فى غرفة النوم ، فليس من حق أى أم أن تحتضن طفلها ، ولا أن تعلمه على الارتباط بها •• وتذهب الام وتنظر الى طفلها من وراء السور أو النافذة •• ويكون الطفل قـــد سكت •• وتبلع الام دموعها •

وفى الصباح تجد على باب غرفتها هذه العبارة : ليس من أجل حنانك أقيمت هذه المستعمرات • أن كان عندك قلب فاخلعيه واعطيه للكلاب • فكلنا أمهات.•• ولكن المستعمرة أم الجميع •

واذا نظرت الى الاطفال وهم يلعبون •• وجدت كـل طفل مشغولا بشىء •• فاللعبة واحدة متشابهة • ولا يوجد طفل يمسك شيئا فى يده •• وأحيانا تلمح طفلة قد أمسكت

مخدتها ووضعتها على صدرها •• ان هذه الطفلة تشعر بشىء من الامان اذا فعلت ذلك •• ولكن اذا حاول أب أن يبعث بلعبة الى ابنه ، استولت عليها المربية وأخفتها عن الاطفال جميعا •

وعند تقديم الطعام ، لاطفال فى الخامسة من العمر ، يلاحظ أن الاطفال لا يغسلون أيديهم •• أو يغسلونها •• انهم أحرار •• فلا يوجد أحد يضرب على يديه ويقول له اغسل يديك •• وفمك •• اياك أن يقع شىء على ملابسك •

لا أحد يقول للطفل ذلك •• لا تهديد •• لا تخويف •• ولا توجد هذه الغيرة أيضا بين الاطفال •• فلا أحد يملك أكثر من الآخر •• ولا أحد يرتدى ملابس أحسن من الآخر •• ولا يتناول طعاما أفضل من طعام الآخر •• والجدران عارية من الصور واللوحات •• والارض كذلك والاطباق واحدة والشوك والسكاكين •• وجميع الاطفال يعملون على تربية الدواجن والاغنام •

ولا خوف عليهم اذا خرجوا من المستعمرة •• فلاسيارات ولا قنوات ولا تلال ولا جبال •

ولاتوجد علاقات بين الآباء فيقول واحد : ان ابنى متفوق على ابنك ••

ليست لهذه العبارة المعنى الذى يعرفه آباء الطبقة المتوسطة •• يروى أحد الآباء أنه عرف بمحض الصدفة

أن ابنه قد تفوق على زملائه فجلس على مائدة الطعام فى الغرفة الجماعية وقال : اننى أتوقع لابنى مستقبلا عظيما •

فقررت المستعمرة نقل الابن الى مستعمرة أخرى حتى لا يثير الاب نزاعا بين الآباء وبين الأبناء أيضا •

واللغة أيضا ليست مشكلة •• فالطفل يجد دائما من يتحدث اليه •• انه لا يشكو العزلة •• ولذلك نجد الأطفال يتحدثون فى سن مبكرة ولا يخافون من الخطأ •• والشعور بالوحدة الذى يلازم المراهقين لا وجود له أيضا •• لانه من المستحيل أن يكون الانسان وحده ••• أو يتركه أحد وحده •• بل من المستحيل أن لا يكون له صديق •• وبذلك ينفرد اثنان فى مكان دون بقية الاطفال أو الشبان •

فاذا تزوج اثنان من الشبان •• فليس من الضرورى أن يتناول الاثنان الطعام على مائدة واحدة •• بل يذهب الرجل الى مكان والزوجة الى مكان آخر •• وعند النوم فقط يلتقى الاثنان •• ولا تنظر المستعمرة بارتياح الى زوجين متلازمين ، ان المستعمرة تسخر من هذه الرومانسية البلهاء •

وفى أحد الافلام اليهودية التى تعرض فى المستعمرات قصة اسمها « لكى نكون وحدنا » •• الفيلم يصور طفلين

تقاربا وتحابا واتفقا على الزواج • وتزوجا •• واتفقـا ألا يكون لهما أطفال حتى لا يتباعدا • ولكن جاء طفل رغم ذلك •• وكان الاب يتمنى أن يكون الطفل ولدا ، وكانت الام تتمناه بنتا •• وكبر الطفل الـــذكر • وحاول الاب والام أن يخطفا الطفل ويتركا المستعمرة وأن يعيشـا فى المدينة ، ولكن الطفل رفض الذهاب معهما ــ وحاول الابوان اغراءه بالملابس والهدايا واللعب •• ولكن الطفل رفض • واتهم الابوان مربية الطفل بأنها هى التى حرضته ••• وأمام القاضى أعلن الطفل أنه لايحب المـربية ولا يحب أمه أيضا • وأنه لا يشعر نحو أحد بأى شىء •• ونزل القاضى من المنصة ليقبل الطفل وهو يقول : ابن المستعمرة البار •

وقبل أن يعلن القاضى حكمه بابعاد الطفل عن أبويه • وابعاد الابوين عن المستعمرة تقـــدم الطفل وعمره عشر سنوات ليقول للقاضى : وأرفض هذه القبلة • انها رشوة احتقرها •

وكانت سعادة القاضى أكبر • لان الطفل بلا عواطف • ولا يشعر بالامتنان لاحد من الناس •

وفى ١٦ أبريل الماضى نشرت صحيفة « هيرالد تربيون » الامريكية مقالا بعنوان « آباء وأبناء : خيال وحقيقة » انها قصة الاب اسحاق ياشيف سنجر يقول فيها انه التقى

بابنه بعد عشرين عاما •• الابن اسمه : اسرائيل زامر — وزامر هى الترجمة العبرية لكلمة سنجر الانجليزية التى معناها المغنى أو المطرب أو الزامر •• أما الابن فقد نشر قصته فى احدى المجلات الاسرائيلية •• يقـول الابن أن والديه انفصلا وهو فى الخامسة من عمره •• الام ذهبت الى روسيا والاب ذهب الى أمريكا •• وبقى هو فى بولندا ثم نقلوه الى تركيا •• ومن تركيا الى فلسطين الى احدى المستعمرات •• وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ذهب الى نيويورك لزيارة والده • نزل الى الشاطىء •• عرف والده •• اقترب منه •• احتضنه الاب وقبلـه •• وركب الاثنان السيارة •• ولم يدر بينهما كلام •• حاول الأب أن يحطم الجمود بينهما •• ولكنه ظل كما هو ••• أما الاب فيروى قصته مع ابنه • فيقول انه تلقى خطابات ابنه •• الخطابات تحاول أن تقرب بينه وبين ابنه •• ولغة الابن خليط من العبرية القديمة والعبرية الحديثة •• وقد مزق الاب هذه الخطابات •• وقبل ذلك ذهب الاب لزيارة ابنه فى المستعمرة •• لقد تصور الابن أن والده سـوف يجىء فى سـيارة كبـيرة وان المسـتعمرة سـوف تحمله حملا لكى يرى والده ، وسوف يجده أبيض الوجـه أشقر الشعر غليظ العنق • ولكن الاب كانت صورتهمختلفة ولم يشعر الابن بشىء غير عادى عندما رأى والده •

ويقول الابن : جاء والدى •• وابتسم ابتسامة عريضة بلهاء للجميع •• وهز رأسه معجبا بكل شىء ، أما ملابسى فكانت بسيطة باهتة مثل لون بشرتى ولم أجد ما أقوله •• ولم أطلب الى والدى أى شىء •• ولما سألنى ان كنت أريد شيئا •• قلت : لا شىء •• وفعلا كنت أقصد ذلك •

يقول الأب : وعندما التقينا فى نيويورك وجدت المسافة بينى وبينه كبيرة لا يمكن عبورها ، وعقدة لا يمكن حلها • وكنت أنا الذى أحاول أن أجعل الماء دما •• أى أجعل مجرد التعارف : أبوة وبنوة ــ ولم أفلح ••

انتهيت القصة التى نشرتها الصحيفة الامريكية • وهى قصة يمكن تكرارها ووقوعها فى أى وقت لاى أحد فى أيـــة مستعمرة يهودية •

والذين كتبوا تعليقا على هذه القصة يقولون : انه ليس من حق الاب أن يتوقع شيئا من ابنه •• لان الابوة ليست اسما يضاف الى اسم الابن • وانما هى علاقة متواصلة منتظمة •• وهذه العلاقة لم يكن لها وجود •• وكذلك الابن لا يعرف الاب ولكن يعرف عنه •• يعرف أنه انفصل عن الام • وأن الام قررت أن تترك طفلها لاحد من أقاربهـــا لانها لا تستطيع أن تعوله وحدها •

فالمستعمرة وفرت هذا العناء على الابوين •• ولذلك

ليس من حق الابوين أن يطلبا شيئا من الامتنان لما قاما به نحو الطفل •• فهما لم يقوما بشيء فلامعنى للابـــوة ولا للامومة ولا للبنوة أيضا •

وبذلك تكون عـــــلاقة الابن بوالده ، والبنت بوالدتها ليست من العقد النفسية التى يعانيهـا ابن المســـــتعمرة اليهودية •• ولذلك دلت الابحاث المـــــدنية على أن طفل المستعمرة أقل اضطرابا عاطفيا •• وأقل انحرافا •• فهو فى نعومة الرخام وبرودته أيضا • ولابد أن تكون للمراهقة فى المستعمرة اليهــودية دلالة أخرى ومشاكل أخـــــرى أيضا •

ما الذى يفعله القنفذ فى الشتاء؟

الذين أسسوا المستعمرات اليهوديةكانت حياتهم مختلفة تماما : منتهى الانطلاق . لا قيود . لا حواجز . لا فوارق لا أحد يملك شيئا .. ثم لا شيء ممنوع .

لقد جاءوا من الحوارى فى أوروبا ، قرروا ألا تكون هناك حارات فى المستعمرات . الابواب مفتوحة بعضها على بعض .. الايدى والارجل والافواه متقاربة . الجنس بلا زواج .. والزواج بلا أولاد .. والاولاد بلا رعاية .. فقد تعبوا من كل ما هو قانون .. ومن كل ما هو دستور وشريعة .. ولذلك كانوا اباحيين .. وكانوا ملحدين أيضا ـ معظم المستعمرات اليهودية الآن ملحدة فيما عدا المستعمرات التى تديرها الاحزاب الدينية .

وكان لمؤسسى المستعمرات اليهودية حكمة : انهم جاءوا يعملون كل ما كان ممنوعا . وما كان محرما عليهم .. كانوا

لا يزرعون الارض ولا يملكونها فأصـــبحوا يزرعــونها ولا يملكونها أيضا فالارض ملك للجميع ••

ولكن أم يستفد المؤسسون شيئا كثيرا من الحــريات الجنسية •• ولذلك عادوا فقيدوا الجنس •• بل يمكن أن يقال أنهم منعوه •• أو ضغطوا عليه حتى اختفى • ويكفى أن ننظر الى الشبان المراهقين •• ماذا جرى لهم •• ان الشبان والشابات ينامون فى غـــرف واحدة حتى الثامنة عشرة ، أى قبل الالتحاق بالجيش •• الشـــبان ينامون متقاربين من الشابات •• ومنذ الطفولة •• لا أحد يخجل من شىء •• فهـــم يتجاورون مرهقين •• ويذهبون الى الحمام معا •• والى دورات المياه المكشوفة •• لا أحــــد يخفى شيئا •• ولا أحد يخجل من أى شىء : فــكل شىء ظاهر •• الانوثة عارية والرجولة بارزة •

واذا نظرنا الى برنامج الدراسة والعمل اليومى عنـــد شبان المستعمرات اليهودية وجدنا حياتهم مليئـــة بساعات من الارهاق المستمر •• فبعد الدراسات لابد من ساعات العمل فى تربية الحيوانات أو الدواجن أو المزرعة أو صيد السمك أو العنايةبالقنوات أو الفاكهة أو البحيرات الصناعية وكل شىء بنظام •• وفى ساعات محدودة •• ولا يتبقى بعد ذلك للشاب أن يفعل شيئا •• ينام فقط •

وفى حياة الشبان لا شىء جديد •• فحياتهم مشتركة •

وافكارهم متشابهة وليس عند أحد شىء يخفيه •• ولذلك فليست لهم أعماق خاصة •• ولا حتى أحلام يقظة • حياتهم كلها فى الخارج •• أما حياتهم الداخلية •• النفسية فليس عندهم متسع من الوقت لكى يكون هناك خيال وأحلام يقظة وليس عندهم وقت لكى يتساءل أحد ، ماذا سأفعل غدا ؟ فلا داعى لهذا السؤال •• فالمستعمرة قد ضمنت له الغد فمن المؤكد أنه سيجد ما يأكله •• وما يعمله •• وليس عليه أن يقلق على شىء •• وانما عليه أن يتعلم وأن يعمل • وأن يتفوق فى عمله •• والذى لا يعمل لا يجد ما يأكله •• ومن الممكن معاقبة المهمل بأن يأكل وحده •• وأن يتعذب بمقاطعة زملائه له •

ومن المألوف فى الخطابات التى يبعث بها أبناء المستعمرات الى أقاربهم أن نجد هذه العبـــارة : لقد تأخرت عليك فاعذرنى : ليس عندى وقت •

ومن الاشياء التى يشكو منها الشبان التعب • الدراسة مرهقة وشاقة • والعمل أيضا •• ولذلك يسخر الشــبان فى المستعمرات ويقولون : آباؤنا هربوا من السجون ليبنوا لنا هذه السجون : المدارس •

ولا أحد يشعر بالاشفاق على هؤلاء الشبان • فهـــم يتعبون ويتساقطون نياما على العشب •• أو تحت الاشجار فاذا سألت أحد المدرسين : لماذا كل هذا التعب ؟ ويكون

رد المدرس ، ما دام التعب عاما ، فلا معنى للشكوى • واذا قلت له : لماذا لا تكون راحة عامة أيضا ؟ ويكون جوابه الحاضر السريع : انهم أحسن منا ، فقد كنا نتعذب فى السجون وحوارى اليهود • أما الآن فعلى الشبان أن يحموا مكاسبهم • وعليهم أن يتوارثوا أن الحياة صعبة • وأن الذى وصلوا اليه الآن لم يكن أمرا سهلا •• يجب أن يرضعوا العذاب ، وأن يذوبوا تعبا •

حدث أن رأى أحد السياح الامريكان شابا يتعثر من التعب •• فلما حاول أن يمد يده اليه ، منعه أحد رجال المستعمرة قائلا : اتركه •• لا خوف عليه •• انه سوف يقع على أرضه •• ولن تدوسه سيارة •• ولن يأكله الذئب •• انه أحسن حالا من أجداده •• كانوا طعاما للكلاب فى سجون أوروبا •

ولم يلاحظ هذا السائح الامريكى أن أحدا قد وقف ليأخذ بيده • ولما اندهش قيل له ان شيئا من هذا يحدث فى العواصم الامريكية •• فلو سقط انسان فى الطريق ، فان أحدا لن يتعطل من أجله •• وانما يشير برجله الى أحد رجال الشرطة •• أى أنه ينبهه الى أداء واجبه •

واذا أردت أن تفهم معالم الشاب اليهودى فى هذه المستعمرات فانها ببساطة هكذا : لا سلطان للاب أو الام أو الدين عليه •• وهو فى نفس الوقت ثائر على التقاليد

على البساطة •• وتعترض على أن يمتاز أحد على أحد ـ الشابات عن الشبان • وتعترض على استخدام أى أسلوب فى الاثارة الجنسية • لأن الجنس يشغل الجميع عن العلم ولابد من القضاء نهائيا على اثارة مثل هذه القضايا ، حتى لا تكون هناك مناقشات • وحتى لا يكون هنـــاك طرفان متنـــازعان • فلا ضرورة للنزاع •• ولا ضرورة لتعدد الاطراف ووجهات النظر •• وانما الواجب أن يكون هناك شىء واحد موحد : زى واحد •• طعام واحد • رأى واحد هدف واحد •• أمل واحد •• وطن واحد •

فاذا ذهب الشبان الى الجيش أحسوا بالسعادة • ففى الجيش ساعات عمل محدودة • وأجازات أسبوعية وسنوية وأطعمة مختلفة وفرصة للراحة والتنويع •• وحريات أكثر ومن الممكن أن يكون له أصدقاء من الجنسين • أما الصداقة فى المستعمرة فممنوعة منعا باتا •• ممنوع أن ينفرد شاب بشاب ويتحدثا •• ممنوع •• لان الزمالة فوق الصداقة وأبناء المستعمرة زملاء • لا أصدقاء •

والكاتب الاسرائيلى عجنون الذى فاز بجائزة نوبل فى الأدب يقول : المصافحة باليد أحسن من الاحضـــــان •• والاحضان احسن من القبلات ، والقبلات على الجبين احسن من القبلات على الشفتين •• الافضل أن يسلم الانسان من بعيد •• بعيدا •• اللمس يكفى • الزمالة أفضل من الاخوة

الموجودة فى المدن •• فى كل المدن •• ثم أنــــه يعتقد أن الجنس طبيعى وضرورى وصحى ، ولكن ليس الآن •• وهو حر فى اختيار الدين الذى يؤمن به والعقيدة التى تعجبه • والغريب أنه ليس لديه وقت لكى يكون له رأى فى أى شىء فهو لا يأكل ما يعجبه •• وانما يأكل ما يقدمونه له •• وهو لا يلبس ما يريده ، وانما الذى يريدونه له •• ولا يرى الافلام التى تعجبه ، وانما التى يعرضونها عليه • ولا يعرف ان كانت فى الدنيا أشياء أخرى غير التى اعتاد عليها ••• ولا يعرف اذا كانت هناك أساليب أخرى للحياة •• ولذلك فهو اذا خرج من المستعمرة لابد أن يعود اليها •• لانـــــه اعتاد عليها •• واعتاد أن يجلس ويأتوا له بالطعـــــام والشراب •• وأن كل ذلك بلا فلـــــوس •• فلا فلوس فى المستعمرات •

ولكن أحيانا تشتد المناقشات فى داخل المستعمرات •• ويكون موضوع المناقشات بين الشبان غريبا •• من ضمن الموضوعات : هل الذى يرتديه الجميع مناسب ؟ هل نبحث عن زى آخر •• فاذا أثيرت قضايا الازياء ، كانت الفتاة هى صاحبة هذه القضية •• فالفتاة فى المســـتعمرة تريد فساتين أنيقة •• ولكنها لا تستطيع •• تريد أن تســــوى شعرها وأن تصبغ أظافرها وشفتيها ولكن المستعمرة كلها تعترض على ذلك •• لعدة أسباب : تعترض على الخروج

والاخوة أفضل من الصداقة •• والصداقة أوسع من الحب والحب مثل الكراهية غليان كريه •

ولذلك من المناظر المألوفة بين الشبان فى المستعمرة أن يقول الواحد للآخر : سلا ، شالوم •• وكيف حالك ؟ ثم لا يتوقع ردا على ذلك •• انها عادة أن يقول بعض الشبان شيئا •• وعادة أخرى ألا يرد عليه أحد بشىء •• وليس عند الشبان شىء يقولونه •• فهم جميعا يعرفون كل شىء وليس عند أحد ما يضيفه الى معلومات أحد •• ولذلك من المشاهد المعروفة فى المستعمرات أن تجد الشبان جالسين فى صمت •• جالسين فى حالة انتظار : بعد الدراسة يجىء العمل • وبعد العمل تجىء الراحة •• وبعد الراحة تجىء الدراسة •• وهكذا بانتظام •

ومن الاشياء الغريبة التى لاحظها السياح الذين يزورون المستعمرات أن الشبان يهجمون عليهم فى غرفهم فى أى وقت •• ويتحدثون اليهم •• ومن الممكن أن يكون السائح فى نصف ملابسه •• ولكن أحدا من الشبان لا يشعر بحرج •• فقد اعتادوا على أن يكونوا عراة جميعا •• رجالا ونساء وشبابا وشابات •• ومن المألوف أن نجد شابا يقوم بربط السوتيان لفتاة •• دون أن تجد الفتاة ما تخفيه أمامه •

ويتضايق السياح عادة وينتظرون تفسيرا لذلك •• والتفسير واضح : أنه فى داخل المستعمرات لا توجد

خصوصيات •• لا أحد يملك شيئا خاصا • ولا زيا خاصا لا غرفة خاصة •• ولا ملابس خاصة ، وليس عند أحـــد ما يخفيه عن أحد : من نفسه أو من جسمه •

وقد وصفت الاديبة يائل ديان ابنة موشى ديان حـــالة المستعمرات • وجربت الحياة فيها •• وقد ولد أبوهـــا فى احدى المستعمرات ثم انتقل بعدها الى مستعمرة تعاونية ، أقل قيودا • وقالت يائل فى روايتها المشهورة « طــــوبى للخائفين » : ان الشبان يخجلون من خجلهم •• ويخافون من خوفهم •• يخافون من الحب • ويخافون من احساسهم بالضعف •• بل ان الامهات يندمن على أنهن يهوديات •• فكل طفل وكل شاب وكل امرأة يجب أن يحمى نفسه من مشاعره •• أن يقاومها أن يقضى عليها •• الا يشـــعر باحتياجه الى شىء •• أو الى أحد من الناس •• يجب أن يشعر الانسان بأنه أصم •• بلا مسام •• وأن لديـــه مناعة ضد كل ما يهز أعصابه •

وتقول يائل ديان أيضـــا : هل تعرف ما الذى يخافون منه ؟ انهم يخافون من هذه المشاعر التى تهزهم • ويخافون أن تهزهم •• ولذلك يحاولون اخمادها أولا لكى يقضـــوا عليها نهائيا •• وبذلك يتحرر كل شاب من غرائزه •• الا ما كانت ضرورة لبقائه ، أو لتخفيف توتراته العصبية •• انها معركة عنيفة • ولكن اخماد أطرافها يجىء بالتجــربة المستمرة •

ولكن شعورا واحدا قويا يجب أن يبقى وأن يقوى : شعور الشبان نحو المستعمرة •• ونحو الوطن •• فالمستعمرة فوق كل فرد •• والوطن فوق كل المستعمرات وكل دين وكل عقيدة •

وبعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ أدخلت بعد التغييرات على أسلوب الحياة فى المستعمرات • فقد كانت التعليمات عند أبناء المستعمرات •• الدفاع حتى الموت •• ومن الضرورة أن يموت كل شاب على أبواب مستعمرته •• هذا واجب • وهناك عقيدة أخرى تقول : ان كل أجنبى ــ أى من ليس يهوديا ــ فى داخله شيطان •• هذا الشيطان يجب أن نقتله قبل أن يقتلنا •

وعقيدة ثالثة تقول : ان الماضى أسوأ ما فى تاريخ اليهود كله •• والحاضر مهما كان الخوف والفزع الذى تفيض به حدود الدول العربية فانه أرحم من المستقبل اذا انتصر العرب •

وعقيدة رابعة تقول : الحرب قاتل وقتيل •• لا حلول وسطى •

والتعديلات التى أدخلت على نظم المستعمرات أنه من الممكن ألا يموت أبناء المستعمرات • من الممكن أن يحاربوا بشكل آخر •• أو أن يهربوا ليعاودوا القتال من جديد •• فاليهودى كائن قيم •• نادر •• ولذلك تجب حمايته ••

ويجب تسخير غير اليهود للدفاع عن اليهود •• واذا كان لابد أن يموت أحد ، فليمت أى انسان آخر غير يهودى • العدو •• أو المرتزقة الذين يشتريهم اليهود بفلوس •

ربما كان الفيلسوف الالمانى شوبنهاور يتحدث عن اليهود وعن سكان المستعمرات عندما وصف العلاقات الانسانية أنها كالعلاقات بين حيوانات القنفذ •• تلك الحيوانات التى تغطى جسمها بالشوك •• فهذه الحيوانات تتقارب فى الشتاء حتى تشعر بالدفء •• ولكنهـــا اذا تقاربت جدا ، فان تؤلمها •• ولذلك فهى تتقارب الى حد ما •• هذا التقارب لا يدفنها وفى نفس الوقت لا يوجعها •• واذا أرادت أن تتقارب أكثر وأكثر فعليها أن تحتمل أوجــاع الدفء •• ولذلك فهذه الحيوانات تفضل التعارف البارد الـــــذى يبقيها ، على التقارب الدافىء الذى يقضى عليها •

وكذلك أبناء المستعمرات اليهودية يتقاربون ويتباعدون فى نفس الوقت •• زملاء أصدقاء •• فالزمالة هى التقارب الى حد ما • والصداقة هى التقارب لدرجة أن تتــداخل الاشواك ليتوجع الجميع •• ولذلك فلا أحد •• يشتــاق الى أحد •• ولا أحد يحن الى أحد •• ولو مات أى انسان فى أى مستعمرة ، كان مثل ورقة ســـقطت من شجرة فى الخريف •• انها ليست الا ورقة من شـــجرة •• من ألف شجرة •

حتى لا ينظروا وراءهم ؟!

أمام عدد من الأصنام دار هـــذا الحوار بين ابراهيم والملك النمرود •

قال الملك النمرود : لماذا لا تعبد واحدا من آلهتنا ؟

قال ابراهيم : لا أعبد صنما رأيت رجلا يصنعه بيديه •

قال الملك : بل اعبد النار •

ــ كيف أعبد النار والماء يخمدها ؟

ــ اذن اعبد الماء •

ــ كيف أعبد الماء والسحب هى التى أسقطته ؟

ــ اذن أعبد السحب •

ــ كيف أعبد السحب التى يحركها الهواء ؟

ــ اذن اعبد الهواء •

ــ كيف أعبد الهواء الذى يستطيع الانسان أن يقفل فى وجهه الباب والشباك ؟

ــ اذن اعبد الانسان .

ــ كيف أعبد الانسان الذى يقهره الموت ؟

ــ اذن اعبد الموت .

ــ كيف أعبد الموت وهو من صنع الشر ؟

ــ اذن اعبد الشر .

ــ كيف أعبد الشر والله هو الذى خلق الخير والشر ؟

ــ .. .. ..

ويقال ان الملك النمرود لم ينطق بكلمة ، فقد كان ابراهيم مقنعا . ولكن أحفاد ابراهيم فى المستعمرات اليهودية يحذفون كل هذا الحوار ، ويرون أنه لا داعى لأن يملأوا رؤوس الصغار والكبار بعبادة النار والهواء والسحب ... والله .. فالطفل يجب أن ينشأ لا يخاف من أب أو من حاكم أو من السماء .. فقد خاف اليهود كثيرا وطويلا ، ويجب أن ينتهى هذا الخوف بالقوة .

ولكن ما الذى جعل اليهود يبتدعون نظام المستعمرات الزراعية والصناعية ؟

ان المستعمرات فى اسرائيل من انشـــاء يهود أوروبا الشرقية ، فقد أقاموا هذه المستعمرات أول الامر على شكل مخيمات أو أكشاك خشبية أو من الطـــوب أو الحجارة ، وكانت حياتهم فيها بدائية ، ثم تطورت هذه المستعمرات حتى تحولت الى مؤسسات من الحجارة والاسمنت المسلح ومخابىء وشوارع ومصانع صـــغيرة •• وكل مستعمرة تضم ما بين مائة وألفى شخص •• وهى وحدة اقتصادية سياسية اجتماعية مستقلة وتدار بشكل جمـــاعى ويلتقى أهلها على شكل جمعية عمومية مرة كل أسبوع ويديرهـــا سكرتير عام ، وصراف ، وناظر زراعة ومدير مصـــنع ، ومفتش تعليم •• ولها مطبخ واحد ، ومطعم واحد ، وان كان من حق كل سكان غرفة أن يعدوا لانفسهم القهـــوة أو الشاى فى غرفتهم • والملكية عامة ، لا أحـــد يملك أى شىء ، حتى الملابس ملك المستعمرة ، وقد سمح أخيرا جدا لكل فرد بعشرة جنيهات فى السنة يتصرف بها كما يريد •• واذا قرر يهودى أن يكون عضوا فى احـــدى المستعمرات فعليه أن يسلمها كل ممتلكاته ، وأن ينتظر سنة كاملة يكون فيها تحت التمرين قبل أن يقبلوه عضوا ، واذا ترك المستعمرة فممتلكاته هذه لا ترد اليه ، ومن الممكن أن تعير المستعمرة بعض رجالها الى مستعمرة أخـــرى يعملون فيها ، ولكن مرتباتهم لايقبضونها ، وانما تؤول الى المستعمرة نفسها •

ولكن ما هى الفكرة الاساسية من وراء قيــام هــــذه المستعمرات ؟

ثم ما هى النتــائج التربوية الاجتمــاعية فى شبابه المستعمرات ومستقبل الشباب الاسرائيلى ؟

يهــود أوروبا الشرقية هم الذين أقاموا اسرائيل وهم الذين ضاقوا بحياة الحوارى ، أى بأن يعيشوا فى أحيــاء مظلمة قذرة منعزلة تماما عن المجتمع الاوروبى كله . أى أنهم عاشوا منبوذين من مجتمع لا يريدهم ، وفى داخل هذه الحوارى تماسكوا عائليا وأخلاقيا ودينيــا ، وكانت حياتهم متلاصقة ملتصقة ، وكانوا يعيشون فى خفــاء ، وكانوا يحملون ثرواتهم معهم من الذهب ومن المنقولات ، واذا كانت لهم سفن ، فعند الخوف يتحركون بثرواتهم الى أى مكان ، وكان الأب هو صاحب الكلمة ، أو رجل الدين نفسه .

فعندما هاجر يهود أوروبا الشرقية الى اسرائيل ، كانوا يريدون حياة بلا حوارى مغلقة ، حياة يملكون فيها شيئا جديدا على حياتهم : يملكون الارض وينــامون عليهــا ، ويعملون فيها بأيديهم ، ويحرسونها ، وكانوا منبوذين من كــل الناس لأنهم كانوا يملكون الثروات ، لذلك كرهـــوا الملكية ، كرهوا أن يملكوا ، فالمستعمرات على المشـــاع : لا أحد يملك شيئا فالأرض للجميع ، وثرواتها للجميع .

ولأن سنوات التشريد قد باعدت بين الأم والأب والاولاد ، ولأن الأمهات يتعذبن والاولاد والآباء ، فقد قرر اليهود الذين أنشأوا المستعمرات ألا يكون هناك عذاب للاولاد بعد ذلك . فالحياة بلا أم ولا أب ، لا حاجة للام ولا حاجة للاب ، ولا حياة مع الأبوين ، وبذلك لا ينحرف سلوك الطفل اذا اختلف الأبوان ، أو تشاجرا أو انفصلا ، أو كان الأب مقامرا أو سكيرا .. وتكون الجناية بعد ذلك على الأطفال ، ومستقبل الأجيال .

كلما كانت الفرصة متاحة للجميع فى الطعام والشراب والعلاج والتعليم والعمل ، نقصت التناقضات الاجتماعية وذابت الفوارق نهائيا بين بيض وسمر وسود ، يتامى ولقطاء وأغنياء وفقراء .

واذا كانت الفرص متكافئة ، وكان الحقد منعدما ، والتنافس لا وجود له لا يضطرب الاطفال أثناء المذاكرة ، بل ان الامتحانات لاوجود لها ، حتى لا يكون هناك تنافس، وحتى لايكون هناك تقاتل ، وحتى لا تتجه غرائز الاطفال الى القتال والصراع الداخلى .

فاذا لم ينشغل الطفل بأبويه ، ولم ينشغل بالبحث عن الطعام والشراب والمذاكرة كان من السهل تركيز اهتمام الطفل نحو حب اسرائيل وكراهية أعدائها .. أو كراهية

كل ما ليس يهوديا ، فاسرائيل هى أم الاطفال ومستقبلهم ، وعليهم بعد ذلك أن يشعلوا نار الحقد فى نفوسهم ضد أعدائها من العرب •

ويمكن أن يقال أن يهود المستعمرات مختلفون عن يهود اسرائيل ، فيهود المستعمرات عالمهم محدود وحياتهم بسيطة مرسومة ، متقشفة • أما اليهود خارج المستعمرات فما تزال فيهم صفات يهود أوروبا الشرقية فيهم خوف وفيهم رغبة فى الامتلاك وفيهم اهتمام بالأسرة وباللون وبالطبقة •

أما يهود المستعمرات فعندهم نوع من الواقعية غريب ، انهم يعتقدون أن حياتهم هى أحسن حياة ، وأنه اذا كان الحب ممنوعا ، فحب المستعمرة واجب ، واذا كانت الأحلام ممنوعة فالحلم الوحيد الذى ينفذونه ويستسلمون له ، هو أن تكون اسرائيل كلها مستعمرة واحدة ، لا يعرفون الشكليات ، المجاملات والذوق ، ولذلك فيهم جفاف وقسوة وبرودة ، يمكن أن يقال وقاحة أيضا • أن المستعمرات قد جعلت منهم طرازا مختلفا من ا ليهود ، ولكنه الطراز الذى يناسب الحياة فى هذه المستعمرات أيضا •

واذا كانت اسرائيل لا تستطيع أن تعيش من غير مساعدات خارجية هائلة ، فكذلك المستعمرات لا تستطيع أن تعيش من غير مساعدة الدولة ، فتزودها بالآلات

والقروض والتخطيط • ولكن شيئا واحدا لا تحتاج اليه هذه المستعمرات : لديها خطة من حديد تمشى عليها وترفض أن يتدخل أحد فى تطبيقها ، فعندها سياسة فى التربية والتعليم صارمة وقاسية أيضا •

ولذلك كثيرا ما هرب الشبان من الحياة فى المستعمرات أى رفضوا المجتمع المغلق وعادوا الى المجتمع المفتوح •• ويبلغ عدد الذين يهربون من هذه المستعمرات ١٠٪ من سكانها •

ولكن اسرائيل تلجأ الى أسلوب آخر فى ترغيب الشبان فى الحياة فى المستعمرات ، وذلك بأن تدربهم فى بلادهم الاوروبية والامريكية على حياة تشبه حياة المستعمرات (شباب الهيبيز يقيمون مستعمرات منعزلة عن المدينة يعيشون فيها على البساطة وعلى العمل البسيط ، وعلى الصناعات اليدوية ، بعض هؤلاء الشبان يسافر فى الاجازات المدرسية الى المستعمرات اليهودية ليستأنف هذه الحياة) •

ويقول أديب يهودى معاصر : هذه المستعمرات فيها عيب واحد وهى أن تشبه الحدائق ذات الاسوار العالية جدا ، هذه الاسوار أقيمت لحماية الاشجار الصغيرة ، ولكن اذا سقطت الاسوار أهلكت الاشجار التى تحميها •

أما شعار هذه المستعمرات اليهودية فهو •• تسوية

اليهود ، أو أقلمة اليهود من كل الالوان والاجناس ، وازالة الفوارق بينهم ، وعدم التمسك بتقاليدهم القديمة ، وعدم الارتباط بالاب والام ، وانما كل يهـــودى يشبه شجرة الصبار •• تنمو فى الصحراء شائكة من الخارج ولكن من الداخل تقطر عسلا ، الشوك لاعدائه من كل الشعوب •• والعسل لوطنه وقومه ، والمستعمرات اليهودية تشـــبه المصحة أو الحجر الصحى لعلاج أمراض التاريخ •

أو بعبارة أخرى : انهم يحاولون فى هذه المستعمرات أن « يصنعوا » طرازا من المواطنين • هذا الطراز « عمولة » كما تقول فى التعبير الشعبى ، أى كما يريدون ، ويغرسون فيه الحب الكراهية • وكذلك التحفف من أعـــباء الدين والتاريخ • وأهم من ذلك : ألا ينظر اليهودى الى ماضيه فى ندم ، وألا يبكى على الماضى ، وأن يطـــرد من رأسه الاوهام والمخاوف •

وربما كان من عيوب التربية فى مدارس المستعمرات : انها تحاول أن ترفع القاعدة وفى نفس الوقت أن توقف نمو القمة ، أو بعبارة أخرى : أن حرص البرامج التعليمية على تقليل الفوارق والمزايا بين الطلبة يفسح الطريق أمام الطفل المتوسط الذكاء ، ولكنه فى نفس الوقت يسد الطريق أمـــام المتفوقين ، ولكن نجاح أى برنامج تعليمى لا يقاس بمـــا يحققه للاقلية ، ولكن بما يحققه للاغلبية ، هذا صحيح ،

ولكن واحدا عبقريا يساوى ملايين الطلبة العاديين •

وعيب آخر : هو أن المستعمرات تحاول أن تخلق شبابا جامدا جافا ، ولكن هذا الشباب لابد أن ينقل من الحيـــاة فى المستعمرة الى الحياة خارجها ، وهذه مشكلة ، فـــاذا كانت المستعمرات قد أزالت مخاوفه ، وقربت بينه وبـــين بقية الاطفال اليهود فان الحياة خارج المستعمرة ستجعله يشعر بنوع آخر من الغربة ، بل بتوسيع معانى الغربة : فأبن المستعمرة غريب عن أبويه ، ولا يهتز لرؤيتهما ولا يحن ولا يشتاق ، فاذا انتقل الى المجتمع المفتوح كان غريبا ، وأكثر أبناء المستعمرات يعودون اليها ، لانهم قد اعتادوا على الحياة فيها ، أما الحياة بعيدا عنها فضياع •

عيب ثالث : ان الحياة فى المستعمرة تجعـــل الشاب فى حالة اعتماد تام على الآخرين ، هم الذين يقدمون له الطعام والشراب ، وهو ليس فى حاجة الى أن يشترى شيئا ، أو يذهب الى السوق •• أما خارج المستعمرة فعليه أن يعتمد على نفسه من جديد •• وبذلك يبدأ فى سن متأخرة جـــدا أن يعتمد على نفسه •

وهناك خلافات بين رجال التربية فى المستعمرات ، وبين الخبراء الامريكان أيضا : هل من الضرورى تشديد القيود على الاطفال والشبان ؟ أم أن الافضـــــل هو التشديد فى الطفولة والتخفيف فى مرحلة الشباب ؟

معظم الآراء ترى ضرورة التشدد فى جميع مراحل التربية فالطفل الذى يرفض الدواء ، لانه لا يعرف ما ينفعه ، يجب أن يكرهه الكبار على الدواء وعلى التعلم وعلى حب الوطن وكراهية الاعداء •• وعلى أن كل شيء يقوم على العلم •• وعلى أن العلم طويل والعمر قصير ، ولذلك يجب ألا نضيع الوقت فى اللهو والعبث والتراخى •

انما أردت فقط أن نعرف أطفال أعدائنـــــا وشبابهم ورجالهم •• ماضـــيهم وحاضرهم ومســـتقبلهم لعلنا نســـتفيد •

غرفة الطعام:
هى المثل الأعلى !

أى نوع من البشر هؤلاء الشبان الذين يحـاربون فى الجيش الاسرائيلى .. أى نوع من الناس هؤلاء الذين سـوف يحكمون اسرائيل فى الأجيـال القـادمة من أين جـاءوا ؟ ما ألوانهم ما مذهبهم ؟ ما هى لغتهم .. انهم طراز مختلف تماما عن كل أنواع اليهـود الذين عرفهم العالم . لأن اسرائيل قد قامت « بتخليق » هذا الجيل . جاءت بهم من بلاد مختلفة . وضعتهم فى قوالب من حديد . جردتهم من الأب والأم واللغة والدين أحيانا . وربطتهم بهذه الأرض المسروقة .

عشرات من الكتب والدراسات قد صدرت فى اسرائيل وفى أمريكا عن حياة المستعمرات اليهودية . ولكن أفضل هذه الدراسات وأشملها ما كتبه العالم الأمريكى اليهودى برونو بتلهايم بعنوان : « أولاد الحلم ــ التنشئة الجماعية

للطفل ودلالاتها للمجتمع » الذى تعرضت له فى الفصول السابقة •

وهذا المؤلف له دراسات رائدة فى تربية الطفل ، لذلك فحكمه على بنى قومه له أهمية بالغة •

فالحياة فى المستعمرات اليهودية جماعية •• الكل يعمل•• والكل ينام فى مكان واحد • ويأكلون فى مكان واحـــد • الأطفال بعيدون عن الأمهات • ولا أحد يملك أى شىء •

ولابد أن يكون سبب هذه الحياة معا فى « القبوتس » أن اليهود قد ضاقوا بالحياة فى حارات اليهود فى أوروبا • ففى قلب كل مدينة يوجد حى ضيق مظلم فقير كله أبواب عالية •• هذا الحى هو حارة اليهود • البيوت متجــاورة والأبواب مغلقة والنوافذ • ووراء هــذه الأبواب تعيش الأسرة اليهودية متراصة متماســكة متمســكة بتعــاليم التلمود ، ويتربع الأب على هذا العرش الذليل لكل أسرة • ففى داخل الأسرة نفسها توجد قيــود عنيفة فاذا ذهب الطفل الى المدرسة الدينية واجهته قيود أعنف ••

وقد بدأت حركة التحرر من حارات اليهود فى ألمانيا • وكان لهذه الحركة اسم هو « الطائر الحائر » ــ أو فوندر فوجل •• وكانت هذه الحركة تدعو الى ضرورة الهرب من أرض الى أرض •• وترك الحارات الى أى مكان آخــر ، أفضــل ••

وقد تشجعت هذه الحركة اليهودية عندما سادت أوروبا حركة تنوير واستنارة • وعندما انتشرت الاشتراكية والماركسية ونادت بالانفتاح بين الطبقات وبين الشعوب واستبعدت كلمات الأقلية والأغلبية والطبقية والدينية • وفى ذلك الوقت كان اليهود يتكلمون لغة غريبة هى خليط من العبرية والارامية وأكثرها ألمانية واسمها : ييديش • وهى لغة خاصة بهم وحدهم • ولم يفلح أحد فى أن يجعل لهذه اللغة أية قواعد •• فطائفة اليهود الى جانب القيود التى ضربوها على أنفسهم وحولها ضيقوها أكثر عندما توارثوا هذه اللغة الخاصة •

وكل ما كان يتمناه اليهود هو أن تكون لهم ظروف اجتماعية أفضل وأوسع ليختاروا شكل الحياة التى يريدون وليربوا أطفالهم بصورة أحسن ، ولذلك عندما هاجروا الى فلسطين كانت أحلامهم أن يبنوا القبوتس ، هم الذين يبنونه ، أى لا حارات لليهود •• لا عزلة •• لا انطواء •• وكل ما يريدونه هو أن يكونوا قادرين باختيارهم على التوافق مع المجتمع الجديد •

ولكن من المشاكل التى واجهتهم أن معظم المهاجرين الى اسرائيل كانوا من أبناء الطبقة الوسطى فى أوروبا • أى لم يكونوا من سكان حوارى اليهود ،فلم تكن بهم حاجة كبيرة الى أن يعيشوا فى القبوتس • فقد كانت حياتهم واسعة الشوارع ، وبيوتهم مفتوحة النوافذ •

ولكن لم تكن لهم تجربة بالحيـــاة فى الحقول أو فى الصحراء •• فليسوا مثل الامريكان الذين انتقلوا من شرق أمريكا الى غربها • فلم يشعروا بشيء من الغرابة • وانما كانوا حرفيين • ولم تكن لهم أية تجــربة فى الزراعة • ولذلك كان أول ما يجب أن يعمله أبنـــاء المستعمرات هو زراعة الارض واصلاحها ولم تكن لهم تجربة الحياة معا لقا كان من عاداتهم أن يعيشوا عــلى شكل أسرة : أخ وأخت وأب وأم • ولكن فى المستعمرة : لا أخ ولا أخت ولا أب ولا أم •• وانما أطفال من كل لون ومن كل لغـــة معـــا •

صحيح أن الصحراء واسعة وأفراد الاسرة الواحدة كثيرون ، أو أبناء المستعمرة الواحدة كثيرون ، ولكن هذه الكثرة لم تحقق الغرض الاول : وهو الامان • فما تزال الحياة فى اسرائيل صعبة •• فالخوف هو أهم معـــالم الجو الاجتماعى والسياسى • ولذلك فهــذا الخوف قد تسرب الى المستعمرات •• فالى جانب الخوف ، هنــاك عدم الالفة والتآلف بين الجميع •

والذين يشرفون على المستعمرات من كبار السن • وهم يدركون بوضوح أن حياة حارة اليهود كان يســودها أن الجميع من دين واحد •• أو من مذهب دينى واحد •• ولكن فى المستعمرة لا ضرورة للدين أو للتمســك به •• فهناك احساس جديد بأن الدين كان ســـببا فى عذابه

اليهود مئات السنين . واذا كان الدين قيد حياتهم حتى اليوم ، فانتهت رسالته ، ويجب أن يعدلوا عنه .. ولكن عندما جرد هؤلاء الشبان من الدين ، لم يعطهم أحد شيئا جديدا يربطهم بالقيم الاخلاقية . أو يربط الارض بالسماء ، أو هذه هى الحياة بما بعدها .

والديانة اليهودية تعطى للرجل الكثير .. وتحرم المرأة من الكثير . ففى صلاة الفجر وفى الدعوات ليلا ونهارا يقول الرجل وعلى مسمع من زوجته وابنته : حمدا لك يا رب أنك لم تخلقنى امرأة !

ولذلك كان لابد من الغاء التفرقة بين الرجل والمرأة . كما ألغيت الفوارق بين المذاهب الدينية وبين العائلات الغنية والفقيرة وبين اليهودى الشرقى واليهودى الغربى وكان على المرأة أن تتحمل الغاء هذه التفرقة .. فلم تعد المرأة كما كانت فى حارة اليهود هى التى تطبخ وتغسل وتكنس فى انتظار الزوج والاولاد .. وانما المرأة عليها أن تعمل شيئا آخر — أىشىء آخر — واذا كانت الولادة والحمل هى التى عوقت تطور المرأة ، فلا داعى لان تحمل أو تلد .. ولا داعى حتى أن تتزوج وهى حرة أن تكون لها ما تشاء من العلاقات .. ثم ما هذه العلاقات الجنسية بينها وبين الشبان الآخرين .. أنها فى كثير من الاحيان لا تجد هذه الرغبة .. فالشبان والشابات يعملون معا

ويناموں معا •• ويرون أنفسهم عراة فى أى وقت •• فلا شىء هناك يغرى أو يلهب الاحساس •• وما هو هذا الحب ؟ ولماذا حب واحدة ؟ ثم ما هو الغرض من الحب ؟ هل هو الزواج ؟ واذا كانت المرأة لا تريد الزواج حتى لا تحمل أو تلد ، فلماذا الزواج •• ولماذا الاولاد ؟

وفى بداية بناء هذه المستعمرات كانت هنـــاك مواقف مضحكة •• فالمرأة التى قررت المساواة بالرجل ، أو قرروا لها المساواة بالرجل ، كانت تدرك أن الفوارق الحسية هى المسئولة من كل ما تعانيه المرأة ، فالمرأة لا تريد أن تكون لها أى ملامح بارزة •• ولذلك ارتدت ملابس الرجال وراحت تمارس الاعمال العنيفة • ولم يكن فى استطاعتها أن تستمر طويلا فى ذلك كله دون خلل نفسى أو عضوى أو دون ارتباط فى المستعمرات كلها •

وأدركت المرأة أيضا أن سبب تأخرها هــو أن البيت والاطفال قد استغرقوها حتى أغرقوها • فلا وقت عندها للقراءة أو الكتابة أو تنمية أية موهبة •• ولكن اذا تخلت عن الواجبات التقليدية أصبحت شيئا •• وتخلت من كثير من هذه الواجبات التقليدية ولم تصبح شيئا بعد •

وأدرك الذين أقاموا المستعمرات ، أن عندهم مشكلة أخطر من ذلك • فالعمال فى العالم كله عندما ثاروا على الظلم كان ذلك من أجل أوضاع عادلة •• وهذه الاوضاع

تعيد لهم التوازن الاجتماعى والاقتصادى •• أمـــا اليهودى فله مشكلة قديمة وهى أنه « يهودى » •• كـل شيء حوله يؤكد ذلك •• والمرأة اليهودية مشكلتها أعقد فالى جانب أنها يهودية هى امرأة أيضا ولذلك فقد كـان اليهود يحلمون بمجتمع ينسون فيه أنهم يهود •• فهـــم جميعا يهود •• ولكن لا أحد يشعر بأنه أقلية أو أنـــه منبوذ •

ولكن كان على الرجل اليهودى أن يتحرر من رأيـــه القديم فى المرأة أيضا •• فدينه يقول أن المرأة لعنة ••• وأن هذه اللعنة أصابت الرجل وتسلطت عليه ، حتى شعر المرأة يراه الدين اليهودى لعنة من اللعنات •• ولذلك كان العريس يرى أن الطهارة هى أن تحلق المرأة شعرها قبل الزواج •

وكان من الممكن أن تمضى الحياة فى المستعمرات على النحو الذى أراده هؤلاء الحالمون ، لولا أن أبناء القبونس عندما يذهبون الى المدن يجدون اليهود الآخرين يعيشون حياة عادية •• الرجل له زى والمرأة لها زى •• والمرأة حرة فى أن تأكل وتشرب وتحب وتتزوج ويكون لها أى عدد من الاولاد •• بينما المرأة فى القبوتس لا تستطيع أن تحمل أو تلد •• ثم أن حياتها من نوع آخر •• فلماذا ؟ أليسوا جميعا من اليهود ؟ ولماذا هؤلاء اليهود فى الصحراء يزرعون ويغرسون وينامون معا ويأكلون معا •• بينمـا

غيرهم يعيش على هواه وفى شقق خاصـــــة •• ثم أنهم لا يزرعون الارض ولا يرتدون ملابس الرجال • وحياتهم أكثر بهجة وأقل تعاسة •• أكثر من ذلك : هؤلاء اليهود فى أمريكا وبريطانيا وألمانيا أنهم ليسوا تعساء هكذا •• فلماذا هم وحدهم الذين يطبقون هذا الطراز من الحياة •• لماذا هموحدهم المطالبون بصيانة اسرائيل والبكاء على ما كان فى تاريخهم •• وغيرهم من اليهــــود لا يبكون ولا يموتون فى الدفاع عن الارض ؟!

ان أساس الحياة فى المستعمرة : لا فرق بين الرجــل والمرأة • فاذا أحس كل واحد منهمـــا بضرورة أن يكون هناك فرق ، انهدمت المستعمرة •

وأساس الحياة هنا الا يعرف الطفل أبويه بعد اليوم الرابع من ولادته •• وأنها ترعى جميع الاطفال سيدة أو فتاة لم يكن لها أطفال أو تريد أن يكون لها أطفال ••• ويتجاور الذكور والاناث •• لهم نفس الملابس •• ونفس الاشياء التى يلعبون بها •• لا تفرقة فى الملابس ولا فى حجم أو لون اللعب •• ولا يحق لاى أب أو أم أن يأتى لابنه بهدية أو ملابس أو تطول جلسته مع الطفل أكثر من غيره من الاطفال •• واذا تعلق الطفل بوالديه ، كان هذا اخلالا بأساس التربية الجماعية •• واذا ارتكبت احدى الامهات حماقة ، أن تحتضن طفلهـــا وتبكى على فراقه منعوها من زيارته •• لان هـــذه الدموع سوف تذيب

الحديد الذى قامت عليه الحياة الجماعية فى المستعمرة !

الشىء الجديد الرائع ـ كما يقول العالم الكبير برونو بتلهايم ـ فى هذه المستعمرة هو غرفة الطعام .. هنا كل القيم الاخلاقية والسياسية والدينية هنا كل شىء . ولكى تدرك أهمية غرفة الطعام يجب أن تعيد الى الذاكرة كيف كان اليهود فى حاراتهم يأكلون .. انهم يصلون قبل الاكل وأثناء الاكل وبعد الاكل .. ولابد لكل واحد أن يغسل يديه وأسنانه وأن يتطهر .. ويجلس الاب على المائدة يصلى .. وأحيانا يبكى .. أما الام فقد أنهد حيلها طول النهار فى اعداد الطعام . والام ترى أن أهم واجباتها هو أن يأكل أطفالها .. وكلما أكل الاطفال أكثر كان ذلك أفضل .. فالطعام نوع من الحماية لهم .. واليهودى بطبعه خائف من كل شىء . من المرض . من الموت . من الانقراض . ولذلك فأول واجبات الام هو أن تجعل طعامها هو الدرع الواقى لاطفالها .. والطعام فى الحارة يجب أن يكون « كوشير » أى حلالا .. أى مطبوخا بطريقة خاصة نص عليها التلمود ومن قبله نصت التوراة .

أما فى غرفة الطعام الجماعية فى المستعمرة : فلا أب ولا أم .. ولا صلاة ولاضرورة للدعاء أو البكاء . ولا ضرورة لغسل اليدين أو الفم .. ولا أب يجلس على رأس المائدة ولا أم تتلفت الى من الذى أكل ومن الذى لم يأكل .. ولا أخ ولا أخت .. الكل يجلس فى مكان عام .. وليس

أمامه الا هذا الطعام •• وليس لديه أى اختيار • وليس من حق أى أحد أن يشترى طعاما خاصا ويأكله فى غرفته هذه كبرى الخطايا !

وهناك مشكلة هامة عند اليهود فى هذه المستعمرات •• فهناك مستعمرات تملكها الاحزاب السياسية الملحدة •• وهناك مستعمرات تملكها وتديرها الاحزاب الدينيـــة •• فنحن أمام شباب ملحد وشباب متهوس دينيا •• والنوعان يعيشان فى مجتمع واحد ليس فيه أمان لاحد •• وفيـــه تساؤلات كثيرة : لماذا نحن دون كل يهود العالم نتعـــذب هنا ونموت هنا !

ثم هناك يهود كثيرون لا يعيشون فى المستعمرات وانما فى المدن •• ثم هناك يهود لا يعيشون فى كل اسرائيل •

ان اسرائيل أرادت أن تقضى على « حارات اليهــود » فى أوربا •• فأقامت من جديد حارات أخرى لليهــود فى اسرائيل •• ففى اسرائيل تفرقات دينية وسياسية ••• وتفرقات شديدة بين اليهودى المانى واليهودى الاسبانى ـ أى اليهودى الغربى واليهـــودى الشرقى •• وبين اليهودى الامريكى واليهود اليمنى •

ان المجتمع الاسرائيلى يغلى أو اناء يغلى : هم النار والاناء والماء والدخان والخـــوف والموت لهم على كـــل الحدود •

أناس لا جذور لهم في أي أرض!

كان الامبراطور فريدريش الاكبر ينفخ فى النـــاى • وفجأة وضعه الى جواره • وقال لصديق له: هات لى دليلا واحدا مقنعا على أن الله موجود !

ورد عليه الماركيز دارجنس قائلا : وجود اليهــود ، ياصاحب الجلالة ! •

ومعنى هذه الاجابة أن الله حذر اليهـــود وأنذرهم وتوعدهم بالشتات فى كل أرض وكل عصر • ونفذ اللــه ما أراد •

وفى التوراه (سفر التثنيه الاصحاح الرابع الآية ٢٧) تقرأ : ويبددكم الرب فى الشعوب ، فتبقون عددا قليــلا بين الامم التى يسوقكم الله اليها •

وفى كل التوراه لم تصدق نبوءة على شعب ، كما صدقت هذه النبؤة على اليهود • فبعد أن انهدم عليهم معبـــد

سليمان تفرقوا فى الارض • وظل طوب المعبد يطاردهم فى كل مكان ، وأخشاب المعبد تحرقهم فى كل مدينة • وعاش اليهود فى هوان وكرهتهم كل الشعوب وطردتهم وحبستهم وأحرقتهم •

وحاول كثير من غير اليهود أن يربطوهم بأى أرض فلم يفلحوا • وبقى اليهود على قلتهم وضآلتهم وتماسكهم وتعصبهم واستنزافهم لكل دم • حتى نابليون ، ولم يكن يحب اليهود أصدر قرارا بأن يتزوج من كل ثلاثة يهود واحد من المسيحيين لعله بذلك أن يذيبهم بين المجتمعات والاديان الاخرى •• ولكن اليهود بقوا على ماهم عليه من قلق وفزع !

ولاول مرة فى تاريخ اليهود فى أوروبا أو حتى فى العالم أقاموا لانفسهم «جيتو» أو «حارة اليهود» فى بولندا • فقد أصدر المجلس الكنسى فى بريسلاو ١٢٦٦ أن تكون لهم بيوت متجاورة وأن تكون بعيدا عن المدينة وأن تحاط بجدار من الحجارة أو من الخشب أو يكون حولها خندق وبذلك يأمن المسيحيون شرور اليهود •

وكل مصيبة لحقت بالشعوب فى أى عصر كانوا يرجعونها الى اليهود حتى عندما تفشى «الوباء الاسود» فى أوروبا (١٣٤٨ ــ ١٣٤٩) آمنت الشعوب بأن اليهود قد وضعوا السم فى نهر الدانوب ليموت كل المسيحيين! ولذلك أغرقوهم وأحرقوهم أحياء •

ولكن يهود أوروبا الشرقية طراز مختلف تماما عن يهود أوروبا الغربية أو أمريكا • ويهود روسيا أغرب وأعجب أنواع اليهود • فقد كانت حياتهم فى روسيا مضـــطربة ومعقدة • فهم يعيشون منعزلين فى بحر متــــلاطم من الاتجاهات السياسية والدينية • فهم فى الغرب كانوا من أبناء الطبقة الوسطى • يملكـــون الدكاكين ويعملون فى التجارة وبعضهم يملك البنوك مثل أسرة روتشيلد • أما فى أوروبا الشرقية فأكثر اليهود كادحون وكانوا يعملـــون فى صناعة الفضة والذهب والنحاس • ولا يمكن أن يوصفوا بأنهم عمال معادن أو عمال صلب • ولهم نقابات قوية وفى هذه النقابات يحتمى أضعف الناس وأفقرهم • لا شىء من ذلك طبعا فاليهود يعملون معا وحدهم • ويتحركون. والكراهية تسبقهم والحقد يجىء بعدهم • ولا تربطهم بالارض أو الناس الذين يعيشون معهم أى رباط من اخوة أو مودة أو دم •

ولذلك أطلق على اليهود فى أوروبا الشرقية وفى روسيا «أولاد الهواء» أو «أناس من الهواء» •• وكانوا يتصورون بذلك انهم أناس بلا جذور فى الارض • فكل أرض يعيشون عليها ليست أرضهم ، ولا يريدون • ولم يكن لهم نظام أو منظمة أو هيئة تربطهم •• وانما هم أنواع من الاشجار أو الاعشاب اقتلعت جذورها ويدفعها الهواء هنا أو هناك، وهم دائما على السطح •

وقبل الحرب العالمية الثانية كان اليهود يرون أن قصة «دون كيخوته» ومعاركه مع طواحين الهـــواء ، ليست قصة يهودى حائر بائر تائه فى هذه الدنيا!

وفى الغرب نالوا الكثير من الحقوق وخاصة بعد الثورة الفرنسية • ففى بريطانيا مثلا أصبح ليونيل روتشيلـــد فى سنة ١٨٤٧ أول يهودى عضو فى مجلس العموم • ومع ذلك بقيت لهم فى كل العواصم حاراتهم الضيقة ، ينعزلون وراءها • أما فى أوروبا الشرقية فقـــد أعطيت لهم بعض الحريات ، ولكن كان المجتمع الاوروبى الشرقى حريصـــا على أن يعزلهم أيضا • فكانت لهم ملابس خاصة • ولهـــا علامات تميزهم • وكانوا يطيلون شعورهم ولحاهم ولم يكن اليهود يتكلمون لغة البلد الذى يعيشون فيه • وانما كانوا يتكلمون لغتهم البدوية ويحرصـــــون على عاداتهم القديمة كلهـــا •

وفى روسيا كان اليهود مواطنين من الدرجة الثانية • وليس لهم الحق فى أن يتحركوا من مدينة الى مدينة ، وانما عليهم أن ينحصروا فى مناطق محدودة • وكانت لهم أزياء خاصة • ويحرم عليهم أن يدخلوا «روسيا المقدسة» لا أحياء ولا أمواتا • ولا يملكون الارض • كما أن الدولة قد حددت لهم الحرف التى يمارسونها •• وكثيرا ماضاق بهم الروس وقتلوهم وأحرقوهم • وطردوهم بعد ذلك !

وعندما كان بطرس الاكبر فى مدينة أمستردام سنة ١٦٩٨ زاره أحد أغنياء اليهود وطلب منه أن يسمح لليهود بالتنقل بين المدن •• وكان رد بطرس الاكبر : أنت تعرف اليهود أكثر مني وأنا أعرف الروس أكثر منك • فلا حياة لهم فى روسيا!

وجاءت الامبراطورة كاترينا الاولى وطردت اليهود من روسيا •

أما كاترينا الثانية فقد وجدت أن عدد اليهود حوالى ٩٠٠ ، وحارت ما الذى تصنعه معهم ، فطردتهم «حتى لا تتلوث روسيا المقدسة بهذه الكائنات الحقيرة» •

وفى الحروب الصليبية أحرقت كتب اليهود واليهود أنفسهم •

وفى كل مرة يشتعل الحماس الوطنى أو القومى أو الدينى تتجه الشعوب الاوروبية كلها الى الالتفاف حول اليهود وخنقهم • فقد آمنت كل الشعوب الاوروبية أن كل مصائب الدنيا سببها هؤلاء الناس •

وفى ١٥٩٩ منعت حكومة فيينا كل اليهود من التجارة فى داخل المدينة وفى سنة ١٦٧٠ اتهمت اليهود بأنهم جواسيس عليها عند أعدائهم فى السويد !

وقبل الثورة الروسية بخمس سنوات ، وقع حادث غريب • وقد وقع بعد ذلك فى روسيا أيضا • فقد ألقى

القبض على يهودى من مدينة كييف اسمه بابليس • فقد ذبح هذا الرجل طفلا ليصنع من دمه خبز عيد الفصح!

واشتعلت النيران فى حارات ودكاكين اليهود فى كثير من المدن الروسية • وظل المد العدائى لليهود يرتفع حتى بلغ قمته فى النازية الالمانية • واليوم يعود العداء لليهـــود فى افريقيا وأوروبا من جديد •

واليهود كان لهم موقف من الشيوعية السوفييتية • فقد حاول لينين كثيرا تذويب اليهـــود فى القوميـات السوفييتية الكثيرة ، ولكنه لم يفلح • وعاد اليهود الى حاراتهم وبيوتهم ومعابدهم أكثر التصـــاقا • حتى أن تروتسكى اليهودى وكان على رأس الجيش الاحمر ، قد أرسل خطابا سريا الى لينين يطلب فيه أن ينقل اليهـود من المكاتب المغلقة الى الجبهة حتى لا يقال أن روســيا تدافع عن اليهود وأن الشعب الســوفييتى يموت من أجل أن يبقى هؤلاء الناس يبيعون فى كل عصر ، ويكســـبون من كل أزمنة •

ومثل تروتسكى كان من رأى كارل ماركس اليهـودى أيضا : انه لا تحرير لليهود الا اذا تحررت المجتمـعات الاوروبية من الرأسمالية •

وكذلك لأساله الزعيم الشيوعى اليهودى أيضـــا كان يرى أن حل «المسألة اليهودية» ليس فى روسيا وحدها ـ كثيرة •

وانفتحت لهم أبواب كثيرة • ولكنهم دخلوها وأغلقوها على أنفسهم • لانهم لا يريدون أن يكونوا «ضمن» وأن اليهود سيظلون هكذا الى أن تتفتح لهم أبواب شعب وطن من الاوطان •

والزعيمة اليهودية روز الوكسمبورج كانت ترى بعد ذلك أن الوطنية ليست بالاكراه ؛ وانه يستحيل على الشعوب أن تفرض الولاء والاخلاص والفداء على أى مواطن — أى أن اليهود لا يمكن أن يخلصوا لبلد بالقوة •• حتى لو كان هذا البلد قد عاشوا وماتوا فيه جيلا بعد جيل ، حتى هذا البلد •

وكان رد الفعل لهذا الذى يلقاه اليهود فى كل بلد . من عداء وكراهية أن تظهر الصهيونية أى الدعوة الى أرض صهيون • أى الى وطن خاص باليهود • أى وطن دينى عنصرى • ولكن الشيوعيين فى روسيا عارضوا الصهيونية ورأوا فيها دعوة الى القومية •• والشيوعية ضد القومية ورأوا فيها نوعا من الهرب •• أو نوعا من الاستجابة الى صرخات المسيحيين فى العالم : أيها اليهود أخرجوا من بلادنا !

وفى بولندا سنة ١٩٣٩ عندما اختار اليهود مجالسهم الدينية ورؤساء حكومتهم السرية ، اعترض الشيوعيون

اليهود على ذلك ، اعترضوا على أن يكون لليهود قومية، وأن يكون لهم دين أو أسلوب كهنوتى فى ادارة حياتهم ، ويرون أن هذا «التعصب» أو «الاعتصاب» يغرى الناس بالعداء عليهم ، والترابط ضدهم • ولكن اليهود لهم رأى آخر • فهم أولا يهود وكل يهودى صهيونى • وكل صهيونى اسرائيلى • وليس الاسرائيلى هو الذى يعيش فى اسرائيل ، ولكن كل من لا يعيش فيها أيضا • ويحاول الاسرائيليون أن يفرقوا بين اليهودى والاسرائيلى • ولكن هذه النغمة تموت أو ماتت •• فكل يهودى اسرائيلى •

وحاولت الثورة الروسية الكبرى «توطين» اليهود •• وسحبهم من حاراتهم وادخالهم المصانع والمعامل ولكن اليهود تمردوا أول الامر • لان هذا الاسلوب العنيف هو اخراج لهم من حياتهم التقليدية وحرفهم الموروثة فاليهودى رجل بين رجلين : أى سمسار على كل مستوى• وهو يشترى من واحد ويكسب ويبيع لواحد آخر ويكسب أيضا • فهو يكسب باليمين وباليسار • فى مقدمة الجيوش وعند مؤخرتها أيضا •• فى الحرب وفى السلام !

وفى سنة ١٩٢٠ بدأت الثورة الروسية فلسفة المزارع الجماعية • وفرضت ذلك على مستعمرات فى شبه جزيرة القرم وفى بروبيمان • لعل هؤلاء «الهوائيين» أن تمتد

لهم جذور فى الارض وأن يحرثوها ويبذروها ويحصدوها بعد ذلك • ولكن اليهودى لا يرتبط بالارض ولا بالعقارات لأنه دائما فى حالة حرب ولا يستطيع أن يأخذ أرضه أو بيوته معه انما يحمل الذهب كما حمله يوم خروجه أول مرة من مصر ، ومن كل بلد آخر فاليهود قد اعتادوا على سكنى المدن والعمل فيها • صحيح عندما أصبحت لهم دولة أخذوا يحرثون أرضها ويزرعونها ، وهذا شيء جديد عليهم •

أما فى روسيا فقد اتجهوا الى المعاهد والجامعات وراحوا يتعلمون بالجملة ويتخرجون فيها ويعملون فى الهيئات والمؤسسات وفى المكاتب ، بعيدا تماما عن كل الاعمال اليدوية أو الحرفية •• وعلى الرغم من كل التغيرات التى طرأت على اليهود فى روسيا بقى الشعب الروسى كارها لهم يتربص بهم •

ويفسر المفكر اليهودى اسحاق دويتشر هذا العداء العميق لليهود فى روسيا ـ أو فى العالم ـ بأن الديانة المسيحية غرست فى الاجيال المتوالية أن اليهود هم الذين عذبوا المسيح • وانهم هم الذين صلبوه • وانهم يتآمرون على المسيحيين فى كل العصور وانهم يأكلون الطعام الذى اختلط بدم المسيحيين •

وسبب آخر يراه وهو ان الفلاح الروسى فقير جدا وتعيس جدا • ويحصل على اللقمة بصعوبة • ولا يرى أمامه غير هؤلاء اليهود يحملون الشاى والسكر والكبريت وأكياس الارز يبيعونها فى كل وقت • وأن الدنيا تعلو وتهبط ولكن البقال اليهودى والترزى اليهودى وتاجر الذهب اليهودى كما هو • كأن الشعب الروسى يموت من أجله !

وعلى الرغم من المحاولات المضنية التى بذلها لينين لتذويب القوميات والغاء الاديان ظلت اليهودية العنصرية كما هى • وحتى سنة ١٩٢٥ كان فى روسيا حزب اسمه «الحزب الاشتراكى الصهيونى» وكان له وجود قانونى، ولكن الشيوعيين اليهود تعاونوا فى القضاء على هذا الحزب لانه يدعو الى القومية والى الدين • ثم أن الصهيونية تعتبر فلسفة غربية معادية للشيوعية • فالشيوعية تضع آمالها فى روسيا ، وتضع آمالها فى خلاص الانسان عالميا • ولكن الصهيونية لا تهتم بروسيا ، ولا تهتم بالانسانية ومستقبلها • وانما هى فقط اطار عمل وطريق هدف من أجل اليهود فقط فى روسيا وفى غيرها •

وفى أيام ستالين ظهر العداء لليهود فى أقسى حالاته • وهناك قاعدة يمكن تنطلق منها فى كل مرة فتحدث على

عصر ستالين : هى حيث تكون ثورة قومية يكون العـــداء لليهود وحيث تكون دعوة عالمية ، يكون العداء لليهود !

ولكن لماذا؟ لان الالتهابات الوطنية تدفع الناس الى أن يروا أن اليهود ليسوا وطنيين ، وانما هم طراز غريب من الناس ، وليست روسيا وطنهم .. واذا كانت هنـــاك دعوة الى العالمية ، وتذويب القوميات والفوارق القوميـــة والدينية ، فاليهود عالميون غير مخلصين ، فلا يوجد يهودى روسى ليس له ابن عم أمريكى وبنت خال انجليـــزية ، وابن أخ فرنسى .. فهم عالميون وليس لهم وطن واحد ، ولا أمان لهم أو معهم !

وعندما هاجمت القوات النازية أوكرانيا هلل الشـــعب الروسى فى أوكرانيا للغزو النازى لان أوكرانيا كان على رأسها رجل يهودى اسمه كاجاتوفونيتش وهو الذى فرض المزارع الجماعية على الفلاحين بالكرباج ، وأحس أهل أوكرانيا أن هتلر سوف يخلصهم من هذا اليهـــودى ومن غيره من اليهود .

وقبل الحرب مع ألمانيا والتحالف مع روسيا كان من المستحيل أن يجلس وزير خارجيـــة روســـيا ماراتوف اليهودى مع روبنتروب وزير خارجية هتلر ، ولذلك أغتيل ماراتوف وجاء مولوتوف .

وارتفعت موجة الشعب الروسى انه من أجل اليهـود يعادى هتلر ، أو يفقد كل مايملك ـ وقد فقد الـروس عشرين مليونا فى هذه الحرب !

ومن المتناقضات فى عهد ستالين انه طلب الى اليهـود أن يجلوا عن المدن الصغيرة التى ملاءوها حتى لايقتلهم الجيش الالمانى ٠ أقلهم استجاب وأكثرهم هلكهم هتلر ، ولكن ستالين نقل مليونى يهودى الى بيروبيجان!

ومن عجائب حكم ستالين أيضا ما حدث فى سنة ١٩٤٨ عندما تسابقت كل من روسـيا وأمريكا على الاعتراف باسرائيل ٠ وأحس ستالين أن الفضل فى قيام اسرائيـل يرجع اليه هو وحده فهو الذى أمر تشيكوسـلوفاكيا أن تزود عصابات الهاجانا بالسلاح ٠٠ ولكن اندهش ستالين جدا وهو ينظر من قصر الكرملين الى الاستقبال اليهودى الحار لجولدا مائير فى موسكو وكانت أول سفيرة لاسرائيل وهى روسية الاصل !

وعرفت الشعوب الاوروبية حقيقة اسرائيل التى أقامها الشيوعيون الروس ، وبناها الامريكان الرأسماليون!

وفى الحرب الباردة انضمت اسرائيل الى أمريكا ، قولا وعملا ٠

ولم يكن من الصعب عـلى ستالين أن يدرك هـو

والآخرون : أن اليهود لا أمان لهم ولا وطن لهم • وانما وطنهم اسرائيل فقط • يعملون لها • ومن أجلها • ينبذون كل وطن أقاموا فيه من أجل دينهم !

يقول المفكر اسحاق دوتيشر: فى كتابه «اليهود والثورة الروسية» •

والروس معذورون فى هذا الرأى فلو دخلت القـــوات الامريكية روسيا ، لعطف عليها اليهود ولتعاون معهـــا عدد كبير لاشك فى هذا •

وفى سنة ١٩٥٣ حدثت «مؤامرة الاطباء» فقد اعتقـــل ستالين تسعة من الاطباء اليهــــود بحجة وضعهم السم للواءات الجيش الاحمر ، لحساب المخابرات الامريكية والبريطانية والمنظمات اليهودية • وقد طرد ســـــتالين عددا كبيرا من موظفى الدولة اليهود ونفاهم الى منطقـــة بيروبيجان •

واليوم وغدا وبعد غد يهاجر ألوف اليهود من روسيا بالاتفاق مع أمريكا ومقابل صـــــفقات من الارز والقمح والبترول ومناطق نفوذ فى كل القارات •

وسوف ترى أمريكا من اليهود مارأته أوروبا فى عشرات القـــرون !

وكم أتمنى ، وملايين غـــيرى ، أن يروا ذلك اليوم :

ولكن عزاءنا الوحيد رأيناه مئات المرات فىأوروبا • وبعض اليهود المتعصبين الذين يرون أن كل انسان ممتاز فى الدنيا يهودي الاصل ، يعتقدون أن هتلر يهودى •• وليس هذا بعيدا •• فسوف يظهر لهم فى أنفسهم ومن أنفسهم وفى كل أرض رجل بهذا الاسم والجسم والاثم •• وتصدق النبؤة التى جاءت فى سفر « التثنية » مرة أخرى وما جاء فى « القرآن الكريم » •• ويزداد الناس ايمانا بأن الله موجود وأن الله هو العدل وهو السلام •

فلما كان يوم العيد سنة ٧٣ ميلادية !

جاء فى التلمود أن أيام الاسبوع قد وقفت طابورا أمام الرب • فوقفت ستة أيام فى ناحيـــة ووقف يوم السبت وحده فى الناحية الاخرى • ونظـــر الرب الى الايام • وتساءل يوم السبت : ولكن لماذا أنا وحدى بعيـــدا عن بقية الايام؟ لماذا أنا مبنوذ هكذا ؟!

فأجابه الرب : لست منبوذا وانما أنت أكثر امتيازا عن بقية الايام •• أنت مثل اسرائيل التى تقف وحـــدها بين الشعوب !

هذا هو جوهر النفسية الاسرائيلية فى كل العصور • عندهم احساس بأنهم شعب الله المختار ، وانهم فى نفس الوقت منبوذون مطرودون مكروهون • وفى استطاعتك أن تفتح أى كتاب فى التاريخ فى الشرق أو الغـــــرب فى كل

العصور ، فلا تكاد تقلب صفحة أو صفحتين حتى تتساقط جثث اليهود : مقتولين محروقين غارقين •

مامعنى هذا؟ معناه أن الشعوب جميعـــــا اتفقت على كراهية شيء واحد أو انسان واحد هو اليهودى • ارجع الى كتب قبل الميلاد وبعد الميلاد حتى الحرب العالميـة الثانية فى ألمانيا •• حتى بعد ذلك فى أوروبا وأمريــكا سوف تجد هذه الكراهية لهذا الشعب •

وعندنا نحن ألف سبب بل مئات الالوف من صرخات الذين داستهم الدبابات أحياء •• وألوف الجرحى الذين لم يجدوا كوب الماء ولا الدواء •• وعندنا ملايين الاحياء فى فلسطين وفى سوريا وفى مصر يشهدون على وحشـــية اليهود •• وكلها أسباب حية تجعلنا أكثر الناس كراهيـــة لهم •• وهى كراهية لن تموت • لان حقدهم علينـــا لن يموت ، ولان خطرهم قائم فى كل أرض • ومع هـــــذا الخطر تتولد الكراهية لهم من جديد •

واليهود يخافون من الوقوف وحــدهم • وان كانوا يفخرون بأنهم وحدهم ، وانهم سادة البشر •

وفى نفس الوقت يخافون أن «يندمجوا» أو «يذوبوا» أو « يذابوا » فى الشعوب الاخرى •• لانهم طراز آخر من البشر •

لذلك لجأ اليهود الى « الحارة » وهى عبارة عن بيوت متلاصقة «متخانقة» أى يخنق بعضها البعض . مظلمة . يعيشون فيها ويغلقونها عليهم . وفى هذه الحارات يتحقق لهم كل مايريدون : انهم فى عزلة . وانهم وحـدهم .. وانهم فى قلب المدن . لا هم قريبون ولا هم بعيدون . لا هم بين الناس ولا هم معهم .

وحتى عندما قامت اسرائيل انزعج اليهود المتعصبون . فقد خافوا أن تصبح اسرائيل «حارة يهـود» كبرى بين مدينة هائلة تكرهها وتتربص بها .

وفى هذه الحارات يضع اليهود كل ثرواتهم من المعـادن التى يمكن أن يحملوها اذا هاجمهم الناس .. يأخـذون الذهب والماس . وينتقلون من مدينة الى مدينة .. أو من دولة الى دولة . وهم فى جميع المدن والدول يختفـون وراء الحارات .

واليهود لان الدول كلها قد تفننت فى تعذيبهم ، أصبحوا أكثر شعوب العالم قدرة على التعذيب . وكانوا أشـد الناس وحشية ــ وهذه قصة أخرى طويلة .

ولكن اليهود لا ينسون فى كل تاريخهم الاسود فى كل مكان ما حدث لهم فى عصور الرومان . فالقوات الرومانية عندما حطمت معابدهم فى فلسطين سـحبوهم أسرى فى

شوارع روما • الشبان يدفعون العربات ويحملون الاحجار ويتساقطون فى الشوارع ويدوس بعضهم البعض • ثم يعطونهم الرماح والسيوف ليتقاتلوا حتى المـوت أمام القوات الرومانية •• ثم يطلقون عليهم الوحوش •• ثم يأتون بكبارهم من المحاربين ومن رجال الدين ويعلقـون الاحجار فى أعناقهم ثم يلقون بهم فى الآبار ويدفنـونهم أحيـــــاء •

ويوم هدم الرومان معبد سليمان فى القدس • وداسوا «قدس الاقداس» •• حملوا أخشاب المعبد ومناضـــده الذهبية •• وصفحات من التوراه •• وحملوا اليهـود الى روما مرة أخرى •• وأحرقوا الجميع فى الزيت الذى يغـــلى •

وعندما أرسل الامبراطور نيرون قائده فارسبازيان الى القدس ليقضى على اليهود تماما ، كان أول من استسـلم له يهودى معروف اسمه يوسيفوس وهو من أشـــــهر المؤرخين هـــذا المؤرخ قال له : أنا أبيع لك اليهـــود جميعـــا !

وباع له اليهود واحدا واحدا • وراح يتجسس على اليهود • مقابل مبلغ من المال • وكان اليهود يترنجعون أمام المؤرخ يوسيفوس ويساومونه • ولكن يبدو أن اليهود

لم يدفعوا أكثر من الرومان • ولذلك ظل يوسيفوس مع القائد الرومانى يتجسس له ويخون قومه • وكان المؤرخ يمسك مايشبه البوق وينادى اليهود واحدا واحدا ويطلب اليهم التسليم !

وكان ذلك سنة ٦٧ بعد الميلاد • وفى هذه السنة مات مئات الالوف من اليهود حرقا وصلبا • وكان المؤرخ اليهودى يتفقد القتلى ويهز رأسه وهو يدوس بقدميه رؤوس اليهود قائلا : لو كنت دفعت أكثر ، لبقيت حيا • ولكنك لم تفعل •• فهذا جزاؤك !

وكان يوسيفوس هذا يقلب الموتى حتى وجد ضابطا كبيرا قتيلا • وقال : أنا أعرفك جيدا وأعرف أين وضعت مالك •

ثم اقترب من جثة القتيل وفك ضمادا ثقيلا على ساقه ووجد تحته قطعا من الذهب ويقال أن يوسيفوس هذا قال: لو كنت صارحتنى بهذا ، ماجرى ماكان !

مات الامبراطور نيرون • وأصبح القائد فاسبازيان امبراطورا • وترك ابنه القائد يتيوس يؤدب اليهود • وفى رسالة عن الامبراطور الجديد تقول: لا أريد أن أسمع من أحد أن هناك كائنا حيا ينتسب الى اليهود • أدفنهم أحياء • وفى انتظار هذه البشرى !

وقرر ابن الامبراطور أن يقضى عليهم جميعا • وكان اليهود قد هربوا الى احدى القلاع المطلة على البحر الميت • القلعة عالية • فوق صخرة • ولها جدران عالية ووراء الجدران أخرى • ووراءها جدران ثالثة • وأطلق اليهود من يقول : ان هذه القلعة لا يمكن اقتحامها • وانهم حفروا لها سراديب تحت الارض • وان هذه السراديب تحت الماء • فاذا هاجمهم الرومان لن يجدوا واحدا •

وفى أحد الليالى جلس القائد الرومانى يشرب ويتفرج على الراقصات جاءت اليه راقصة يهودية تقول له : مولاى أنت سعيد الحظ لانك انتصرت على اليهود !

والتفت اليها القائد يقول لها : ولكنك يهودية • وردت عليه : ولكنى أحب أن أعيش • أكره القلاع • وأكره الصحراء • ولكن هذا النوع من اليهود يفضلون الجوع والبكاء على الحياة • يفضلون أن يجمعوا الذهب ويدفنوه فى الارض على أن يتزينوا به أو يروه •• يفضلون عداوتك ولكن لا يعرفون قربك وشبابك وكرمك !

وفى ليلة أخرى عادت هذه الراقصة اليهودية تقول لابن الامبراطور : اننى أخاف عليك ياسيدى •

— من أى شىء !

ـ من هؤلاء اليهود • انهم يستخدمون الشـــياطين • وهذه الشياطين تنقل لهم الماء واللبن والعسل •• ففى كل أيام السنة تجد الفاكهة على موائدهم •

وضحك ابن الامبراطور وهو يقول لها : فات الاوان •• فقد جاء أمر من والدى بأن أقضى عليهم فى أقرب وقت !•

ـ ولكنى أخاف عليك •• فالقلعة منيعة جدا • لقد صنعها اليهود فى ست سنوات واذا اقترب منها أحد دون اذن منهم قتلوه • أو وجد نفسه قتيلا •• ان أخى مات فى العـــــام الماضى لانه حاول أن يدخل دون اذن •

ـ ومن الذى قتله !

ـ الشياطين ياسيدى !

وذهبت الراقصة بعد أن لعبت لحنا مخيفا على اعصاب القائد المخمور ، وأخبرت اليهود فى هذه القلعة بأن الرومان سوف يهاجمونهم لا محالة •

وحاول اليهود أن يقتلوا المؤرخ الجاسوس • وحاولوا أن يقتلوا القائد بأن يضعوا له السم فى الشراب • ووضعوا السم • ولكن شربته الراقصة خطأ فماتت •

وكان ذلك يوم الجمعة • واليهود لا يفعلون شيئا قبـــل غروب الشمس يوم الجمعة • فغدا السبت • والســـــبت

اجازة مقدسة • والسبت معناه باللغة العبرية : الراحة •
وهم يوقدون الشموع قبل الغروب بدقائق وتظل الشموع
موقدة طول يوم السبت •

وكان السبت يوم عيد • وفى يوم السبت هذا يمتنع كل
الشعب اليهودى عن القيام بأربعين عملا : لا طعام ولا
شراب ولا طبخ ولا غسل ولا بيع ولا شراء لا فلوسا
يأخذونها ولا فلوسا يعطونها • فقط : صلوات وبكاء •
ولكن اليهود ارتكبوا هذه الغلطة عندما حاولوا الاعتداء على
القائد الرومانى وعلى المؤرخ يومى الخميس والجمعة
واختار المؤرخ اليهودى أن يرد الرومان على اليهود فى يوم
السبت • وهو يعلم أنه يوم مقدس • وأن التلمود يقول
لهم :

احفظوا السبت يحفظكم !•

وكان ذلك سنة ٧٣ ميلادية •

دارت القوات الرومانية حول القلعة المشهورة فى التاريخ
باسم « قلعة ماسادا » •• وراح الرومان يرمون القلعة
المنيعة بالاخشاب الثقيلة والاحجار • ويتسلقون جدارها
العالى على سلالم طويلة • وكان يقود اليهود فى هذه القلعة
احد زعمائهم واسمه اليعازر •• ونجح الرومان فى تحطيم
الجدار الخارجى •• ولكن هذا الجدار حين تحطم

وتساقطت أحجاره تراكم على الجدار الذى يليه فأصبح الجدار الثانى أقوى من الجدار الاول • وشدد الرومان الحصار • وأمسك المؤرخ يوسيفوس البوق يطلب الى اليهود التسليم • ثم راح الرومان يلقون المشاعل • واحترقت الاعواد الخشبية • واختنق اليهود فى داخل « قلعة ماسادا » • وراح اليهود يصرخون ويبكون • ويعتذرون عن الجرائم التى ارتكبوها • وطلب اليهم القائد ان يعترفوا بسرقاتهم فاعترفوا بها كلها • وراح يسألهم عن السموم التى وضعوها للضباط الرومان • فاعترفوا • وعن الاموال التى سرقوها فاعترفوا •

وأعلن القائد الرومانى : أنه من أجل هذه الجرائم يستحقون الاعدام جميعا !

وهدم عليهم حصن « ماسادا » • وبعد أيام من الحصار لهذا الحصن المنيع ، الذى أرهب به اليهود كل الرومان ، ونشروا أن أحدا لا يستطيع أن يهدمه ، وأن زعيمهم اليعازر قد صانته السماء فجسمه لاتنفذ فيه السهام أو النبال ، دخل القائد الرومانى فوجد الجميع موتى !

وما حدث فى قلعة ماسادا هذه يوم عيدهم سنة ٧٣ بعد الميلاد ، هو البعبع الأكبر فى كل تاريخ اليهود فى كل بلد • فهم يخافون أن يحاصروا فى أى مكان حتى الموت

ولذلك جعلوا الحارات التى يقيمون فيها منعزلة ولكنها مفتوحة على المدن • وهم عندما انتقلوا الى الشرق الاوسط تجدد عندهم الشعور بالحصار أو الانحصار أو الاختناق فى اسرائيل فهم يخافون أن تتكرر مذبحة الماسادا !

ولذلك يكرر اليهود أسطورة « الحدود الآمنة » • وهذه الحدود معناها أن يوسع اليهود أرضهم خوفا من العرب• خوفا من محاصرة العرب لهم • فاذا استولوا على فلسطين• يجب أن يستولوا على سيناء • لتكون سيناء بمنطقة عازلة بين مصر واسرائيل ويجب أن يخطفوا الجولان لكى تبعدهم عن سوريا •• وأن يبتلعوا الضفة الغربية لتبعدهم عن الأردن •

وعندما استولت قواتنا المصرية على خط بارليفه أو الماسادا الجديدة صرخ اليهود يقولون : هل رأيتم ؟ ألم نقل لكم أيها الامريكان أنه كان من الواجب أن نستولى على بور سعيد والاسماعيلية والسويس حتى نأمن القوات المصرية ؟!

وهم الآن يتوهمون ويهلوسون بضرورة أن تكون اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات حتى يأمنوا المصريين والعراقيين والجزائريين والمراكشيين •

ولابد أن من بينهم مخرفين يرون أن تكون اسرائيل

ممتدة من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى حماية لهـا من أى عدوان • وهكذا الى آخر هذه الهلوسات اليهودية !

انها عقـدة الماسادا !!

واليوم هو السبت الثانى •• وسوف يتذكر اليهـــود ما حدث لهم فى قلعة الماسادا يوم عيدهم سنة ٧٣ ــ مـع فارق واحد هو أننا لسنا رومانا ولا غزاة • وانمـا نحن محررون للارض المغتصبة •• انهم اليهود هم الذين جلبوا على أنفسهم الخزى ــ دائما ان شاء الله ، ويستوى عندنا أن يلقوا بأنفسهم فى البحر الميت أو فى البحر الأبيض•• المهم ألا يكونوا على أرضنا • وعليهم أن يأكلوا بعضـــهم البعض فى قلاعهم أو حاراتهم أو معابدهم •• فقد أخـذوا ما لايستحقون من سيناء والجولان والضـفة الغربية • ونحن نسترد ما نستحق •

اليوم هو السبت الثانى ، ولكن يمسك حاخاماتهم التوراة ولن يقرأوا سفر « الامثال ــ الاصحاح ٣١ » كما يفعلون فى مثل هذا اليوم متغنين بالزوجة الصالحة التى تعمل كل شىء ، وأى شىء : امرأة فاضلة فى مجدها ، لأن ثمنهـــا يفوق اللالىء • بها يثق قلب زوجها ولا يحتاج الى غنيمة• تصنع له خيرا ، لا شرا كل حياتها • تطلب صوفا وكتـانا وتشتغل بيدين راضيتين • هى كسـفن التـاجر ، تجلب طعامها من بعيد •• تصنع قمصانا وتبيعها •• الخ •

لن يفعل ذلك الحاخام الأكبر وانما سيفتح كتب البكاء على ما أصاب اليهود فى سيناء التى ضاع فيها اليهود قبل ذلك أربعين عاما •• وسوف تمتلىء الصحف والاذاعات بالدموع على الظلم الذى وقع على اليهود فى سيناء : فالمصريون يستردون أرضهم !

* * *

انها فرصة لا تقدر بثمن أيها العرب •• أيها العرب فى كل مكان مدنيين وعسكريين حاربوا •• اصبروا •• اصمدوا •• استميتوا •

اجعلوها « ماسادا » عليهم والى الأبد !

هل نترك السادات حتى يكمل بناء سفينة نوح ؟!

اعتقلت الشرطة رجلا كان يجلس فوق سطوح بيته فى حي باب الشعرية ، بينما كانت الطائرات المعادية تحلق على ارتفاع منخفض • وكانت تهمة هذا الرجل أنه أتى بزورق من المطاط ووضع فيه ملابسه وطعامه وشرابه : ولما سئل الرجل قال : انه من أسرة عندها قدرة خارقة على التنبؤ بما يحدث • وقد تنبأ أقاربه فى الجزائر بوقوع الزلازل • ونجوا منها • وقال أنه يسمع صوتا يقول ذلك •• والصوت الذي يسمعه قال له : ان الطوفان سوف يغرق مصر كلها من أولها لآخرها !

هذا الرجل اسمه شالوم ابن نوح يهودى مصرى !•

هذه الحادثة جاءت فى رواية اسمها « مياه أسوان » للكاتب اليهودى الألمانى ميكائيل حاييم • وقد نشرت هذه الرواية فى العام الماضى بعد أن زار المؤلف مصر ورأى السد العالى وأسوان والاقصر والمنصورة والاسكندرية والجيزة •

وأنا أتمنى ، لكى نعرف عدونا ، أن يقرأ كل مصرى هذه الرواية ليعرف الى أى حد يكرهنا اليهود ، والى أى درجة يتمنى اليهود هلاك مصر والمصريين الى الأبد • أتمنى أن يقرأ المصريون جميعا هذه الرواية ليعرفوا ما الذى كانت تدبره اسرائيل لمصر فى هذا العام أو الاعوام القادمة • ان هذه الرواية صورة مروعة وأحلام سوداء ، وحقد ليس له قرار •• انهم لايريدون شيئا أقل من هلاك مصر الى الأبد !

الرواية تبدأ ان المصريين يصحون من النوم فيجدون علم اسرائيل بنجمة داود فوق السد العالى • ويحتار المصريون من أين جاءت • ويتساءلون كيف تسلل اليهود الى هذه المنطقة رغم شبكة الصواريخ الهائلة •• ولكن ظهرت عوامات من المطاط أمام السد العالى وعليها علم اسرائيل•

وفى تل أبيب يعقد موسى ديان الذى أصبح رئيسا للوزراء مؤتمرا صحفيا يقول فيه وقد وضع ساقا على ساق ــ طبعا ــ ان مصر فى جيبى !

وفى اليوم التالى يعقد قائد الطيران الاسرائيلى مؤتمرا صحفيا يقول فيه ان المصريين كانوا يقولون انهم سيلقون بنا فى البحر •• نحن لن نفعل ذلك وانما سوف نأتى لهم بالبحر !

وفى مؤتمر صحفى آخر يعقده موشى ديان يقول : لعل القائد الأعلى للطيران يشير الى أننا سوف ننسف السد

العالى فتغرق مصر ، ويهلك المصريون !

ثم يستدرك موسى ديان قائلا : ولكن الذوق كان يحتم عليه ألا يحرج شعورهم الى هذه الدرجة !

أما وزير الدفاع الاسرائيلى فهى سيدة اسمها ايمير !

ثم يقول ديان : لو كان السد العالى قد أنشىء فى وادى الأردن لكنت أشد خوفا !

وتشيع اسرائيل أن الحجاج القادمين من السعودية قد نشروا الكوليرا فى مصر • ولكن منظمة الصحة العالمية تنفى ذلك !

ولكن يحدث شىء غريب عند السد العالى • فمياه بحيرة ناصر تتسرب من تحت الأرض متجهة الى البحر الأحمر واذا استمرت هذه العملية فمن المحتمل أن ينخفض منسوب المياه •• فاذا ابتلعت الصحراء مياه البحيرة شرقا وغربا فسوف يموت الشعب المصرى من العطش • وتتحقق نبوءة أشعياء الذى يقول عن مصر : وتجف الأنهار وتنساب مياه البحر !

ويفكر المصريون فى نسف المناطق المحيطة بالسد العالى لعل تكوين التربة أن يتغير وبذلك يتوقف تسرب المياه •• ومصر تنقل هذه المشكلة الى علمائها فى جامعة المنصورة والى الأمم المتحدة •• ويرون أن الحل الوحيد هو استخدام القنابل الذرية ، ويعترض الاتحاد السوفييتى على استخدام القنابل الذرية • وهنا تتقدم اسرائيل

وتبدى استعدادها لمساعدة مصر • والشباب فى اسرائيل يعتصم بجبل الزيتون ويطالبون بمساعدة مصر والمصريين فى محنتها • أما رجال الدين اليهـــود فيقفون أمام حائط المبكى يلعنون المصريين ومن يساعدهم على البقاء والحياة !•

وفجأة يحدث شىء عجيب جدا • فرغم تسرب الميـاه الى اليمين واليسار فان منسوب البحيرة أخــذ يرتفع • ويدعو الرئيس السادات العلماء المصريين ليبحثوا هــذه الظاهرة الجديدة •

وفى هذه الأثناء يصل الى الأقصر عــالم ايطالى يبشر بنظرية جديدة تقول : اذا استطاع الانســان أن يحمى السوائل الموجودة فى الفاكهة فانها تعيش مدة أطول ، ثم أنها لن تتعفن •• ويضرب مثل لذلك نبات الصبار الــذى يتغطى بالأشواك ومادة صمغية • ولذلك فان الصــــبار لا تستطيع الشمس أن تبخر ما فى داخله من ســوائل • وقد اهتدى العالم الايطالى الى مادة اسمها بريمثليين على شكل اثير • هذه المادة اذا وضعت على المسطحات المائية استطاعت أن تخلق من ذرات الماء ستارا من النايلون •• أو سقفا رقيقا يحول دون أشعة الشمس ودون عمليــة التبخير • هذا العالم الايطالى قد انتحر بأن علق نفســه فى السرير بأحد فنادق الأقصر فمات !

والسوفييت يحذرون الحكومة المصرية من تسلل اليهود الى مصر ، هؤلاء الاستعماريون العنصريون ، تحت ستار

المعونة الفنية . أما الأمريكان فقد أعلن وزير الخارجية كيسنجر أن الرئيس نيكسون قرر مساعدة مصر بمائة مليون دولار .

وفى اسرائيل تقول الصحف أن جمال عبد الناصر عندما فكر فى اقامة السد العالى كان متأثرا بما رآه النبي يوسف فى نومه : من أنه سوف تجىء سبع سنوات يتوافر فيها الماء والطعام ، وسبع سنوات لا ماء فيها ولا طعام ، ولذلك أقام السد حتى لا تكون مجاعة فى مصر !

ويتساءل ديان فى أحد المؤتمرات الصحفية : نحن نستطيع أن نغرق مصر فى طوفان كبير ، ولكن هل يجب أن ننتظر السادات حتى يتم بناء سفينة نوح فينجو هو ومصر والمصريين ؟

طبعا لن ندع له هذه الفرصة ! ويقول ديان أيضا وهو يتباهى بما حدث فى سنة ١٩٦٧ : أذكر وأنا طفل اننى رأيت ثعبانا فأمسكت مطرقة من المعدن وضربته .. مرة .. ثم هشمت رأسه فى المرة الثانية . ولما رأيت ما حدث خفت منه .. وألقيت المطرقة وهربت ـ أى أن الخوف هو الذى اضطره الى القتل !

وتنشر الصحف الاسرائيلية أن اسرائيل أنقذت السد العالى عندما استخدمت قنابلها الذرية فى تغيير تكوين الأرض على يمين ويسار السد !

وتصدر التعلميات من مناحم بيجن الارهابى المعروف

والذى أصبح قائما بالأعمال فى القاهرة أن يعرض خدماته على المصريين ؟!

وكل الهيئات الدولية تجتمع لتدرس هـــذه الظاهرة العجيبة التى حدثت فى مصر : ارتفاع منسوب بحيرة ناصر بصفة دائمة ، رغم أن الأمطار ليست غزيرة فى السودان أو فى الحبشة •

وفى هذه الأثناء نجد أحد أمراء حضرموت يصدر طوابع تذكارية من أجل انقاذ مصر !

وليس أمام المصريين الا أن يجلوا عن وادى النيل الى الصحراء • أو ينتظـروا حتى تبعث لهم أمريكا بالأبراج المعـــدنية التى تقـام على الأرض ويأوى اليهـا مئات من المواطنين ••

ولكن مياه النيل فى بحيرة ناصر ترتفع بصورة مخيفـــة • ويظهر على المياه بعوضة البلهارسيا •• وملايين الضفادع وكلها تقفز من الماء الى الشاطىء •

ويصدر قرار فى القاهرة : اهدموا الهـرم الأكبر •• وانقلوا حجارته لحماية القاهرة !

وهنـا يتحرك علمـاء العـالم ليتفرجوا على الهرم وقد انهدم • ويتساءلون ان كانت هناك غرف سرية •• ويستعدون لالتقاط صورة نادرة ولآخر مرة ••

ويقول المؤلف اليهودى الألمانى ميكائيل حاييم : هنـا يجب أن تحل لعنـة الفراعنـة بمصر • فمصر قد أقلقت

ملوكها القدامى • ثم انها نقلت تابوت توت عنخ آمون الى أوروبا وأمريكا • يجب أن تحل عليها لعنة الفراعنة • كما حلت بها لعنة المياه الكثيرة • والبلهارسيا والضفادع •

وفى نادى التوفيقية وفى الجامعة العربيـــة وفى شركة طيران ايرفلوت وفى مســـــجد ابن طولون يعثرون على منشورات مطبوع عليها : الاصـــحاح السابع من ســـفر التكوين الذى يروى الطوفان وكيف نجا نوح من الموت ، عندما هلك العالم كله !

وتمر الطائرات القادمة من الخارج فى سماء القاهرة •• ويتلفت الطيار حوله ويقول : لابد أننا أخطأنا •• ان البحر تحتنا !

وتتلفت واحـــدة من الركاب لتقول : يبدو أن الطائرة سوف تنزل اضطراريا فى البحر !

وتحت الطائرة نرى سقوف العربات •• وقمم الأشجار وجثثا بمئات الألوف تطفو على الماء • والموج عال مندفع •

وفى هذه الأثناء يلاحظ العلماء أن الماء فى مدينة البندقية قد ارتفع عدة بوصات • فبحيرة ناصر قد صبت مياهها فى البحر الأبيض فارتفع منسوب المياه فى البحـــر الابيض حتى بلغ شـــــواطىء البندقية عنـــدما هبطت الطائرة بجثمان العالم الايطالى الذى ألقى المادة التى اكتشفها على سطح نهـــر النيـــل وبحيرة ناصر فتوقف نهائيا تبخر مياه النيل• هذا العالم الكبير يهودى أيضا• جاء لهذه المهمة•

ففى الوقت الذى تتظاهر اسرائيل بالمعونة ، تبعث أحد العلماء ليغرق مصر !..

وفى هذه الأثناء أيضا يكون العلماء المصريون فى جامعة المنصورة قد اهتدوا الى طريقة علمية لفصل المادة التى ألقاها العالم اليهودى على بحيرة ناصر .. واذا انفصلت أصبح الماء معرضا لعملية التبخر المستمر .. ولكن بعد فوات الأوان ، فقد غرق كل شىء !

ويستريح المؤلف اليهودى الألمانى الى هلاك مصر والمصريين جميعا !

انها رواية تغيظ ولا تقوى على قراءتها الا اذا كانت أعصابك من حديد . ولا أدعى ان أعصابى قد صنعت من الحديد أو الصلب ولا اننى بلا أعصاب . ولكنى أريد أن أعرف هذه الأعماق السوداء لأعدائنا الذين يستعدون دائما للعدوان علينا .. والقضاء علينا . وابادتنا . لأن كراهيتهم للمصريين قد ملأت التوراة .. وانهم يريدون أن تكون اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .. وأن تبتلع كل الشرق بمقدساته وموارده .. ولذلك فالحرب مع اسرائيل هى حرب حياة أو موت.. حياتنا أو موتنا . وهم صريحون فى ذلك فى كل كتبهم القديمة وكتبهم الجديدة أيضا .. وليست هذه الرواية التى صدرت فى عشرين لغة الا واحدة من كتب كثيرة وأفلام غزيرة واسطوانات عديدة .

.. فلا كانوا ولا كان ذلك اليوم !

الشعب المختار

فى زجاجة نبيذ فارغة

الدين وسيلة مواصلات فقط . ولــذلك يجب أن نبقى فيها بعض الوقت ، لا كل الوقت . ولو فعل اليهود ذلك ما قامت لهم اسرائيل ــ هذه العبارات لمؤسس اسرائيل بن جوريون . وهو يعتقد أن حيـــاة اليهود لو تركت لحاخامات اليهود لظلوا حتى الآن كلابا ضالة فى كل مكان يضربهم الناس بالاقدام ، ويحتمى اليهود من اقـــدام الأغلبية الساحقة لهم فى كل مكان بأحلام العودة الى أرض الميعاد والاجداد ، وانتظار المسيح الذى يهبط عليهم من السماء لينقذهم ويقوم لهم بكل العمل بينما هم يصلون الفجر والعشاء ويبكون ليلا ونهارا . وهم يفعلون ذلك من ألوف السنين ــ وهذا أيضا رأى بن جوريون .

وفى العام الماضى صدر له كتاب بعنوان « بن جوريون ينظر وراءه » .. والكتاب على شــكل حوار مع دافيد

بن جوريون • أجرى الحوار كاتب يهودى اسمه موشى برلمان ، وبن جوريون يؤكد أن كبرى مشكلاته السياسية والاجتماعية فى اسرائيل ، ان حكومته ائتلافية دائما • وهى كذلك من ربع قرن • وتضم هذه الحكومة كل العناصر اليهودية المتطرفة : الملحدين والمتهوسين من رجال الدين • واليهود بتكوينهم النفسى والتاريخى متطرفون •• ولم يفلح الزمن فى أن يذيب هذه الفوارق بين الشيوعيين الروس الذين أنشأوا اسرائيل وأصحاب الملايين الامريكان الذين ينفقون عليها •• ففكر اسرائيل من صنع الشيوعيين الروس ، وتسليح اسرائيل من جهود أصحاب الملايين الامريكان •• ويعترف بن جوريون أنه حريص على أن تكون حكومته ممثلة لكل الألوان •• ولكنه فى نفس الوقت لا يطيق أن يكون الدين هو الباعث الوحيد لكل شىء •

صحيح أن الدين والاحلام المجنونة هى التى جمعت الشعب اليهودى المتفرق فى كل أرض • ورغم اختلاف الارض واللغة والطبقة من كل اليهود فان الدين قد جمعهم وأشعل النار فيهم ، وألهمهم الصبر على الهوان فى كل زمان •

ولذلك كان من أول همومه السياسية والاجتماعية أن يأتى باليهود الى اسرائيل ، تحت أى ستار ، وتحت أى شعار • وبعد ذلك يقطع ما بينهم وبين البلاد التى جاءوا

منها •• ثم بعزلهم تماما فى المستعمرات • ويشغل أيديهم بالاعمال اليدوية •• لم يكونوا فلاحين فى أى عصر •••

ولذلك يجب أن يزرعوا ويقلعوا ويحصدوا •• لم يعيشوا فى الصحراء ، ولذلك يجب نشرهم وعصرهم وتجفيفهم فى الرمل وتحت الشمس •• كان اليهود يتكلمون عشرات

اللغات ، فمن الواجب أن يتحدثوا لغة واحدة •• هى العبرية • وهى لغة ماتت على كل لسان من ألوف السنين فاذا تكلموا العبرية أقاموا فى اسرائيل •• وانعزلوا عن كل دولة أخرى •• وأصبحوا فى نفس الوقت عاجزين عن الهجرة من اسرائيل الى أى بلد آخر • فاللغة ارتباط ورباط •

وهو يعلم أن الكثير من مبادىء الدولة الحديثة لايقرها الدين اليهودى • فالخدمة العسكرية حرام • والطعام الذى يأكله الناس حرام •• ولذلك يجب أن تكون هناك أطعمة خاصة •• يسمونها الاطعمة الكوشير — أى الحلال — وهذه الاطعمة لها شروط خاصة • فاللحم يجب أن يذبح ويطبخ بطريقة معروفة •• ويجب أن يكون شخص واحد هو الذى يذبح الحيوانات والطيور • وهذا الشخص يجب أن يحصل على ترخيص من أعلى الهيئات الدينية • مثلا : يجب أن يذبح الحيوان بضربة سكين واحدة • أى أن السكين يجب أن تكون حادة • وأن تمشى

على عنق الدجاجة أو الخروف فى اتجاه واحد ومرة واحدة والا كان حراما • ووجد بن جوريون أنه من الصعب أن يرضى كل المذاهب الدينية •• ولذلك قرر أول الامر أن يكون هناك طهاة من رجال الدين •• وأخيرا أن يكون كل الطعام فى الجيش دينيا •

وهو فى نفس الوقت لا يعرف ما الذى يمكن أن تفعله الحكومة أمام رجال الدين الذين يضربون كل من يركب سيارة يوم السبت أو يفتح دكانا أو مطعما • فمن المشاهد المألوفة جدا أن تجد أناسا قد طالت لحاهم يحملون أكياسا من الظلط يرمون بها المشاة وأصحاب المطاعم وأصحاب الفنادق فى يوم السبت •• أو أن تجد واحدا من رجال الدين وقد حمل حاجزا من الاسلاك الشائكة ووضعه فى الطريق العام وجلس أمامه أو خلفه ليمنع حركة المرور لأن هذا — بنص التوراة والتلمود — حرام •

ورجال الدين كانوا ولا يزالون يرون أن الشعب اليهودى يجب أن يظل يصلى ويبكى حتى يجىء المسيح • فاذا جاء تولى هو عن كل الشعب اليهودى العودة والخلاص من العذاب •• ويقول بن جوريون : أن الكثير من اليهود قد أحرقوا وأغرقوا •• ولكن هذه بطولات سلبية •• وأن الدين يجب أن ينتهى • فدوره قد تجاوزته المجتمعات الحديثة •• هذا رأيه •• ولكنه لا يستطيع أن

يفرضه بالقانون •• لان المجتمع اليهودى ممزق •• ففيه الملحدون وفيه الذين يصلون على قطعة حجر يضعونها بين عيونهم •• ويحملون معهم هذا الحجر فى كل مكان • لان التلمود يقول « ضعوا التوراة والمعبد بين عيونكم » وعلى الرغم من أن المعنى هو أن يحرصوا على التلمود وعلى التوراه وعلى المعبد ، فان رجال الدين اليهود يرون أن المعنى يجب أن يكون حرفيا •• ولذلك يلفون رؤوسهم بأشرطة أو أحزمة وقد تعلق منها نموذج خشبى أو حجرى من التوراة فاذا صلوا وضعوا رؤوسهم فوق الحجر !

وفى المجتمع الاسرائيلى الحديث مشاكل الزواج والطلاق •• وأين ينعقد هذا الزواج • الاتجاه الى عقده مدنيا • ولكن الاحزاب الدينية ترى فى ذلك نوعا من الزنى • ولذلك لابد من توثيق العقود دينيا •• أو عقدها مدنيا وتوثيقها دينيا •• وتواجه الحكومات الائتلافية فى اسرائيل حملات عنيفة فى المعابد ولعنات من رجال الدين لانها حكومات ملحدة فاسقة •

ويتجه بن جوريون فى محاوراته الى قضايا هامة وهو يتحدث فيها باطالة واسراف •• لانه يريد أن يدفع عن اليهود كل التهم ، التى وجهت اليهم فى كل العصور • من بين هذه التهم أن اليهود شعب يحتقر كل الشعوب

الاخرى •• ويرى أن كل الناس لصوص لثرواته •• لان التوراه قالت لهم أن الارض لكم ومن عليها من النـــاس عبيد لكم •• وما عليها من الحيوانات والنباتات طعـــام لكم ، هذا وعد وعهد بين ابراهيم والرب ، وبين مـــوسى والرب وبين سليمان والرب •

ويقول بن جوريون : أبدا ليس صـــحيحا أننا قلنا عن أنفسنا أننا شعب الله المختار •• ليس صحيحا أن الله قـــد اختارنا •• ولكن الصحيح هو أننا الذين اختـــرنا الله • فالله قد عرض « الوصايا العشر » على كل الشعوب ورفضتها كل الشعوب لانها صعبة عسيرة • فهو قد عرض على الشعوب ألا تسرق وألا تقتل • فقالوا : لا نقتل نعم ولكن لا نسرق هذا صعب • وعرض على شعوب أخرى : ألا تعبد غيره والا تزنى •• فقالوا : لا نعبد غيرك نعم • وألا نزنى فهذا غير مستطاع •• ولكن اليهود وحدهم هم الذين اختاروا الوصايا العشر •• فهم هكذا اختاروا الله ولكنه ليس هو الذى اختارهم •• فهم الشعب المختار •• أى الذى اختار الله •• وليسوا الشعب الذى اختـــاره الله •

ويشير بن جوريون الى ما جاء فى سفر يشوع الاصحاح ٢٤ والآيات ١٤ و ١٦ و ٢١ و ٢٢ :

« الآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا

الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب •• فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الـــرب لنعبد آلهة أخرى •• فقال الشعب ليشوع لا ، بل الرب نعبد • فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لانفسكم الرب لتعبـــدوه •• فقالوا نحن شهود » •

ويناقش بن جوريون ما قيل عن اليهود : أن الـــرب طلب منهم أن يتسلطوا على العالم كلـــه • ويقول : بل الرب طلب من اسرائيل أن تسمو روحيا على كل الشعوب وذلك بأن تحارب الرذيلة وتدعو الى الفضيلة والى السلام وأن الشعوب كلها سوف تتعلم من اسرائيل •• أى مطلوب من اسرائيل أن تكون « نموذجا أخلاقيا » لكل شـعوب العالم •

ويقول بن جوريون أن التوراة لم تتحدث عن «دولة» نموذجية •• وانما عن « مجتمع » نموذجى •• فاللغـــة العبرية لا توجد بها كلمة دولة •• وانما الدولة بالعبـرية تقابلها كلمــــة « مدينة » • مدينة اسرائيل ، أى دولة اسرائيل •

ولذلك يتحدث النبى أشعياء فى أيامه الاخيرة عن خلاص اليهود والشعوب كلها فيقول « الاصحاح ؟ » والآيات ٢ حتى ٤ :

ويكون فى آخـــر الايام أن جبـــل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال •• ويرتفع فوق التلال وتجرى اليه كل الامم •• وتسر شعوب كثيرة ويقولون هلم نصـــعد الى جبل الرب الى بيت الرب يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لانه من صهيون تخرج الشريعة •• ومن أورشليم كلمة الـــرب •• فيقضى بين الامم وينصـــف الشعوب كثيرة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتكلمون الحرب فيمـــا بعد •• » •

وفى أشعياءأيضا « الاصحاح ١٤ » : لان الرب سيرحم يعقوب ويختار اسرائيل ويريحهم فى أرضهم فتقترن بهم الغرباء وينضمون الى بيت يعقوب •

ويستنتج بن جوريون من ذلك أن الشعب اليهـــودى قد اختار لنفسه أن يكون هاديا لكل الشعوب بما عنـــده من مثل عليا وأخلاقيات نبيلة جدا •• ولابد أن رجـــال الدين يرون حال المجتمع اليهودى بكل ما فيه من أعمال وحشية دموية ، وكذب وسرقة ونهب وتآمر ، ويرون أن بن جوريون هذا ملحد • فهو كافر بدينه نفسه ، وبواقع مجتمعه الذى يقوم على احتقار كل الوصايا العشر التى تركها موسى لليهود •

وبن جوريون ــ ككل اليهود ــ يغالط ويراوغ •• لان

التوراة صريحة والتلمود أكثر صراحة فى اعتبار اليهـود سادة الشعوب • ويجب أن يكونوا كذلك ولكن بن جوريون بقول : كيف نكون سادة العالم ونحن أقلية تعتمد على الاغلبية فى كل مكان •• كيف يكون اليهود سادة العـالم وأيديهم ممتدة وراء البحار يطلبون المال والسلاح والامان والثقة والعطف من كل الناس •• يقول : لسنا الآن فى حالة تسمح لنا بأن نقول ذلك •

أى أن الحالة الآن لا تسمح •• ولـكن سوف يجىء اليوم الذى يجب أن تسمح فيه كل الظروف بأن يخربوا الدنيا ويجلسوا على تلالها كما تقول التوراه •• أو عندما يسود الرخاء كل مكان وتتعالى المقاعد الذهبية التى يتربع عليها اليهود ليتسلموا « العهدة » تنفيـذا للعهد •• أى ليحكموا العالم كله •• وكل الشعوب التى تقـاومهم مدعية أن اليهود يعتدون عليهم أو يسلبونهم أرضهم أو أرزاقهم ، هذه الشعوب كافرة ملحدة لانها تعطل مشيئة الرب الذى اختار اليهود ، واختار لهم كل الأرض ومن فيها وما عليها ؟!

ويعود بن جوريون فى أكثر من موضع من هذا الكتاب وينفى عن الشعب اليهودى أنه قال أنه سيد الشعوب • وينفى أيضا عن أنبيائه أنهم طالبوا اليهود بأن يعملوا على السيطرة على كل الناس •• ولكن بن جوريون يعلم أن

الذى يقوله كذب ومغالطة •• وأن التلمود فى متناول كل الناس • وأن التلمود يحتقر كل الاديان وكل الشعوب ويدعو اليهود فى كل أرض وفى كل زمن الى السيطرة على الدنيا •

ويندهش جدا كيف أن احدى السفارات المصرية فى افريقيا قد نشرت صورة كاريكاتورية تضم عددا من اليهود الامريكان قد التفوا حول الوزارة الامريكية •• وقالت الصحيفة المصرية أن هذه هى الوزارة الامريكية •• ومن ورائها الحكومة السرية لليهود •• أى « القهالة » •• أما هذه القهالة فكانت تضم : السناتور لحمان والبروفسور لوبنهايمر أحد مخترعى القنبلة الهيدروجينية ، والمستر فرنكفورتر رئيس المحكمة العليا ثم الاميرال ريكوفر •• ويتضايق جدا بن جوريون لان الصحيفة المصرية قالت عنهم : هؤلاء هم حكماء صهيون الذين وضعوا للبروتوكولات المشهورة فى سويسرا سنة ١٨٩٧ • وقالت الصحيفة المصرية أن « بروتوكولات حكماء صهيون » هى الخطة السرية التى تتولى هذه الحكومة السرية تطبيقها فى أمريكا وفى أوروبا للسيطرة على العالم ، وتخريبه قبل السيطرة عليه !

ويتوقف بن جوريون طويلا وكثيرا دفاعا عن اليهود وعن اسرائيل ، ويقول : أنها مشكلة زجاجية نبيذ •• فالوضع

الآن هو ما يأتى : كانت هناك زجاجة نبيذ .. أفرغت هذه الزجاجة ثم ملأنا الزجاجة بالماء ، ولكن بقيت فوقها ورقة مكتوب عليها أنها زجاجة نبيذ .. والخلاف بيننا وبين العالم كله : أن العالم يقول أنها زجاجة نبيذ .. ونحن نقول : كانت زجاجة نبيذ .. العالم كله يقول أن اليهود يعيشون على أنهم سادة البشر وأنهم يجب أن يتمكنوا من رقاب العالم كله .. ونحن نقول : كان هذا رأى اليهود من ألوف السنين .. ولكن ليس هذا رأيهم الآن !

ولكن بن جوريون يغالط طبعا .. فلا تزال الاحزاب الدينية والكتب الحديثة التى تصدر عن اسرائيل تؤكد ما يريد أن ينفيه .. فالزجاجة كان بها هذا النبيذ المعتق شعب الله المختار وأفرغت الزجاجة .. هذا صحيح .. ولكن عادت اسرائيل وملأتها بنبيذ آخر معتق .. أو أن الذى حدث هو أنه كانت هناك زجاجة نبيذ صغيرة ... ثم أتت اسرائيل بزجاجة أكثر وأطول وأعرض .. وتدعى اليوم أن اسرائيل يجب أن تكون أكبر .. وأن تمتد من النيل الى الفرات ، وفى الكنيست الاسرائيلى خريطة اسرائيل الكبرى .. فليس صحيحا ما يدعيه بن جوريون وليس صحيحا ما يتظاهر به من كراهية للدين ، واظهار نفسه رجلا متحررا ، والحقيقة أنه شديد التعصب للدين والشعب ، والتمسك بالارض التى سرقها ، والارض التى

بريد أن يسرقها ولم يعد أحد يعبأ كثيرا بالورقة المكتوبة على الزجاجة !

ويدرك بن جوريون أن العـــالم لن يصدقه بسهولة ، ولذلك يقول : ان هناك نكتة للاديب المعروف باسم « سلام عليكم » يقول فيها : ان الفقير يأكل الفرخة اذا كان مريضا أو اذا كانت الفرخة مريضة .

ويتساءل بن جوريون : ولكن لماذا لا يأكلهـا لانه ف صحة جيدة ؟ لماذا ؟

لان العالم لم يعد يصدق ما تقولون !

فعلا ..

أغرب شعب في العالم !

وقف أحد النقاد يتفرج على معرض للوحات الحديثة فى مدينة برلين • نظر الى اليمين فقال : هـذه المجموعة من الفنانين لها أسلوب غريب •• ثم اتجه الى اليسار وقال : وهؤلاء أغرب •• ونظر وراءه وقال : ولكن هؤلاء أعجب من الجميع •

وخرج من المعرض يضحك بصوت مرتفع وهو يقول : وأنا أعجب من كل هؤلاء !

أما الذى أضحكه فهو أنه يهودى وكل أصحاب هـذه اللوحات من اليهود أيضا !

بهـذا المعنى يبدأ الكاتب اليهودى بارنيت لتفينوف دراسة طويلة مفيدة لليهود فى العالم كله • ماذا جرى لهم وما الذى فعلوه بالبلاد التى هاجروا اليها • كتابه عنوانه « شعب غريب ــ داخل العالم اليهودى اليوم » فهو يرى أن اليهودى فى أى مكان ، لا ينسى أنه يهودى • لا هـو

ينسى ولا أحـــد يجعله ينسى • ولـــكن الكثيرين جدا من اليهود لا يعرفون دينهم • رغم أنهم يهود، بل انهم ميالون الى التخلى عن هذا الدين • فقد تعبوا من أنهم يهود •

من الممكن أن يقوم اليهودى بطهارة أولاده وهم صغار لأسباب صحية ، دون أن يربط هذا الاجراء بذلك العهد الذى تم بين الرب وبين ابراهيم عليـــه الســـلام ، منـــذ أربعة آلاف سنة ــ الفراعنة قد سبقوا ابراهيم الى ذلك بأكثر من ألف سنة !

وعلى الرغم من أن اليهود يحرصون أو يضيقون بأنهم يهود ، فان اليهود أنفسهم لم يتفقوا على من هو اليهودى أسهل تعريف لليهودى • أن كل من كانت أمه يهودية فهو يهودى • الاب لا يهم سواء كان يهوديا أو من أى دين آخر •• وفى اسرائيل خلافات كثـــيرة جدا حول ذلك • ولكن نفرض أن يهودية أنجبت طفلا غير شرعى هل هـــو

يهودى ؟ نفرض أنها تزوجت يهوديا زواجا مدنيا فهل هى وزوجها يهوديان ، وهل أولادهما يهود ؟ أن هذه المشكلة قد أدت الى طرد طفلة من مدرســـة انجليزية فى الهنـــد (وأدت الى طرد أحـــد الحاخامات من المعبد • فقد أثبت بعض الاحزاب أنه ليس يهوديا بدرجة كافية • وطردت سيدة يهودية من مجلس بلدية الناصرة لانهم أثبتوا أنها يهودية الا قليلا) !

واستعان مجلس الوزراء الاسرائيلى بعـــدد كبير من رجال الدين والعلماء والفلاسفة لكى يضعوا تعريفا كاملا عن من هو اليهودى ، ووضعت التعريفات ، ولكن الاحزاب السياسية والدينية فى اسرائيل لم تتفق على رأى ٠

ولا تزال اســـــرائيل تعانى من التفرقة العنصـــرية اليهودية ، التى راح ضحيتها ملايين فى أيام هتلر !

ومن المعروف أن عدد اليهود فى العالم كله ١٣ مليونا ، ومن الصعب أن تعرف ما هو لون اليهودى ، ومن الصعب أن تعرف ما هو دين هؤلاء أو ما هــو مذهبهم الدينى ، أو من أى الاجناس قد انحدروا ، فهم ليسوا من جنس واحـــد ٠ لا شك فى ذلك ، فهم زنوج تحولوا الى الديانة اليهودية ٠ وهناك يهود تحولوا الى المسيحية فى الظاهر ويهود فى البـــاطن ، ومن بين اليهود الذين تحـــولوا الى المسيحية مثـــلا : المونسنيور استرايشر من الشخصيات الهامة فى سكرتارية الفاتيكان ٠

ومع بداية القرن التاســـع عشر ظهر نوع جـــديد من اليهـــود : اليهودى الصـــهيونى ٠ والآن كم من اليهـــود صـــهاينة ، وكم من الصـــهاينة يهـــود ؟ وهل اذا لم يكن اليهودى صـــهيونيا أى مطالبا بوطن لليهود ، فهل يعتبر يهوديا أو خارجا عن اليهودية أو معاديا لها ؟

أكثر من ذلك : هل يستطيع يهودى واحد أن يذكر لنـــا

شجرة أنسابه .. ان أكثر اليهود حظا يستطيع أن يقتفى أثر أجداده الى مائتى عام فقط . وتلك حالات نادرة ولكن اليهود كمجموعة يمكن أن يقال أنهم أبناء ابراهيم عليه السلام ، وأنهم جاءوا من العصر البرونزى !

والتوراة ترجع باليهود الى سنة ١٩٠٠ ق.م ، أى الى أيام الامبراطورية الرومانية ، وليس هذا مؤكدا من الناحية العلمية ، ولذلك يمكن أن يدخل هذا المعنى ضمن الخرافات الشعبية اليهودية ، فمن المؤكد أن ابراهيم قد هاجر من العراق الى فلسطين . وأنه فى طريقه استعار الكثير من القصص والخرافات الشعبية السائدة فى ذلك الوقت . وكان ذلك العهد المعروف بينه وبين ربه ، وكان ذلك الوعد من الرب بأن يجعل أولاد ابراهيم عليه السلام يتكاثرون من الشعوب .

واليهود قد تكاثروا لانهم تزوجوا من شعوب أخرى . ومن جيرانهم ، ثم أن حياتهم كانت فى التنقل والترحال لانهم كانوا رعاة . ولذلك أطلق عليهم اسم :

عابيرو ... وحابيرو ... وهابيرو ... وعابوزا .

وأطلق عليهم اسم : العبرانيون والعبريون .

(فى الريف بمصر ما تزال كلمة عابورا تطلق على النعجة ، لعل لهذه الكلمة علاقة بالرعى أو الترحال . وفى كل اللغات كلمات من اللغات المجاورة أو اللغات الاقدم) .

ومن فلسطين اتجهوا الى مصر • ومن مصر الى سيناء الى فلسـطين •

وكان اليهود يعتقدون أن قوتهم فى صفائهم ــ أى فى أنهم من سلالة واحدة وأنهم أسرة واحدة ــ ولكن عندما نزلوا الى مصر واختـلطوا بالمصريين •• وأقاموا فى مصر أكثر من مائتى سنة ، سقطت هذه الحجة • تماما كما تروى التوراة أن شمشون قد انهارت قوته عندما قصت له دليلة شـعره ، فكذلك اليهود سـقطت حجتهم عندما اختلطوا وامتزجوا وذابوا فى الشعوب الاخرى •

ثم جاء أنبياء اليهود وراحوا يؤكدون لهم أنهم باقون• وأن الله خلقهم لكى يبقوا ضد طغيان الفرس والرومان • وهـؤلاء الانبياء هم الذين نفخوا فى اليهـود وجعلوهم يؤمنون بأن رسالتهم لكل الشعوب •

وفى أيام الرومان هرب اليهود الى روما يمشـون فى مواكب القوة الجـديدة • وكذلك مع قوات الاغريق ، ثم تسللوا الى كثير من الدول الاوروبية الاخرى • وانعزلوا عن النـاس •

ولما ظهرت المسيحية عاداها اليهود أول الامر •

ولـما قويت تسـللوا اليهـا • وفى نفس الوقت كانوا يتمسكون بدينهم هم ، خوفا على « ناموس موسى » أى قانون موسى ووصاياه ، ثم اختلف اليهود مع المسيحيين•

وتولدت الكراهيـــة ، وجاء الرومان يعدمون المســيحيين واليهود معا .. ففى ١٣٢ ميلادية أصدر الرومان قانونا يحرمون فيه الطهارة التى أحلتها الديانة اليهودية . وكان من نتيجة ذلك اعدام مئات الالوف من اليهود . وتحول هيكل سليمان فى القدس الى معبد للاله الرومانى جوبتر .

وفى مواجهة « العهد الجديد » فى الديانة المسيحية ألف اليهود « التلمود » ، وقد اشترك فى كتابة التلمود ألوف من رجال الدين . عرضوا فيه الديانة اليهودية وتاريخها وأحكامها مستعينين بالقصص والامثال والنوادر والخرافات و «العهد الجديد» فيه اشارات الى اليهودية ، وفى التلمود اشارات وهجــوم عنيف على المسيحية .. ولكن الكتابين يرفض كل منهما الآخر تماما . واليهود يرون أن من يقرأ « العهد الجــديد » فهو كافر .. والمســيحيون يرون أن « التلمود » دعوة الى الكفر بالمسيحية .

ولا أحد يستطيع اليوم أن يحدثنا عن الشعب اليهودى فى أى مكان من العالم فى العصــور الاولى للمسيحية .. ولا أحد يعرف كم عدده . وفى العهود الاسلامية نعرف الكثير عنهم .نعرف أنهم عاشوا فى أمان وازدهرت أفكارهم وبرزت أدوارهم فى الحياة الاقتصادية والفكرية ، وعندما أقام الملك شارلمان امبراطوريته المسيحية ، قامت جماعات يهودية تركية بين البحرين الاسود وقزوين لمدة قرنين ،

وكان لهم نشاط واضح • ثم برز اليهود فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر فى الاندلس • وظهر من بينهم الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون،طبيب صلاح الدين•

ولما جاءت الحروب الصليبية ، وارتفع المد المسيحى عرف اليهود أشد أنواع الخوف ، وظهرت فى حياتهم « حارات اليهود » ، وكان على كل يهودى أن يضع علامة فى ملابسه ، تمييزا له عن المسيحية ، ومع الاعمال العنيفة، وحرب الثلاثين عاما فى أوروبا ، انكمش اليهود واختفوا فى عزلتهم واحتقار الناس لهم • وأصبح على كل يهودى أن يعد نفسه للهرب فى أى وقت • ولذلك كان اليهود يحملون ثرواتهم على شكل ذهب أو على شكل سفن • ليسهل الهرب ليلا أو نهارا • وأدرك أبناء اليهود أنه لا حياة لهم الا فى ظل ملك أو أمير • ولذلك التف اليهود حول الامراء والنبلاء فى كل أوروبا ، ولقى اليهود فى القرن الثامن عشر ، ما لقيته كل الاقليات الاخرى : البروتسانت فى بولندا ، والكاثوليك فى انجلترا والسويد •

وأدى هذا الانزواء والخوف الى تخلف اليهود ثقافيا ، ولم ينطلق اليهود فكريا وأدبيا الا عندما عاشوا مع الاغلبية واتصلوا بها وذابوا فيها • أى عندما أفلتوا تماما من سجن التلمود والتوراة !

وبعض المذاهب اليهودية ترفض التطور ، ولذلك بقى

كثير من اليهود الذين عاشوا فى أمريكا وفى روسيا متخلفين تماما • ويهود آخرون تعبوا من أنهم يهود فانفتحوا على الشعوب التى أقاموا بينها • وأدى ذلك الى تطورهم • وواضح جدا أن المسيحية انتشرت لانها ديانة متفتحة ، والاســـلام انتشر لانه دين متفتح • وفى نفس الوقت ظهرت مــذاهب يهودية تطلب من الشـــعب اليهودى أن يتماسك ويتمسك بدينه أكثر وأكثر • وأن يحــكم اغلاق الابواب والنوافذ والحارات فى وجه الرياح الكافرة به !

وهـــذه الدعوات المحافظة تعيد الى اليهود مناقشـــات كثيرة تستغرقهم وتفسد حياتهم : من هو اليهودى وما هو الزواج الشرعى ، وعند اليهود هذا شىء مهم جدا : تماما كما يتساءل الناس هل فلان انجليزى أو هل هو فرنسى • هذا الموقف الغريب من اليهود هو الذى جعل الشعوب الاخرى والديانات الاخرى تقف من اليهود موقفا غريبـــا أو معاديا ، فاليهود هم الذين خلقوا العـــداء لهم فى كل مـــكان ، لانهم الاقليـــــة التى ترفض الاغلبية • ولانهم المضطهدون الذين يتعالون على الذين عذبوهم •

وقد ظن اليهود أن سبب كراهية الشعوب كلها لهم : أنهم هم الذين صلبوا المسيح •• وأن هذا هـــو السبب الوحيد لكراهيتهم • ونسى اليهود أن هناك أسبابا أخرى كثـــيرة !

ولولا ذلك لساهموا فى تطوير كثير من البلاد التى طردوا منها •

لقد طردتهم انجلتوا سنة ١٢٩٠ •

وطردتهم فرنسا سنة ١٣٩٤ •

وطردتهم النمسا سنة ١٤٢٠ •

وأسبانيا طردتهم سنة ١٤٩٢ •

وألمانيا طردتهم سنة ١٥١٩ •

والامبراطورة الروسية كاترين الاولى قد طردتهم سنة ١٧٢٧ •

وجاء هتلر بعد ذلك •

وكان العناد وضيق الافق هو الذى أتعس الشعب اليهودى ، فقد اختار اليهود الطاعة العمياء لكل ما جاء فى التلمود • فالتلمود هو الذى أغناهم ثم هو الذى أفناهم بعد ذلك ، وكان اليهود يرفضون أية محاولة لتحرير الفكر اليهودى ، واليهود اليوم ينظرون بكثير من الخجل الى أنهم أتهموا موسى بن ميمون بالالحاد •• وهو الذى ألف باللغة العربية كتاب « دلالة الحائرين » لانقاذهم •• وهم الذين أتهموا فيلسوفهم الهولندى اسبينوزا بالكفر وطردوه من دينهم سنة ١٦٥٦ •

واليهود ينظرون الى أوروبا ويجدون أن تخلفهم الشديد هو الذى لم يجعل لهم رساما واحدا ممتازا

ولا موسيقيا ولا عالما ولا فيلسوفا يقف الى جانب عمالقة الفكر والفن الاوروبى • وبينما كانت أوروبا تباهى العالم بعلمائها الكبار كان اليهود يتحدثون عن سـليمان وداود ويوشع وابن كوكب والمكايين (الشـواكيش) وخرافات أخرى كثيرة فى دينهم •

الى جانب ذلك فاليهود نوعان : غربيون اشكنازيم •• وشرقيون : سفرديم •• أو اشكنازيم : ألمان •• وسفرديم أسبان •• ولا تزال هذه التفرقة سائدة فى العالم كله ، وفى اسرائيل حتى اليوم • فلكل فئة معابدها • ومن المؤكد أن الغربيين هم أبناء أوروبا الوسـطى والشرقية : البيض والشرقيون هم أبناء البحر الابيض وبقية الدول الملونة • ومن الغريب أن أصحاب الملايين اليهود فى انجلترا شرقيون، ويسخر منهم الغربيون ويقولون عنهم : هؤلاء « السادة » العظام !

واليهود الشرقيون هم ربع الشعب اليهودى فى العالم ، وفى اسرائيل : الحكومات كلها غربية وأصحاب الامتيازات جميعا من الالمان والروس والبولنديين والامريكان •

وعلى الرغم من أن اليهود يعرفون أن المتـازين منهم أصلهم يهودي ولكنهم مسيحيون ، فان هذا لا يدفعهم الى الذوبان فى الشـعوب الاخرى ، مثـلا : الفيلسوف كارل ماركس والشاعر جنيه والموسيقار مندلسون ودزررائيلى رئيس وزراء بريطانيا ــ تحولوا الى المسيحية !

وقد كان عـــدد اليهود فى أمريكا ســـنة ١٨٤٠ حوالى خمسة آلاف • انهم الآن ستة ملايين !

ومن مواقفهم الغريبة أنهم لا يريدون الهجــــرة الى اسرائيل • ولكن على استعداد لأن يشجعوا غيرهم ويدفعوا لهم تكاليف الحيـــــاة • ثم أنهم لا يتمســـــكون بالدين ولا يحرصون عليه •• وهذا أحد مصادر فزع اسرائيل !

واليهود فى جنوب افريقيا يبكون على وفاة الدكتور فور فورد الذى تزعم التفرقة العنصرية • ونسى اليهود أنهم ضحايا هذه السياسة فى العالم كله !

وفى بريطانيا طرد اللورد فونكرفت من ادارة احـــدى الشركات لانه يهودى تزوج مســـيحية وأولاده يترددون على الكنيسة •

ونحن نعرف من الذى قتل كنيدى •• قتله واحد يهودى ورأى واحد يهودى آخر أن هذا السلوك لا يليق بيهودى فاغتاله •

وفى الهند جمعية اسمها « ابناء اسرائيل » وعـــددهم عشرون ألف ، رفضتهم الاحزاب الدينية فى اسرائيل •

وهذا يثير السؤال القديم الجديد :

من هو اليهودى ؟ ان زوجة ابن خروتشـــيف يهودية ، فهل أولادها يهود ؟

والزعيم الشيوعى الملحد تروتسكى هل هو يهودى ؟

ان اليهودى بطبعه متمرد •• ولا أعرف بالضبط ما الذى يرضيه •• انه يهرب الى المسيحية ويحطمها من الداخل • أنه يدخل كل الاحزاب الثورية والرجعية ويحارب كل ماهو قائم •• فقد اشترك اليهود فى الاجـــزاب الثـــورية فى أوروبا ابتداء من سنة ١٨٤٨ ، فهل تستطيع أن تعرف من هو هذا اليهودى الثائر •

ويرى المؤلف ، بعد استعراضه لتاريخ اليهــود ، أنهم شعب غريب عن كل الناس وغريب عن دينه وعن قومه •

يحصد الرماد
من يزرع النار !

فى قصص الاغريق جماعة من الكائنات غريبة الشكل والحجم فهم طوال عراض • ولكل واحد منهم عين واحدة • واذا تحرك الواحد أفرز عرقا على شكل برادة الحديد • واذا غضب خرجت من كتفيه أعواد من الصلب ثم أن لهم وجوها من الرخام • والكائنات الاخرى تخشاهم لانهم فى غاية القوة والمناعة • ولكن لهذه الكائنات مشكلة: فهم لا يستطيعون أن يناموا كالبشر ، ولا أن يجلسوا ولا أن يتحدثوا الى أحد •• فأجسامهم لا تطاوعهم • وخوف الناس يسبقهم ويجىء بعدهم • ولذلك عاشوا فى عزلة مخيفة••أى أنهم محاطون بالخوف والكراهية•• هم يخافون الناس والناس يكرهونهم •

هذه الكائنات اسمها : سيكلوب ــ أى ذات العين الواحدة • وتقول الاساطير الاغريقية أن أم هذه الكائنات

قد أشعلت حقدهم على أبيهم • لانه قادر على أن يعيش ويتحرك ويحب وتحبه الكائنات الاخرى •• أى أنه قادر على فعل كل شيء لا يقدرون عليه •• واتفق الابناء مع الام على قتل الاب أثناء النوم •• وقتلوه •

ويقال ان زيوس ـــ كبير الآلهة قديما والولايات المتحدة حديثا ـــ كان يستعين بهذه الكائنات المنوهة فى ضرب أعدائه •

وليس المقصود بهذه المقدمة موشى ديان وحده ، ولكن كل هذا الطراز العسكرى من اسرائيل • انهم حاقدون على كل الشعوب ، وعلى العرب بصفة خاصة ، وعلى المصريين بشكل خاص وهم مدفوعون بالسلاح الى القتل • ولكن ما الذى أسفرت عنه هذه المعارك كلها •

ان اسرائيل تفخر ، وجلاديها العسكريين ، بأنها « بروسيا الشرق » •• أى أنها الدولة الصغيرة القوية التى تتولى تأديب جيرانها من وقت لآخر • وأنها مثل بروسيا قد نجحت فى ثلاث حروب •• فبروسيا قد انتصرت على الدانمرك وعلى النمسا وعلى فرنسا •• وهذه الانتصارات قد نفخت فى بروسيا •• وارتفع المد القومى والعنصرى فيها • فظهرت النزعات الجرمانية ونقاوة الجنس الآرى ، وأن الالمان سادة الشعوب الاوروبية •

وأن الالمـــان كل شيء • فهم الاعلى والاســـمى ، وكل الشعوب الاوروبية هى الادنى والاحط •

وظهر فى بروسيا رجال من طراز بسمارك وقلهلم الثانى وهتلر • هــؤلاء وحـــدوا الشعوب الناطقة بالالمانية ليواجهوا أوروبا الممزقة • أو التى يعملون على تمزيقها • وقد كان تمزيق أوروبا سهلا ، لان جيران بروسيا مختلفون لغويا ودينيا وعنصريا وجغرافيا وتاريخيا •

« فبروسيا الاوروبية » قد وحدت شــعبها ، ومزقت جيرانها •

ولكن ما الذى فعلته « بروسيا الشرق الاوسط » •• انها لم تفلح تماما فى تمزيق العرب •• صحيح أن العرب كانوا متفوقين سنة ١٩٤٨ ومتقاربين ســنة ١٩٥٦ وأكثر تماسكا سنة ١٩٦٧ •• ولكن فى سنة ١٩٧٣ اتحد العرب كما لم يفعلوا من مئات السنين • ان العرب قد نسوا فى لحظة واحــدة خلافاتهم الاجتماعية والســياسية • ولم يذكروا الا أنهم عرب والا أن هذه القضية قضيتهم جميعا لقد اتحدوا ضد اسرائيل • فكأن اسرائيل العســكرية لم تفلح فى تمزيق العرب • ولم تنجح مطلقــا فى أن تجعل الحرب وســيلة الى الامن والامان • ان اسرائيل قد وســعت الحــدود التى تتحرك فيها •• انها تدعى الى

الخوف هـو الذى جعلها تباعد بينها وبين جيرانها ولذلك تعتدى عليهم باسم الخوف • وانها مضطرة الى ذلك •• وكأنها تريد من كل الشعوب أن تعطف عليها • تماما كما تضطر القطة الى أن تبتلع صـغارها خوفا عليها • ومن الممكن أن يشعر الانسان بالاشفاق على هذا الحيوان لانه يأكل صـغاره • لكن اسرائيل مع الاسـف ــ لا تأكل صغارها •• انها تأكل صغار غيرها •• انها تبلع أكثر مما تستطيع أن تهضم •• انها تشكو من التخمة ، وتستدر شفقة العالم كله من أجل ذلك !

ان العالم الاجتماعي اليهودى دزموند موريس يقول فى كتابه « الانسان حديقة حيوان » أن أكثر الجرائم التى ترتكبها الحيوانات فى الحديقة سببها الخوف • فالام كثيرا ما داست صغيرها حتى الموت ، خوفا على حيـاتها وعلى حياته •• وان هناك أنواعا من القردة اذا رأت الصـيد والصيادون يعرفون ذلك •• فهم يراقبون ما تفعله الام • فاذا أيقنوا أنها قتلته ظلوا يرصدونها •• وبعد أيام عندما تكون للقتيل رائحة كريهة تلقى به الام بعيدا •• وقريبـا من شرك الصياد •

ويقول دزموند موريس :

ان أقليات كثيرة فى العالم تفعل ذلك !

والعسكريون اليهود آمنوا بأنه لا بقاء لهم فى الشرق الاوسط الا بالاستعانة بكبير الآلهة زيوس ، بأمواله وسلاحه .

وموسى ديان وهو واحد منهم ، وهم سعيدون به ، لانه أكثر وقاحة فى التعبير عن أعماقهم يحاول دائما أن يعطى لنفسه صورة النبى .. أو الرجل المقدس .. أو العبقرى الذى لا تضيع منه فرصة .. فهو تارة نبيهم وقائدهم يوشع .. وهو تارة ديجول الصغير .. أو نبيهم موسى الجديد .. ولذلك عندما يتحدث عن المعارك أو عن مستقبل اسرائيل يجعل عبارته على شكل نبؤة . ولا ينسى أن يضيف اليها شيئا من المرارة ، وشيئا من الكراهية للمصريين .

ومن الصور التى لا ينساها العرب فى اسرائيل كيف كان أسرى الحرب يمشون حفاة عراة فى الشوارع .. بينما جلس موسى ديان على منصته يستمتع بذلك .. تماما كما كان يفعل الرومان بالاسرى اليهود بينما جلس نيرون وفاسيازيان ينتشون بالنظر الى ذلهم وهوانهم .. ولكى يكملوا سعادتهم فانهم يطلقون عليهم الوحوش .. أو يجعلونهم يقتلون بعضهم البعض !

وموسى ديان هذا هو الذى أطلق على حرب سنة ١٩٦٧

وقد مضى الآن أكثـر من عشرين يوما ، ولم ولن تتحقق هذه الامنية الكريهة •

وموسى الجديد يريد أن يعيد الى خيال اليهود كيف أن موسى النبى قد خرج بهم من مصر الى سـيناء ثم الى الارض الموعودة ـ أى الارض التى وعدوا بها أنفسهم • وهو لذلك يريد أن يدخل مصر وأن يخرج منها باليهود الى أرض الميعاد فى اسرائيل •

وكل ما نتمناه أن يلقى نفس المصير الذى لقيه موسى النبى علـى أيدى اليهـود •• فالتـوراة تروى كيف أن الشعب اليهودى قد اتهم موسى بالخيانة • وأنه استحق عقـاب الرب • ولذلك مات موسى دون أن يدخـل أرض الميعاد ـ يراها •• ثم يموت بعيدا عنها !

ولا أسـتطيع أن أنقل ما يقوله اليهود فى صلاتهم وهم يشـتمون ربهم ويقولون انه ظالم وانه قاتل لانه عذب موسى كل هـذا العذاب •• ولابد أن تندهش كيف أنهم آمنوا بموسى •• ثم كفروا به •• ثم استمدوا عليـه ربهم ـ ثم حزنوا عليـه • وكفروا بربهم من أجـله •• ولكنه بعد أربعين عاما من التية فى سيناء،وصل الى الارض الموعودة ومات ولم يدخلها !

وسوف يموت موسى ديان، وكل اسرائيلى جلاد سفاح،

حرب الايام الستة •• تماما كما أن ربهم قد خلق العالم فى ستة أيام ، فهم يخلقون اسرائيل الكبرى فى ستة أيام وفى الايام الاولى لحرب سنة ١٩٧٣ أعلن ديان أيضا أنه بعد ستة أيام سوف يتحطم الجيش المصرى الى الابد •• وهـو يرى مصر ولا يدخلها •• وهـو يرى سـوريا ولا يدخلها •

وسوف يظل موسى ديان ، والعسـكريون اليهود وكل اليهود ، يشـكون من الخوف على أنفسهم والحقد الذى يكنونه لكل العالم ، ومن الكراهية التى يدخرها لهم العرب أيضا •• وسوف يتعذبون مثل هـذه الكائنات الاغريقيـة المشوهة •• المحبوسة فى الحديد المحرومة من نعمة الحياة العادية التى يعيشها كل الناس •• وسوف يتسلطون على أنفسهم كما تقول أسـاطير الاغريق حتى يأكلوا بعضهم البعض !

انهم هم الذين اختاروا الحديد جـدارا ودارا ورداء وطعاما ، واختاروا الكراهية والجشع أسلوبا فى الحياة •• فهم يشربون من ماء مالح دون أن يرتوى لهم فم • وهم يزرعون القمح فى الحديد ، وهم يبنون الظل فى النار •• ما داموا جميعا هذا الموشى ديان أو هذا السيكلوب •

وما داموا يزرعون النار فلن يحصـدوا غـير الرماد ،

وما داموا يزرعون القمح فى الدم ، وينشــدون السـلام بالنار ، فلا أمل فى أمن لهم على هذه الارض •

وسوف تكون حروب أخرى كثيرة ودماء غزيرة •• ولن يستطيع مليونان من المطرودين المشردين أن يقضوا على مائة مليون اتحدوا هذا العام وكل عام •

ان هناك تعبيرا ألمانيا مشهورا يقول :

Man Kannsich totsiesen

أى يستطيع الانسان أن يمشى منتصرا الى قبره •• أى من نصره الى قبره أو نصره هو قبره •• وهذا ما يفعله سفاحوا اسرائيل عاما بعد عام •• ان شاء الله !

نملة قالت لسليمان:

أنا أعظم منك !

يقول اليهود عن أنفسهم : اذا اختلط الرمل بالخبز ، فانه يوجع الاسنان •• وكذلك اذا اختلطنا بالشعوب الاخرى •

ويقولون : اسرائيل مثل اليمامة ، وليست كالطيور الاخرى • فالطيور اذا تعبت استراحت الى شجرة •• أما اليمامة فانها تظل طائرة واذا تعبت طوت جناحا وأكملت رحلتها بالجناح الآخر •

واسرائيل مثل الرمل تدوسه الاحذية •• الاحذية تبلى ولكن الرمل أطول عمرا من الاحذية ومن الاقدام التى ترتديها !

اسرائيل كالرمل يتحرك من مكان الى مكان فى صمت•• وكذلك اليهود يتحركون من دولة الى دولة فى الليل دون أن يدرى بهم أحد !

يقول الرب لبنى اسرائيل : حتى لوعبدتم صـنما فلن أعذبكم ما دمتم تعيشون فى سـلام ــ ولـكن اليهود لا يستطيعون أن يعيشوا فى سلام •

وقال موسى لهارون أخيه : أنت تعرف أولادى •• ان أعناقهم صلبة ورؤوسـهم أشد صلابة ــ وعليك أن تحمل الرسالة من بعدى ، وأن تتوقع منهم مزيدا من الحجارة على رأسك !

ويقول الحاخام اليعازر : ثلاثة لا تلين رؤوسـهم : الكلب بين الحيوانات ، والديك بين الطيور ! واليهود بين البشر !

يقال أن اليهود أحسوا أن الحاخام الاكبر قد تقدمت به السن • ولم يعد قادرا على العمل فذهبوا الى أحـد العرب واشتروا منه حمارا وعندما فتشوا فى بردعة الحمار وجدوا بها لؤلؤة • فراحوا الى الحاخام يقولون : لا عمل لك بعد اليوم •• هذا هو الحمار ووجدنا فيه اللؤلؤة !

فسألهم : وهل صاحب الحمار يعرف ذلك •

ــ لا •• لا يعرف •• اننا وجدناها ولم نسرقها •

ــ اننى أفضل أن تعيدوها اليه •

ــ ولـكن لماذا ؟

ــ لان هذا الكافر سوف يقول :

ان هؤلاء اليهود فى غاية الامانة : لابد أن ربهم أفضل من ربنـا •

ثم سكت الحاخام ليقول : فاذا سرقه يهود آخرون فلن يصدق أنهم لصوص !

وخرافات أخرى يقولها اليهود عن أنفسهم ويصدقونها ويتوارثونها ويتعصبون لها بجنون • وهذا الجنون هو الذى سيبدد « الشعب » اليهودى فى كل مكان مرة أخرى وهذا ما يخشاه الكاتب اليهودى موشى منوحين (أبو العازف المشهور : يهودى منوحين) فى كتابه الذى يجب أن يقرأه كل عربى • الكتاب عنوانه :

« انهيار اليهودية فى عصرنا » •

والمؤلف مولود فى فلسطين • ويوم ولد هذا المؤلف لم يكن فى فلسطين سوى خمسين ألفا من اليهود • كلهم فقراء مرضى صفر الوجوه • قد انكسرت أعناقهم على صدورهم من الفقر والهوان • ولم يكن لليهود معبد واحد • بل انه لم يسمع فى ذلك الوقت أن أحدا ذهب للصلاة فى أى مكان • ويقول ان أكثر هؤلاء اليهود قد دخلوا فلسطين فى زوارق يملكها عرب • بل ان هؤلاء العرب هم الذين حملوا اليهود المهاجرين الى فلسطين فوق الامواج العاتية وبين الصخور • فقد كانت السفن التى تنقلهم تقف بعيدا عن ميناء حيفا •

ويقول المؤلف انه دخل مدرسة هرتسليا — نسبة الى هرتسل الزعيم الصهيونى — وقد بنيت هذه المدرسة فى

نفس السـنة التى مات فيها الزعيم الصهيونى • هـذه المدرسـة كانت بيتا يملكه أحـد العرب • وجاء اليهود واستأجروا هذا البيت • وفى هذا البيت اشتعلت الحرب ضد العرب • يقول المؤلف أنه كان يجلس الى جواره فى هذه المدرسة طفل اسمه موشى شرتوك الذى أصبح رئيسا لوزراء اسرائيل بعد ذلك •

يقول المؤلف اليهودى موشى منوحين : فى ذلك الوقت تعلمنا ثلاث كلمات :

أرضنا ••• شـعبنا ••• وطننا •

وكانت معانى هذه الكلمات فى ذلك الوقت : أرضنا هى فلسطين ولابد أن تستردها بأى ثمن وأى دم •• ووطننا هو أرضنا بما ومن عليها •• وشعبنا هو الذى يسكن هذه الارض •• ويجب أن يكون يهوديا خالصا •

وكان يقال للطلبة : ان التوراة تقول بالحق والصدق كل أرض مشت عليها اسرائيل هى ملك لها •• وكل أرض تراها عين اسرائيل هى ملك لهـا •• هـكذا قـال الرب للشـعب !

وهذا الزعيم الصهيونى هرتسل عندما اجتمع بعدد من كبار اليهود فى أغسطس سنة ١٨٩٧ اتفقوا على سياسة سرية ليحكموا العالم ويسيطروا عليه • هـذه السياسة السرية هى التى عرفت فيما بعد باسـم « بروتوكولات

حكماء صهيون » •• هذه البروتوكولات هى التى يجب أن تلتزمها الحكومة السرية للشعب اليهودى • هذه الحكومة السرية اسمها « القهال » •• هذه الحكومة هى التى يلجأ اليهـا اليهود فى قضـاياهم • وهى التى تفصـل فى كل الخـلافات بينهم • ومن أهم وصـايا أسرة روتشيلد : ألا يبيعوا أرضا أو شيئا لأحد غيرهم • ألا يختلفوا علنا • ألا يدخلوا بينهم أحدا مهما كان هذا الأحد: غنيا أو حاكما •

وعلى اليهود فى العالم كله أن يفعلوا نفس الشىء !

ويسـخر المؤلف من الشـعب اليهودى كله فيقول : لا يوجد دين فى العالم يصلى فيه الناس كل هذه الصلوات اذا أكلوا شكروا الله على انه أعطاهم الماء والخبز • واذا جلسوا صلوا • واذا ناموا صلوا • واذا استيقظوا صلوا ولا يوجد شعب فى العالم كله لا يعنى ما يقول مثل الشعب اليهود •

ويقول المؤلف : شـكرا لله انه طلب الى اليهـود أن يغسلوا أيديهم أحيانا !

ويتساءل ــ وهو يهودى يعرف بنى قومه جيدا ويخاف عليهم أن ينقرضـوا ــ ما هى مشـكلة اليهود بعد أن اغتصبوا وطننا ؟

هذه هى المشكلة•فلانهم بلا وطن يثيرون شفقة العالم• ولكن فى نفس الوقت يندهشون جدا كيف أن العرب الذى

طردوهم يثيرون شفقة العـالم ، بينما لا يحركون فيهم عصبا واحـدا . واليهود يستنكرون ما فعله هتلر بهم ، ولا يستنكرون ما فعلوه هم بالعرب !

وهناك حادثان هامان جـدا فى تاريخ اليهود الحادث الاول هو أنهم ظلوا يقاومون فى قلعة الماسادا سنة ٧٣ ميلادية حتى ماتوا جميعا .

والحادث الثانى هو انتصارهم علىالعرب يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

فاليهود لا يريدون أن ينقرضوا ، ويريدون أن ينتصروا فى ساعات وأيام لا يريدون أن تتكرر الماسادا ، ويريدون أن تكون كل أيامهم نصرا سريعا خاطفا على العرب لتزداد مساحتهم من الارض.وبذلك يقتربون من اليوم الموعود : يوم يكون لهم أرض الميعاد من الدجلة الى الفرات .

ولابد أن يدرس العرب طويلا وعميقا ما حدث قبل وبعد ٥ يونيو سـنة ١٩٦٧ .

أما ما الذى حدث قبل ٥ يونيو فهو شىء هام جدا . فقـد حلت اسرائيل الكثير من مشاكلها فى هذا اليوم .

فى ذلك الوقت كانت الامم المتحـدة ضـعيفة . وكان العرب مختلفين .

وكانت البطالة مخيفة للحـكومة الاسرائيلية فهنـاك ٩٦ ألف شاب بلا عمل .

وكان الذين يهاجرون من اسرائيل حوالى عشرة آلاف شخص كل سنة .

ومعظم الذين تخرجوا فى الجامعات يهربون من اسرائيل بحثا عن عمل الاطباء والمهندسون .

واذا استمر الحال كذلك عشر سنوات أخرى فلن يبقى فى اسرائيل غير اليهود الشرقيين : اليمنيين والعراقيين والهنود والزنوج . وليس من أجل هذه الفئة اليهودية المتخلفة كان كل هذا العناء فى أوروبا ومن ألوف السنين !

وفى مارس ١٩٦٧ هاجم المتظاهرون مجلس الوزراء يضربونه بالطوب والحجارة يطالبون بالعمل .

وفى عام ١٩٦٧ كانت ألمانيا الغربية قد دفعت فى التعويضات .

وفى هذا العام توقف يهود أمريكا وأوروبا عن الاستجابة لما تطلبه اسرائيل من تبرعات .

وكل النداءات التى تطلقها اسرائيل من أجل « العالية » ـ أى العودة الى اسرائيل ـ لم يعد أحد يتحمس لها .

اذن لا مفر من لاحرب . هذه الحرب ضد العرب هى وحدها التى تشعل النار فى قلوب اليهود فى كل مكان . هى التى تستوعب كل الشباب العاطل المتمدد فى شوارع تل أبيب .. الحرب وحدها هى التى تؤكد ليهود العالم وللعالم كله ، أن اسرائيل هى القوة التى يمكن الاعتماد

عليها فى تحقيق المعجزات .. معجزة قهر العرب . ومعجزة تحقيق الارض الموعودة . والانتصار فى هذه الحرب هو الذى يدفع اليهود من جديد الى معونة اسرائيل .. والى الهجرة اليها ، والى السياحة ليرى العالم كله معجزة الصحراء .

ويقول موشى منوخين : وانتصر اليهود فى حرب سنة ٦٧ فما هى المشاكل التى حلها لهم هذا النصر ؟

ويجيب : ان الغرور الاسرائيلى كان على أشده . لان ديان وملايين اليهود قالوا : ان الانسان ليشعر أنه أطول وأعرض مما كان قبل ذلك فى أى وقت .. ان عشرات الاقدام قد أضيفت الى عنقى وصدرى .. أما ذراعى فانها تمتد الى قناة السويس والجولان والضفة الغربية .

فهل استراحت اسرائيل ؟

ويجيب المؤلف أيضا :

ان اليهود لم يستريحوا . بل ان هناك اتجاها غريبا جدا فى أمريكا الى الدعوة الى العزلة من جديد . فقد لاحظ أن فى احدى المدن الامريكية عشرات من الجمعيات اليهودية الدينية .. والمدارس اليهودية .. بل انه وجد أحد الاندية اسمه « نادى اليوجا اليهودية » . فما علاقة اليوجا باليهودية . أن مبادىء اليوجا عند كل الناس واحدة . مثل قواعد كرة القدم أو كرة السلة أو كرة

الطاولة •• ان المبادىء الرياضية والهندسية واحــدة ••
ولا توصف بأنها يهودية أو مسيحية • ولكن ما هو المعنى؟
المعنى هو أن اليهود يخشون من أن يطمئن اليهود فى
العالم الى أن أصبحت لهم دولة وينشغلون عن مطالب هذه
الدولة • فلا يدفعون لها هذه التبرعات • ولا يقفون الى
جوارها فى مشاكلها التى لا تنتهى • وقد لاحظت الهيئات
الدينية أن اليهود فى أمريكا يعيشون فى القصور وقد نسوا
حارات اليهود المظلمة فى أوروبا •• ثم أن اليهود يتزوجون
من المسيحيات أو الديانات الاخرى أنهم لا يترددون على
المعابد • وأكثر من ذلك أنهم يعمــلون يوم الســبت ••
ولذلك يجب التنبيه العنيف الى ضـــرورة الانعزال عن
الشعوب الاخرى •• وضرورة التمسك بالدين •• وتحريم
الدوبان بين الشــعوب والدماء الاخرى •• لمــاذا ؟ لان
اسرائيل لم تقم الا لان اليهود قد تذكروا أرض الميعاد
ومعبد سليمان والخروج من مصر والاختناق فى غــرف
الغاز الالمانيــة ، والغرق فى أنهار أسبانيا والبكاء عنــد
أحجار حائط المبكى فى القدس •• ولابد من اســتدراج
الشبان فى الحياة فى المستعمرات اليهودية ليتم صهرهم
على الحقد والكراهية والموت الدائم والتطلع الى أيدى
الاغنياء اليهود فى أمريكا وأوروبا !

وقد كسبت اسرائيل ألوف الملايين بعد حرب يونيو ١٩٦٧
لانها انتصرت •

ولكن كل شيء قد تغير بعد أن انهزمت سنة ١٩٧٣ وبعد أن خسرت الالوف من جنودها وألوف الملايين من فلوسها، وبعد أن أحس اليهود فى العالم كله ، أن الحياة فى اسرائيل قطعة من الجحيم من جديد • وأن الموت والعزلة وكراهية الشعوب الاخرى لها سوف تتجدد وتزداد • وان اسرائيل ستظل مغامرة غالية الثمن لليهود فى اسرائيل وفى العالم • وانه من الخير لها ولليهود فى كل مكان أن يبحثوا لها عن أسلوب آخر فى الحياة •

واسرائيل لا تستطيع أن تعيش دون دولة كبرى تنفق عليها • وتسندها ماديا وأدبيا • فعند العدوان الثلاثى اعتمدت على فرنسا وبريطانيا • وفى سنة ١٩٦٧ اعتمدت على أمريكا ولا تزال • وفى هذه الحرب الاخيرة حاربت حتى كادت زخيرتها أن تنفد حتى عوضتها أمريكا كل شيء•

وفى « الميادراشة اليهودية » يقال أن الملك سليمان كان يمشى فى أحد الطرق الجبلية عندما سمع ملكة النمل تقول : احترسوا انه سليمان وجنوده •

وضحك سليمان : وقال لملكة النمل : ولكن ما الذى يخيفك من سليمان •

قالت ملكة النمل : لا أريد أن ينظر اليك النمل فينتقل الى النمل غرورك وكبرياؤك •

وقال لها سليمان : أريد أن أسألك عن شيء ؟

وقالت ملكة النمل : احملنى اليك لكى أراك واسمعك !
ومد سليمان يده وأمسكها بين أصــابعه ثم وضعها فى كفه وأدناها من وجهه وقال لها :
ولكن هل رأيت من هو أعظم منى ؟
فقالت ملكة النمل : أنا طبعا .
وسألها سليمان : كيف ؟
قالت : لان الله أرســلك لكي ترفعنى من الارض الى حيث التاج الذى تضعه على رأسك .
ثم لسعته .. فألقى بها على الارض !
وسوف تفعل اسرائيل بأمريكا ذلك .. وسوف تلقى بها أمريكا على الارض .. كما تفعل الدول الاوروبيــة الآن وكما فعلت مئات السنين .. لان الدول الاوربية لا تريد أن تموت شعوبها فى برد الشتاء من أجل جنون اسرائيل !

ثلاثة دائما :
أنا وأنت والحرب !

بعد مناقشـــة طويلة اتجهت بنت الامبراطور الرومانى الى الحاخام يوشع وهى تقول له :

قل لى .. كيف وضع الله حكمته فى هذا الوجه القبيح؟

ورد عليها الحاخام : قولى لى وأين يضع أبوك النبيذ الذى يشربه ؟

فأجابت : فى اناء من الفخار !

وسألها الحاخام : ان رجلا فى مقـــام والدك يجب أن يضع النبيذ فى اناء من ذهب !

وفى اليوم التالى استدعى الامبراطور الحاخام يوشع وسأله : ما الذى جعلك تنصح ابنتى بأن تضع النبيذ فى اناء من ذهب .. ان هذا الاناء قد أفسد النبيذ .

وكان رد الحاخام : هـــذا ما أردته .. فالحـــكمة مثل النبيذ يجب أن توضع فى اناء من الطين المحروق .

وعادت بنت الامبراطور تسأله : ولكن ألا يوجد حكماء لهم وجوه جميلة •

وكان رده : ان الحكماء يبدأون عادة بأن تكون لهم وجوه جميلة ••• ولكن لا يبلغون الحكمة والسداد الا اذا أصبحت وجوهم قبيحة !

واليهود فى اسرائيل يجب أن يكونوا نوعا من الطين المحروق • وفى هذا الطين المحروق يوجد النبيذ والحكمة !

أو بعبارة أخرى : كيف وضع الرب كل حكمته فى هذا الشعب المطرود المنبوذ من كل أرض •

والجواب : ان هذا الطرد وهذا التشريد والتعذيب هو الذى جعل اسرائيل قادرة على أن تنتصر على العرب فى كل حروبها حتى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ •

هذا مايقوله المؤلفان هربرت رسكول ومارجا لييت بيناى فى كتابهما « أول مليون صبرا » والصبر هو المواطن اليهودى الذى ولد فى اسرائيل وسمى صابرا نسبة الى نبات الصبار الذى ينمو فى الصحراء خشن الملمس ولكنه فى أعماقه فى غاية النعومة ــ هكذا يقول اليهود عن أنفسهم • ولكن الحقيقة غير ذلك فهم كالصبار فعلا ولكنه صبار خشن شائك ظاهرا أو باطنا •

وبعد ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ صدرت من اسرائيل ومن عواصم كثيرة مئات الكتب والافلام تدعو يهود العالم الى الهجرة الى أرض الميعاد التى أخرجت مليون صابرا فى

ربع قرن ، استطاعوا أن يحققوا المعجزات فى الرمال الى آخر ما قالوا ويقولون • ولابد أن هـذه اللهجة سـوف تتغير بعد ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ •

والكتاب يغرى يهود العالم كله بالسفر الى اسرائيل للتوجه والاقامة ودعوة غـيره من شـباب العـالم الى المساهمة فى حياة المستعمرات •

ويصف الكتاب الحياة فى اسرائيل فهى خليط هائل من كل لون وكل جنس وكل لغة • ولا يستطيع الانسان اذا سار فى شارع من تل أبيب أن يعرف أى بلد فى الدنيـا هذه ، ففيها الاشقر والاسود والاصفر والاسمر والطويل والقصير ولكن الوجوه عموما حزينة مرهقة ، فاسرائيل كلها معسكر للعمل أو ترسانة للسلاح أو ثكنات عسكرية • لماذا ؟ لان اسرائيل فى حالة خوف دائم من أن ينقض عليها العرب فى أى وقت وفى مستشفيات الامراض العقلية عدد كبـير من المرضى • بل ان الشـعور باقتراب المرض أو الانهيار العصبى هو احساس عام •• يكفى أن يدق انسان على باب أحد بعد الثانية عشرة مساء ، لتجد كل النوافذ قد انفتحت وأطل النـاس وتسـاءلوا : مـاذا جرى ؟ حرب جديدة ؟

وهناك أغنية شعبية اسرائيلية تقول :

أينما سرنا معا فنحن ثلاثة : أنا وأنت والحرب !

وطريقة استدعاء المواطنين معروفة فكل واحد لم اسم أو رمز سرى •• هذا الرمز توجهه الدولة فى الراديو أو فى التليفزيون أو فى التليفون •• وبسرعة يترك الناس أعمالهم وينتظرون الاتوبيس الذى يحملهم الى وحداتهم أحيانا يكون المطلوب هو الاب أو الابن أو الابنة أو الزوجة •• فالانزعاج عام لكل المواطنين • وهذا يؤدى الى تعطيل الحياة العامة تماما •

ورغم أن الخوف يعم الجميع ، فمن الممكن أن تجد بعض الناس ينحنون على الارض ويرمون هذه السيارات بالطوب •• أو يكسرون زجاجها أو يضعون البراميل أو المتاريس فى طريقها حتى لا تتحرك •• لماذا ؟ لان هؤلاء الناس ينتسبون الى أحزاب دينية تحرم القيام بأى عمل يوم السبت حتى ولو كان ذلك العمل دفاعا عن الحياة نفسها !

ولا يجرؤ رجال الأمن على اعتقال الذين يقذفون الجنود بالطوب •• فهؤلاء الناس أعضاء فى أحد الاحزاب الدينية الحاكمة •• واذا توقفت هذه السيارة عند أحد المطاعم انهال الطوب على المطعم أيضا :

أولا ــ لانه يبيع الطعام يوم السبت •

وثانيا ــ لانه لا يبيع الطعام « الكوشير » ــ والكوشير هو طعام خاص يأكله المتدينون •• وطريقة هذا الطعام معقدة ولكنه منصوص عليها فى التوراة والتلمود •

مثلا فى حالة ذبح الحيوانات أو الطيور يجب أن يمر السكين على عنق الحيوان مرة واحدة • ولذلك يجب أن يكون السكين حادا • أما اذا لم يفلح الجزار فى أن يذبح الحيوان فى مرة واحدة ، فان أكل لحم هـذا الحيوان أو الطائر حرام •• ونصف الجيش الآخر يأكل بالطريقة العادية •

على الرغم من هذا التعصب الدينى الشديد ، فهناك انحلال لا حدود له • وهـذا الكتاب يعرض للقارىء أو للسائح الامريكى كيف يستطيع أن يستمتع بالفتيات اليهوديات دون خوف ، بل ان الكتاب يقول للقارىء الامريكى : لا تخف من أى شىء •• مهما وجدت الفتاة اليهودية جافة حادة حزينة • فانها على استعداد لان تمضى وقتا طيبا •• ما دمت قادرا على أن تدفع لها تكاليف الطعام والشراب والنوم •• من النادر أن تجد فتاة عذراء •• واذا حملت فلا خوف عليها أو على طفلها •• واذا كانت زوجة فزوجها يفعل نفس الشىء •• فليس هناك وقت كثير للحزن • فقد حزن اليهود ألوف السنين•• وعندما قرروا أن يعيشوا بلا خوف وجدوا أنفسهم محاطين بالعرب من كل مكان •• ففى وجه الموت •• تحلو الحياة بلا قيود • •ولن يعترض أحد على أى شىء تفعله جهارا نهارا فالناس لهم هموم أخرى •• والفتاة اليهودية

تفضل الاجانب الذين لم ينعكس عليهم جفاف الرمال وقسوة الحياة فى المستعمرات !

مثلا : اذهب لمكتب توثيق الزواج ..فسوف تجد عجبا. ستجد اليهودى اليمنى الذى حتم على خطيبته أن تغطى رأسها ووجهها... فاذا تقدم للحاخام لكى يتزوجها طلب اليها الحاخام أن تكشف وجهها ليراها الزوج لاول مرة .. وسوف تجد الفتاة الحامل التى ذهبت لتتزوج وسوف تجد الرجل الذى يقول لزوجته أنت طالق.. أنت طالق .. أنت طالق ــ ثلاث مرات وبعد ذلك يصبح له الحق فى أن يتزوج غيرها وهى غيره .

وسوف تجد الزواج الدينى والزواج المدنى . وهى مشكلة كان قد صرخ منها بن جوريون فى مذكراته وقال :

الله وحده هو القادر على أن يجعل هؤلاء اليهود يتفقون على شىء واحد .. اننا مختلفون الى نهاية الحياة على الارض !

أما هؤلاء الشبان الذين يروحون ويجيئون فى شوارع حيفا ويافا وتل أبيب وأسدود وعسقلان والقدس .. وكأنهم يمشون فى جنازة . مهم « الصابرا » أبناء الكيبوتس ــ المستعمرة اليهودية . أو القلاع الزراعية الصناعية العسكرية ــ هؤلاء الشبان قد بعث بهم آباؤهم الى المستعمرات وتركوهم لنساء ورجال آخرين يعلمونهم ويدربونهم على الحياة بعيدا عن أحضان الاب والام ،

فليس من الضرورى أن يكون للطفـــل أب أو أم •• بل الأفضل ألا يكون ا ولذلك يكبر وهو يؤمن بأن أمه وأباه اسرائيل •• وأن الموت : هـــو العـــالم كله • فالعالم كله يتربص به لكى ينقض عليه ، ولذلك فكراهية الناس جميعا هى أول هدف من أهداف الحياة ومحاربة العـــالم كله : واجب على كل شـــاب • فالعـــالم كله قد عذب اليهـــود وطردهم وأحرقهم • والعرب يريدون القضاء على اليهود، ولذلك يجب أن يحتاط اليهود لكى ينقضـــوا على العرب جميعا باشاعة الخوف والتفرقة والدمار •

وفى هذا الكتاب نجد هـــذه القصة : اختلف زوجان من أبناء المستعمرات • كلاهما فى العشرين من عمره • جلس الاثنان أمام الطبيب •

سألهما : ألا يحب أحدكما الآخر ؟

فأجاب الاثنان فى نفس واحد :

لا حب •••

ــ اذن كيف تم الزواج ؟

ــ قالوا لنا تزوجا •• فتزوجنا •

ــ لا علاقة جنسية •

ــ لا علاقة •

ــ ولا شوق الى القبلات •

ــ لا قبلات •

ــ اذن لماذا أنتما متزوجان •

ـ لا يوجـد سـبب •

ـ أفضل لكما أن تنفصلا !

ـ نحن منفصلان •

ـ هل تتزوجان من جديد •

ـ لا ضرورة •

ـ وأنت ألا تريدين أن تكونى أما •

ـ اريد ولكن بشرط ألا أتزوج أحدا •

ـ فى استطاعتك أن تفعلى ذلك •

ـ وأنت ألا تريد أن تكون أبا •

ـ لا أريد •

ـ ولكن لماذا •

ـ لاننى لم أكن طفلا سعيدا •

ـ ألا تريد أن تقبل فتاة •• أن تحضنها •• أن ترقص أن تغنى •

ـ أريد •

ـ فما الذى يمنعك •

ـ لا أجدها •

ـ ان أية واحدة تستطيع أن توفر لك ذلك •

ـ ولكنها تريد أن تتزوج أولا وأنا لا أريد •

ـ اذن ؟

ـ ننفصل بالطلاق أولا •• ثم أفكر بعد ذلك •

والدين جمعهم على قاعـدة واحـــدة فى كل مكان ، والسياسة جمعتهم فى أرض واحدة. ولذلك يجب(صهرهم) واذابتهم فى قوالب من حديد ، والمثل يقول : لكى تصنع العجـة لابد أن تكسر البيض ، ولابد من كسر هـــؤلاء الشبان من كل بلاد العالم حتى تكون هناك عجينة جديدة أو تكون هذه العجة ـ والعجة كلمة عبرية !

ويعترف الكاتب بأن الشـــبان لا يطيقون الحياة فى المستعمرات لانها جافة ، ويحسدون اليهود الذين يعيشون فى أوروبا وأمـريكا ، ولذلك يحاول الكثــير من أبنـــاء المستعمرات أن يهربوا من اسرائيل .. أما وسائل الاغراء لهم بالبقاء : فهو أن كل شىء قد اســتقر بعد انتصارهم على العرب يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

وفى اسرائيل نكتة تقول : ان معبــد سليمان عنـدما احترق لاول مرة أمسك اليهود بمفاتيح المعبد وألقوا بها فى الهواء وهم يقولون : يارب احتفظ بالمفاتيح .

واحتفظ بها الرب .. وأعادها اليهم عندما قاموا ببناء المعبد مرة أخرى .. ثم ألقوا اليه بالمفاتيح عندما انهدم المعبد مرة ثانية ثم ألقى بها اليهم عندما قاموا ببنائه .. ولكن فى يونيو سنة ١٩٦٧ عندما دخلت القوات اليهودية القدس واستولت على المدينة وعلى « حائط المبكى » ألقى الرب بالمفاتيح وهـو يقــول : تعبت منهــا .. احتفظوا بها أنتم !

فكل شيء ، بعد ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، قد استقر فى أيديهم ، وليس على يهود العالم الا أن يجيئوا الى اسرائيل ليعيشوا فى أرض « اللبن والعسل » أرض الميعاد

ولكن مشكلة الصابرا هى : اذا كان اليهود شعب الله المختار فلماذا يلقون كل هذا العذاب .. واذا كان لا فرق بين يهودى أبيض ويهودى أسود ، فلماذا يعيش اليهود الملونون فى المستعمرات ، بينما اليهود البيض يعيشون فى المدن أو يعيشون فى أمريكا ؟

والاجابة على هذا التساؤل نجدها فى « كتاب التأملات لأبناء المستعمرات » تقرأ فى هذا الكتاب : يقال أن الحاخام الحكيم ناحوم قد أصيب بالعمى والكساح وامتلأ جسمه بالدمامل .

وسأله الناس : كيف تكون مفضلا عند الرب عادلا وحكيما ومصابا بكل هذه الامراض ؟

ويجيب عن ذلك انه كان يسوق أمامه ثلاثة من الحمير . أحدها قد حمل الماء والثانى حمل القمح والثالث حمل الذهب . واعترضه أحد الشحاذين وسأله :

أعطنى بعض الماء . وتوقف الحاخام وهو يقول له :

انتظر لحظة واحدة حتى أوقف الحمار وآتى لك بكوب . ولكن الشحاذ سقط على الارض ميتا .

فدعا الحاخام على نفسه أن يصيبه الله بالعمى والكساح والتهاب فى جلده .

ويجىء الحاخام فى المستعمرة ويصدق على طلاق هذين الشابين •• وليست هذه الحالة خاصة •• هناك مئات الالوف •

والمستعمرة تحاول أن تشد الاطفال بالحديد • فاذا كبروا أن تشدهم الى القتال ، فاذا تزوجوا أن تغريهم بأن يكون لهم أبناء ، ولا يهم الحب أو الزواج أو أن يكون لهما بيت واحد •• المهم أن يزداد عدد اليهود ليواجهوا النقص الهائل فى عدد اليهود •• والتزايد الهائل فى عدد العرب فى داخل وخارج اسرائيل !

ان اسرائيل لها مشكلة معقدة : وهى أن يهود العالم ليس بينهم شىء واحد متفق عليه الا الدين • ولذلك يرون أن رجال الدين أعظم من كل الناس • بل ان رجال الدين أعظم من الانبياء •

وفى التلمود نجد مثل هذه العبارة :

ان الحاخام لا يخطىء مثل هذه العبارة ة ان الحاخام لا يخطىء أبدا • بل ان كلب الحاخام لا يخطىء • بل ان حمار الحاخام اذا أكل عشبا فى أرض غير أرض صاحبه ، فلا يمكن اتهام هذا الحمار بأنه تناول طعاما حراما •• بل ان الرب نفسه يخطىء •• أما الحاخام فلا يخطىء • وكثيرا ما كان للرب آراء سخيفة ، اذا قورنت بآراء رجال الدين •• فهؤلاء هم الذين أبقوا على اليهود وعلى أبناء صهيون حتى كانت لهم اسرائيل !

وقال تلامذته : ما أتعسنا لاننا نراك ٠
ورد عليهم بقوله : بل ما أتعسنى أنا اذا لم يرنى أحد :
وقال تلامذته : كيف ؟
فأجاب : اننى مثل اسرائيل يبلوها الله بكل شىء لتكون سادة الشعوب وحاكمة مصيرها وقدرها !

ويحزن مؤلفا هـذا الكتاب على ما أصـاب شـباب المستعمرات : انهم فى غاية الكآبة والقلق والرغبة الشديدة فى الهجرة الى خارج اسرائيل !
هذا ما يقوله المؤلفان قبل ٦ أكتوبر ٠٠ ولكن من المؤكد أنهم اليوم أكثر حزنا على ما أصابهم وأشد خوفا وأغزر دموعا على ضحاياهم وعلى كبريائهم ٠
انها من جديد نفس الحكاية الاغريقية القديمة :
يقال أن أحد الملوك قد اختار فتاة ترقص له عارية ٠٠ وقرر أن يغطى جسدها كله بنطبقة من الذهب ٠٠ ورقصت الفتاة وماتت ولم يعرف الملك سبب الوفاة ٠ ولكن الطب الحديث يقول : لاننا سددنا كل مسامها ٠

والذى يصنعه اليهود فى المستعمرات هو أنهم يريدون أن يسدوا كل مسام الجسم اليهودى بالذهب أو بالكذب فلا يتنفس هؤلاء الشبان كبقية مخلوقات الله ٠٠ ولذلك لابد أن يموتوا فى جلدهم لانهم تغطوا بالخوف والكراهية من ولكل الشعوب !

خاف يخاف دائماً :
إنه إسرائيلى !

الشـــعب اليهودى أشـــبه بزوجة لوط • فقد كان لوط يعيش فى مدينة سودوم على البحر الميت • وهى مدينـــة منحلة حتى أصـــغر طفل فيها • وأراد الله أن يحرقهـــا فأرســـل اثنين من الملائكة يدقان باب لوط • وفتح لهما ، وتكاثر الناس على بيت لوط يريدون الاعتداء على هذين الرجلين الجميلين،ولكن العمى أصاب هؤلاء الناس جميعا•

وقـــال الملكان للوط : أهرب أنت وزوجتـــك وبناتك • وتعب لوط فى اقناع زوجته • ولكنها جمعت حليها فى منديل ثم سارت وراءه • وقال أحد الملكين : لا ينظر واحد منكم وراءه !

وفجأة تزلزلت الارض وأبرقت السماء وشبت النيران فى كل مكان • ولم تســـتطع زوجـــة لوط وهى تهرب من البراكين والزلازل الا أن تنظر وراءهـــا وهى تجـــرى •

وفجاة توقفت عن الجرى •• فقد تحولت الى تمثال من الملح !

والشعب اليهودى يهرب من الماضى ويجرى ولكنه لا يرفع عينه عن هذا الماضى الاليم • ولا يريد لاحد أن ينساه ولا أن تجف عين عن الذى أصاب اليهود فى غرف الغاز فى ألمانيا وبولندا •• ولا الذى أصابهم فى أسبانيا ولا فى روسيا •• ولا فى كل التاريخ •

ان الشعب اليهودى يبكى على ماضيه بحرقة لا تنتهى• ولذلك فمن أهم معالم الشخصية اليهودية هذا الحزن العميق • ويكفى أن تنظر الى اسرائيلى شاب الآن •

فما الذى تراه ؟

هذا هو سؤال المؤلف اليهودى غاموس ايلون فى كتابه الممتع المفيد « الاسرائيليون ــ بناة وأبناء » • وأهمية هذا الكتاب ترجع الى أن الكاتب يهودى من مواليد اسرائيل • وهو يعرض على القارىء اليهودى فى العالم كله ما الذى أصاب الشعب اليهودى فى مئات السنين • ولكن أهم فصول الكتاب جميعا هى الفصول الاخيرة التى يتحدث فيها المؤلف عن الجيل الجديد فى اسرائيل ــ عن « الصابرا » أى مواليد اسرائيل الذين يطلقون عليهم اسم نبات الصبار أو أبناء الصبر •

يقول المؤلف عاموس ايلون : أهم معالم الشخصية

اليهودية : الخوف • ففى داخل كل يهودى خوف لا حدود له • خوف لا يعرفه أحــد فى العالم كله • وسبب هــذا الخوف يرجع الى البيئة التى عاش فيها • فالذين ولدوا فى اسرائيل ، ولدوا فى ثكنة عسكرية مهددة بالموت فى أية لحظة • ولم يمض يوم واحد منــذ أكثر من ٢٥ عاما لم يمت فيه يهودى برصاص العرب • ولا يوم واحد •

وقد يتوقف الاجنبى أمام بعض الاعمال العنيفة أو حتى البطولية التى يقوم بها الجنــود اليهود • ولــكن السبب الحقيقى هو الخوف • فخوفه الدائم يدفعه الى الإعتداء• أو الى الجنون فى الاعتداء • أو الى تأكيد الذات • وفى استطاعتك أن تراقب طفلا صغيرا خائفا • انه يجرى بقوة ويصرخ بقــوة ويقفز الحواجز ويدوس النار والزجاج المكسور حافى القدمين • انه ليس شجاعا • ولكنه جنون الخوف !

بل ان النشاط الدائم عنــد اليهود ليس له الا سبب واحد : الخوف • ان الخوف يعزله عن العالم لانه يخاف • ولانه يشعر أنه غريب بينما الناس كلهم فى حالة أمن • هذا الشعور بالغربة والغرابة يضايقه • ولذلك يبحث عن شىء يستغرقه تماما لعله ينسى •

والكتب والروايات والمسرحيات التى تتحدث عن هــذه النزعات الموجعة لليهودى لا حد لها • وكلها تروى هــذا التمزق الفظيع فى تكوينه النفسى •

ففى الوقت الذى تحرص الاجيال الاسبق على أن يتذكر الشبا بدائما ماضيه الاليم ، فان هذا الجيل يريد أن ينسى . والدول الغربية قد زهقت من اللحن الحزين الكريه الذى تعزفه مؤسسات النشر اليهودية ويريدون أن ينسوا ذلك . ولكن دور النشر لا تعطيهم ولن تعطيهم هذه الفرصة .

ومن الغريب أن اليهود الذين نجوا من معسكرات الاعتقال فى ألمانيا وبولندا وروسيا لم ينشروا كتابا واحدا عن ذكرياتهم . ولكن اليهود الذين يقيمون فى اسرائيل قد أصدروا ألوف الكتب عن ذكرياتهم فى السجون وغرف الغاز .

بل أكثر من ذلك اننا نجد فى مدينة تل أبيب متحفا اسمه « ياد فاشيم » . هذا المتحف له مهمة محددة هى أن يعثر على أسماء كل الذين ماتوا فى معسكرات الاعتقال .. وأن يعثر على تاريخهم وآثارهم .. بل ان هذا المتحف نفسه به ممرات مظلمة .. هذه الممرات مكتوب عليها أسماء معسكرات الاعتقال . واذا كانت هناك اضاءة فهى مشاعل خافتة . حتى يتذكر كل من يزوره كيف عاش وتعذب مئات الالوف من اليهود .

وفى اسرائيل مقابر كثيرة وكلها تاريخية . وكلها يجب الوقوف عندها . ولابد من البكاء . وفى أعياد اسرائيل

المقدسة أيام للبكاء • وصلوات على الموتى • بل لا توجد خطبة وطنية أو عسكرية ليست فيها فقرات للرحمة على الذين ماتوا •

وفى مثل هذه الذكريات يذهب طلبة المدارس الى المقابر وقبل أن يذهبوا لابد أن يشرح لهم المدرسون كيف كانت السجون ومعسكرات الاعتقال • وتظل المدارس أسبوعا فى حـالة من الحزن بالاكراه عـلى الذين ماتوا • بل ان المدارس تطلب الى الطلبـة أن يذهبوا لمقابلة المواطنين الذين هربوا من معسكرات الاعتقال وكتابة أبحاث عنهم •
وقد ضـاق بعض الآباء بهذه المآتم الدائمـة والبكاء المستمر والحزن على الذى فات ، ولكن مضت المدارس تطبق البرامج بمنتهى العنف •

ولا تزال الجمـلة الشهيرة التى قالها دزرائيلى رئيس وزراء بريطانيا اليهودى : اننى من شعب لا ينسى الاهانة هذه الجملة صحيحة • ويعيش بها وعليها كل يهودى •
ولكن ما الذى تتركه هذه المآسى فى نفوس الاطفـال والشبان ؟ ما الذى يحسـه الواحد منهم عنـدما يقال له دائما : انهم كانوا يسـحبون اليهـود.كالبهائم ليذبحها الجزار ؟
ويتساءل الاطفال : اليهود فقط •
ويقال لهم : نعم اليهود فقط •

ويتساءل الاطفال : ولكن لماذا لم •
ويكون الرد: فى ذلك الوقت لم تكن لنا دولة ولا جيش•
ومن أجل ذلك أصبح لنا جيش لكى ننتقم من كل الناس !
ويبقى عند الاطفال ، ولا يزال عند الكبار ، هذا الشعور بالخجل • هذا الشعور بالعار • ان الذى حدث لأجدادهم يخجلهم • كيف قتلوهم هكذا • وأحرقوهم • دون مقاومة • ودون أن يتقدم أحد لمساعدتهم •• انهم هم هكذا يستحقون كل ما أصابهم فى السجون والمعسكرات •

هذا الشعور بالخجل من أهم معالم الشخصية اليهودية أيضا • ولذلك يجب أن نفسر كل صور الانحلال الخلقى على أنه نوع من التباهى بأن الواحد يعمل أى شىء دون أن يخجل منه •• انه ينتقم من خجله ومن عاره •

وهناك اتجاه جديد الى التخفيف عن هذه الاجيال الجديدة ـ نصف سكان اسرائيل قد ولدوا فيها ـ فيقال لهم : ان هتلر لم يحرق اليهود فقط بل أحرق غيرهم من خصومه السياسيين • أي أنهم ليسوا وحدهم الذين تعذبوا وأحرقوا • انما غيرهم كثيرون قد لقوا نفس المصير •

هذا الاتجاه الجديد يلقى معارضة عنيفة • لان الاجيال القديمة تخشى أن ينسى الجيل الجديد كيف تحقق له

الوطن وكم دفع أجداده من الدماء من أجله .. ولكن الجيل القديم حريص على أن ينفرد اليهود بالعذاب فى كل التاريخ . أى انهم وحدهم الذين لقوا هذا المصير . ولا أحد يشاركهم فى عذابهم . لانهم شعب فريد . وان الرب قد اختارهم واختار لهم العذاب واختار لهم سيادة العالم بعد ذلك .. فيجب ألا يشاركهم أحد فى ذلك مهما كانت الاسباب التربوية أو النفسية .

وفى سنة ١٩٦٢ قام بعض العلماء بعمل دراسة على طلبة الجامعة العبرية . وكان موضوع الدراسة : ما هو شعورك ازاء محاكمة النازى القديم ايخمان الذى خطفته اسرائيل وحاكمته وأعدمته ؟

وكان ٩٠٪ من اجابة الطلبة أن هذا شىء فظيع . وأن هذا العمل يعمق شعور الكراهية والاحتقار عند العالم كله ضد اليهود . وانهم كانوا يفضلون اطلاق الرصاص عليه ، بدلا من محاكمته .

وبعض الطلبة أجاب : ان الغرض من هذه المحاكمة هو ارهاب العالم كله ، ولكن الحقيقة أن هذه المحاكمة قد أرهبت اليهود أنفسهم . فكل واحد أينما يذهب يشعر أن الناس يشيرون اليه : هذا واحد من الذين حاكموا ايخمان وأعدموه !

ومن بين ملامح الشخصية اليهودية هذا الشعور الدائم

بالموت • وانه قريب • وانه على مدى مسافة قصيرة من أى عربى • ولذلك تضاءلت المسافة بين الموت والحياة • ثم ان الناس يسمعون دائما عن أناس قد ماتوا • لا يمضى يوم دون أن يتوقف واحد فى الطريق ليقول لآخر :

هـل تعرف فلان ابن فلانة التى تنفض سـجادتها فى الصباح الباكر ابن فلان البقال الذى فقد ذراعه فى حرب ١٩٥٦ الذين يسكنون الى جوارنا ـ لقد قتله المصريون أمس •

يقول موسى ديان فى مذكراته عن سنة ١٩٥٦ أنه فوجىء بشىء عجيب • لقد سمع أن عـددا من الضباط يشتغلون بتحضير الارواح فى الجبهة • وأن تحضير الارواح عن طريق السلة • يقول :

ولم أصـدق ما سـمعت • وذهبت لأرى • ولم أصـدق ما رأيت • وسألت هؤلاء الضباط المثقفين الممتازين :

كيف هذا ؟

فقالوا جميعا فى نفس واحد •

لو عشت مثلنا هنـا على خطوط النـار سنوات طويلة ورأيت كيف يختفى أعز أصدقائنا واحـدا بعد واحد •• وتختفى معهم كل المعانى الجميلة فى الحياة لأحسست أن الحياة لا معنى لها الا معهم •• ولذلك فنحن نستحضر

أرواحهم كل ليلة •• لنشعر بشيء من الحياة الاجتماعيـة وسط هذه الرمال الموحشة !

وهنـاك شيء آخر في شـخصية اليهودى المولود فى اسرائيل : شيء من البلادة ، أو الجمود العاطفى •

تقول يائيل ديان بنت موسى ديان فى رواية لها اسمها « طوبى للخائفين » : انه يخاف من خوفه •• انه يخاف أن يخيفه أى شيء • فهو لا يريد أن يخاف •

ويقول العالم اليهودى برونو بتلهايم فى كتابه « أطفال الحلم » وهو دراسة عن الحياة فى المستعمرات اليهودية : انهم يخافون من عواطفهم يخافون أن يحبوا • يخافون أن يفرحوا • ولذلك كان هذا الشعور العجيب بالحياد بين العواطف • أو بهذه البلادة العجيبة كأن شيئا لا يهزهم • أو كأنهم لا يريدون شيئا أن يهزهم •

مثـلا هـذا الحوار بين القائد موردخاى جور وبين الكاتب اليهودى ايلى فيسيل •• يقول هذا الكاتب انه قابل القائد الذى اقتحم القدس سنة ١٩٦٧ • وذهب الى حائط المبكى ذلك الاثر الرائع عند الشعب اليهودى والذى حرم من الاقتراب منه منذ سنة ١٩٤٨ • سأله الكاتب :

كنت أول من ذهب الى حائط المبكى •

ــ نعم •

ــ كيف كان شعورك ؟

ــ ما رأيك أنت ؟

ــ هل بكيت من شدة التأثر ؟

ــ لا •• ولماذا ؟

ــ ولماذا لا تبكى ؟

ــ لا أعرف • ولكنى لا أحب البكاء •

ــ هل شعرت بأى شىء آخر ؟

ــ لم يكن لى أى شعور خاص • انما كنت مثل الآخرين • ولكنى لم أبك •

ــ ولكن ما الذى شعرت به ؟

ــ لا أعرف كيف أصفه • بل لم أفكر فى أن أحدا سوف يسألنى عن ذلك •

ــ حاول •

ــ لا •• لا أظن أنه من الضرورى أن يصف الانسان شعوره • أو يناقشه •

ــ ما الذى يتحدث عنه الناس وما الذى يناقشونه ؟

ــ لا أحد يضطرك الى مناقشة أى شىء • وليس من الضرورى ذلك •

ــ ولكن المناقشة متعة •

ــ هل ترى ذلك ••• الخ •

ويستعرض المؤلف عاموس ايلون بعض التسجيلات الصوتية لأبناء المستعمرات بعد حرب ١٩٦٧ • ويدللبهذه التسجيلات على خيبة الامل التى أصابت الشعباليهودى:

ما الذى أخذوه من النصر ؟

لم يأخذوا سوى المزيد من الهم والغم والحزن والرغبة فى الهجرة من اسرائيل ــ تصور أن هــذا شعورهم بعد الانتصار فى سنة ١٩٦٧ •فكيف هو الآن بعد صدمة ١٩٧٣؟!

بعض التسجيلات تقول : لقد كنا نمشى فى الشــوارع والناس يصفقون لنا • ولكننا كذا أكثر حزنا • ولا نعرف لماذا هؤلاء سعداء •

ويقول تسجيل آخر : أصــبح واضحا عندنا الآن أن الحياة فى المستعمرة ليست الا فترة اعداد لذبائح جديدة • ويقول تسجيل ثالث : أقصر الطريق الى الموت شابا أن تعيش فى احدى المستعمرات !

ويقول تسجيل رابع : قالوا فى سنة ١٩٥٦ أن هـــذه هى آخر حرب ــ وجاءت حرب سنة ١٩٦٧ • هل نمضى العمر كله فى الرمال فقط ونتغذى على الكراهيــة والحقد والبكاء ألا توجد فى الدنيا عواطف أخرى •• ثم لماذا نحن سكان اسرائيل دون بقية يهود العالم ؟!

وشعور آخر عند كل يهودى : انه يريد أن يكون معا ــ أى مع غيره من الناس • لا يكون منبوذا ولا مطرودا • وانما يكون اجتماعيا • فقد عانى اليهود كثيرا من الشعور بالاحتقار والهوان فى حارات اليهود فى أوروبا • ولذلك أنشأ مؤسسو اسرائيل هذه المستعمرات ليعيش النــاس

فيهـا معـا ، دون تمييز أو تفـرقة • ودون طبقـات • فالمسـتعمرات هى فرصـة للتذويب والصب فى قوالب جديدة • والذين لا يعيشون فى المستعمرات أقيمت لهم فى المدن « شكون » ــ أو مساكن متشابهة متجاورة • على أساس من اللغة أو الجنس أو المهنة • وهم جميعا يعرفون بعضهم البعض • ولكن هذه « الشكونات » قد ضايقت الناس • فهى أسوأ من حارات اليهود لانها صغيرة ولانها خانقة للحرية • ولانها لم تحقق الذوبان • وانما هى نوع من الالتصاق باليهود أيضا •

ويتساءل الشـبان : انه لا توجـد دولة فى العالم كل سكانها من دين واحد •• أو كل سكانها مكرهون على هذه الحيـاة معـا •

فالشا باليهودى قد ضاق بحياته وقيود هـذه الحياة ويرى أن اسرائيل تقوم بنبذ اليهود • وتقوم بخلق العداء لليهود فى كل مكان فى العالم •• انها لا تحل قضية وانما هى « تعقد العقد » ــ كما يقول الكاتب فيسيل •

واليهود عندهم جنون الراديو •• أو جنـون « نشرة الاخبار » • فلا يوجد يهودى واحد تفوته نشرة الاخبار • لانه يتوقع أن يقع أى شىء • وفى اسرائيل يذيعون أسماء القتلى فى الراديو وفى التـليفزيون وتنشر الصـحف صورهم • واذا لم تفعل الدولة ذلك اتجه الاب أو الام

الى مكتب رئيسة الوزراء ولعنها وشتمها : اذ كيف تقتلين أولادنا هكذا دون تحية أو دون تعزية ؟ أى حق لك فى أن يموت الشباب وتظلين أنت العجوز على قيد الحياة •

ومن الاحصائيات الغربية أن ٨٠٪ من أفراد الجيش الاسرائيلى عندهم راديوهات صغيرة • وكل الاوتوبيسات بها راديوهات تذيع الاغانى وعنـــدما يجىء موعد نشرة الاخبار يصرخ الركاب نريد نشرة الاخبار •

ومن القضايا التى يثيرها الشباب فى اسرائيل : أن كل حرب مشكلة جديدة • وكراهية جديدة • ورغبة مؤكدة من العرب فى الثأر • والثأر قتلى جدد • وبكاء جديد • ومقابر ودموع • وكل انتصار لاسرائيل جرح فى الكرامة العربية ينزف ولا يجففه الا ثأر الحرب •

وفى اسرائيل مشكلة السياسة والدين • ومشكلة لم تجد لها حلا حتى الآن :

من هـــو اليهودى ؟
ومن هو الصهيونى ؟
ومن هو الاسرائيلى ؟

وهل الدين هو الذى أبقى على الشعب اليهودى ؟
أو هل هى السياسة التى أبقت على الدين ؟ ولن يتفق اليهود على رأى واحد ؟ أو يكون لرأى واحد أية أغلبية • ولذلك فكل حكومات اسرائيل ائتلافية الى نهاية العالم •

ان عبارة قالها الرئيس الامريكى جيفرسون ما تزال منطبقة على اسرائيل •

قال : ان الذى يمسك الشعب الامريكى يمسك ذئبا من أذنيه • فهو غير قادر على أن يظل ممسكا بأذنيه ، وغير قادر على أن يتركه !

والجيل الجديد فى اسرائيل حزين ممزق كافر بهذه الحياة • وكافر بالعسكريين الوحوش الذين يرضعونهم الكراهية والمرارة والعار • وهم تعساء فى حياتهم • ولذلك انتشرت أشكال كثيرة من الانحرافات الاخلاقية وارتفعت نسبة الانتحار والهرب من الجندية • والهجرة الى خارج اسرائيل •

ولا أحد بين الشباب الاسرائيلى يستنكر صاحب المقهى أبى ناثان الذى باع المقهى واشترى به طائرة اسمها « شالوم رقم واحد » ـ أو السلام رقم واحد ، ثم هبط بها فى مصر •ثم ردته مصر أكثر من مرة • ولقد قابلته احدى الفتيات وقبلته لدعوته للسلام • ولكن جولدا مائير هاجمت هذه الفتاة ولعنتها وقالت لها :

ان هذا شاب منحرف • انه لا يعرف كيف يكون السلام مع هؤلاء الناس !

ويقول المؤلف ملتفتا الى اسرائيل كلها :

ان الشعب اليهودى يفعل ما فعلته زوجة لوط • ومصيره أن يتجمد على ماضيه ؟

ليست قلعة..
وانما هى قلب حجر!

الحكيم اليهودى القديم ناثان قالها بصراحة : كل شيء تقع عليه عينك هو « مفعول » أما « الفاعل » فيهودى — أو يجب أن يكون ! • بهذا المعنى تتجه المرشدة السياحية فى اسرائيل وقد تجمع حولها الزوار من كل مكان فى الدنيا لتقول لهم : هنا •• وفى هذا المكان بالذات رقصت سالومى عارية أمام زواج أمها •• وراحت تخلع فساتينها الواحد وراء الآخر •• حتى بقى فستان واحد •

وقال لها زوج أمها : أخلعيه •

قالت : لا •

قالت أمها : أخلعيه !

قالت : اخلعه بشرط •

قال الملك هيرود الثانى زوج أمها : اقبل أى شرط •

فقالت سالومى : أريد رأس يوحنا المعمدان على طبق !

وانزعج الملك • ولكنه تعذب كثيرا من هذا النبى يوحنا « الصارخ فى البرية » • والذى فضحه فى كل مكان لأنه قتل أخاه وتزوج أرملته •• وطار رأس يوحنا المعمدان على طبق واستقر عند قدمى سالومى • وخلعت كل ملابسها • وفرحت الأم بابنتها التى انتقمت لها !

وتقول المرشدة السياحية : وهنا أيضا قصر الملك هيرود الاول •• هذا الملك الذى تزوج عشرا من النساء •• قتل واحدة هى وولديها •• ثم قتل أسرة كاملة •• ولكن هذا الملك هو الذى اعاد بناء معبد سليمان وجعله تحفة راحة للعين ومتعة للنفس •• واستغرق ترميم المعبد ثمانى سنوات •• وهذه هى الحسنة الوحيدة فى حياة هذا الملك الذى حكم ولاية « يهوديا » •

وتعود المرشدة السياحية فتقول : ونحن نحتفل كل عام بعيد وفاته •• فقد جاء موته عيدا عند اليهود فى كل العصور •

أما المهم جدا فى هذه الرحلة ـ هكذا تقول المرشدة السياحية ـ فهذا المكان • نحن الآن فوق صخرة لها فى التاريخ اليهودى اسمى مكان •• هذه الصخرة وهذه القلعة اسمها « ماسادا » • وهذه الكلمة معناها : القلعة أو الصخرة العالية •• فمن هنا يجب أن ينظر كل يهودى الى ماضيه •• وعلى هذه الصخرة يجب أن يبنى مستقبله.

فهنا نهاية الماضى كله ، وبداية المستقبل .. هنا يجب أن نطبق حرفيا ماقاله الحكيم ناثان : ان نعقد زواجا ابديا بين الماضى والحاضر .

ومن هذه الصخرة يبدأ الكاتب الامريكى اليهودى رونالد ساندرز الصفحات الاولى من كتابه : « اسرائيل ـ نظرة من المسادا » .

انها صخرة كبيرة عالية .. أو عالية فجأة .. فهى ترتفع بعصبية وبشكل حاد الى ١٢٠٠ قدم فوق البحر الميت .. وتبعد عنه أربعة كيلو مترات .. والمسافة التى بينها وبين البحر الميت تشبه وجه القمر .. كلها فتحات وبثور وألوانها صفراء فاتحة .. أو صفراء داكنة .

والى الشمال وعلى مدى عشرة كيلو مترات توجد قرية عين جدى . وهذه القرية رأت أناسا من نوع فريد .. انهم جماعة من «الرهبان» قرروا أن يعيشوا حياة من نوع غريب .. يعملون معا يزرعون معا .. ولا أحد يملك شيئا . لا معادن ولا ملابس . وهذه الجماعة اسمها « جماعة الاطهار » . ويقال ان المسيح عليه السلام قد تردد عليهم كثيرا . وهذه الجماعة قد عرفنا تاريخها أثناء الحرب العالمية الثانية . فقد عثر بعض العلماء على « لفائف » مشهورة اسمها : لفائف البحر

يت •• وهذه اللفائف منقوشة على المعدن وعلى الحجر •
عليها كتبوا تاريخهم وفلسفتهم المتصوفه •
ويقول المؤرخ اليهودى الجنرال يوسيفوس ان الحكيم
ثان هو أول من أقام فوق هذه الصخرة • وحاول ان يبنى
تا عاليا بعيدا عن الناس • وكان ذلك فى القرن الثانى قبل
يلاد •

وقد زارها الملك هيرود الاول •• وبنى فـوقها قصرا
خما • وأمر زوجاته العشر ان يقمن معا فى هذا البيت •
كان له أكثر من خمسة عشر ولدا • وكانت له حاشـــية
سم مئات من الخـدم والعبيد •• كلهم أقاموا فى هـذا
قصر • ولم يبق من هذا القصر الآن الا بعض الآنية ••
ند عثر على هذه الآنية •• الجنرال يادين •• ويقال أن
علماء عثروا أيضا على اشكال غريبة من التحف الفنية ••
ضها على شكل اعمدة يونانية وأغمدة رومانية •• وبعض
آنية وكذلك بعض النقوش التى اكلت الشـمس ألوانها
حروفها •

ويقال ان الملك هيرود الاول قـــد ملأ هـــذه المنطقة
ضوضاء والدماء •• فقد كانت البغال تصـــعد وتهبط
محملة بالمياه والطعام • وكانت الصرخات تتعالى وتتجمد
ى هذه الصخور • فقد كان هيرود شديد الخوف • وكان
ره أن يتهامس اثنان فى حضرته أو عـلى مرآى منه ••

وكان يطلب الى كل انسان أن يرفع صوته اذا تكلم أو اذا بكى •• وكان يقول :

يجب أن يكون كل انسان فى حالة فزع ليزداد الآخرون فزعا !

وفى سنة ٦ قبل الميلاد تحولت المسادا الى حامية رومانية وأقام فيها الرومان معسكرات لجنـودهم • وظلت كذلك ستين عاما أخرى •

وفى سنة ٧٠ ميلادية هدم الرومان معبد سـليمان فى فى القدس ــ أى انهدم المعبذ للمرة الثانية • فقـد كانت المرة الاولى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد عندما دخل الملك البابلى يختصر جنوده الى القدس ، وأحرق المعبد واليهود معا •• وبعد احتراق المعبد للمرة الثانية هرب اليهود الى كل مكان فى العالم • واستطاع بضعة ألوف منهم أن يتسللوا الى قلعة الماسادا •• وان يحيطوا بالجنود الرومان • وظـل اليهود يصرخون ويبكون ليلا حتى فزع الجنود الرومان المخمورون • وفى النهار كان اليهود يتوارون فى الظلال وفى الخيام • فاذا جاء الليل ترددت أصواتهم كالذئاب والقطط والافاعى حتى هجر الرومان قلعة الماسادا •• واستولى عليها اليهود الهاربون •• وكان ذلك فى ٦٦ ميلادية •

واطلق الرومان على اليهود الذين تواروا فى هذه القلعة اسم : حملة الخناجر •• وظل اليهود بها حتى أوائل سنة ٧٣ ميلادية •• عنـدما اصـدرت روما أمرا الى قائدها

فلافيوس سيلفا بمحاصرة قلعة ماسادا •• وكان عليه أن يصعد « الطريق الثعبانى » الذى لايزال يحتفظ بهذا الاسم والطريق يحيط بالقلعة من الناحية الشرقية • ووجد الرومان ان الطريق صعب •

وجاء القائد الرومانى وذبح يهوديا والقى به قطعة قطعة أمام مدخل القلعة • كل يوم يفعل ذلك •

واهتدى القائد الرومانى الى طريقة أخرى لمحاصرة القلعة • فأقام ساترا رمليا عاليا وكان الساتر فى الناحية الغربية • وجعل الرمل يرتفع الى ٣٠٠ قدم • حتى أصبح قادرا على أن يرى بوضوح ما يجرى فى داخل القلعة • ثم غطى الساتر بالحجارة •• وفوق الحجارة أقام برجا للمراقبة •• ومن فوق البرج كان يلقى بجثة واحد يهودى ممزقة دامية • ثم كان جنوده يلقون الحجارة على اليهود الذين تحصنوا وراء القلعة •

وفوجىء القائد الرومانى سيلفا بأن اليهود أقاموا فى داخل القلعة ساترا رمليا ـ انها عادة قديمة أن يتواروا خلف شىء من الرمل أو من التراب حتى لا يرى أحد ما يصنعون •• وقد انتقلت هذه العادة الى بيوتهم ومعابدهم والى حارات اليهود فى كل مكان •

ويصف لنا المؤرخ يوسيفوس الذى اختار أن يكون جاسوسا على قومه من اليهود لقاء مبلغ من المال •• ويطيل يوسيفوس الوصف • ويبالغ ويخترع خطبا ادبية زاخرة

بالمعانى على لسان قائد الحامية اليهودى اليعازر بائير ٠ ومن المؤكد أن هذه الخطبة الحماسية جدا كانت من خيال المؤرخ الذى أراد أن يكفر خطيئته خيانته لليهود ٠

يقول يوسيفوس ان الرومان حاصروا القلعة شهورا ٠٠ وكان اليهود كما هى عادتهم ـ قد حموا معهم طعامهم وشرابهم ٠ بل أن النبيذ لم يفسد لان الجو الجاف فى الصحراء يطيل عمر النبيذ ولا تفسد فيه اللحوم ٠٠ وكان الرومان على يقين من أن حصار اليهود لن يطول ٠ وبالفعل أحس الرومان أن اليهود فى داخل القلعة قد اصفرت وجوههم وجحظت عيونهم ٠ وهنا أعلن القائد الرومانى أن ساعة الخلاص من هؤلاء اللصوص الخونة الذين يمتصون دماء الشعب الطيب ويبيعون بعضهم لبعض قد حانت فهيا جميعا لهدم القلعة عليهم ٠ وبدأ الجنود الرومان يدقون الجدار الخارجى ٠٠ ويفتحون به ثغورا ٠٠ وكانت الفتحات تصادف الساتر الرملى الذى أقامه اليهود فى الداخل ٠

وكان لابد أن يلجأ القائد الرومانى الى أسلوب أسرع ٠ فألقى جنوده النيران على القلعة ٠ وامسكت النيران بالاعواد الخشبية ٠ وهبت رياح مواتية الى الداخل ٠٠ وارتفع الدخان وتلوى حبالا على أعناق اليهود المحصورين أما ما الذى حدث فى داخل القلعة ، فقد روته عجوزان وخمسة من الاطفال ٠ يقول المؤرخ يوسيفوس أن القائد

اليهودى اليعازر قد طلب الى رجاله ان يقتلوا زوجاتهم وبناتهم وأطفالهم أولا •• فأقبل الرجال وفعلوا ذلك •• ثم طلب اليهم أن يختاروا عشرة • وتقدم عشرة منهم •• وطلب الى كل واحد من العشرة أن يقتل عشرة آخرين •• وان يختاروا من العشرة واحدا ليقتل التسعة الباقين •• ثم ان يقتل نفسه فى النهاية •• ويقال : ان هذا الرجل قد فعل ذلك •• فلما دخل الرومان القلعة لم يجدوا واحدا الكل مات الا هاتين العجوزتين والاطفال الذين هربوا من احدى الفتحات •• ويقال ان الاطفال الخمسة كانوا ولدا وأربع بنات • تزوج الولد هؤلاء البنات •• وبدأت الحياة جـــديدة •

هذه النهاية لقلعة الماسادا موضـــوع متكرر فى كثير من الروايات والمسرحيات اليهودية الحـــديثة • ان الكاتب اليهودى يوسف عجنون الذى فاز بجائزة نوبل فى الأدب مناصفة مع أدبية يهودية أخرى اسمها نيللى ساكس ، قد جعلها موضوع احدى رواياته الطويلة • ففى رواية « حدث منذ زمن بعيد » نجد ان البطل وزوجته يدوران العالم كله بحثا عن ازواج لبناتهما الخمس •• وأخـيرا تجد البنات الزوج المناســـب • وتنتهى الرواية بأن يقرر الزوجان العودة الى اسرائيل • ففى اسرائيل يقول اجنون : يبنى الانسان اسرائيل ، وتبنيه هى أيضا •

يقول المؤلف الامريكى رونالدساندرز أنه شخصيا اشترك فى الحفر عند منطقة الماسادا • بل أن كل السياح يفعلون ذلك •• والجو يشجع على ان ينحنى الانسان على الارض يبحث عن صخرة أو ظلطة • فاذا عثر على شيء وجد من يقول له ــ صدقا أو كذبا أو خيالا ــ أن هذه الحجرة هى آخر ما تبقى من الفرن الذى كان يطهو عليه اليهود طعامهم أيام كانوا محاصرين حتى الموت سنة ٧٣ ميلادية •

فكل يهودي يحب الآثار ويحب البحث والتنقيب فى الأرض ــ لماذا ؟ لأن مشكلة اليهود فى العالم أنه شعب بلا أرض •• حتى سرقوا الارض من الشعب الفلسطينى فأصبح شعبا بلا أرض •

ولذلك عندما اكتشفت مخطوطات أو لفائف البحر الميت فى كهوف قمران كانت أهم حدث ، وأهم شيء عرضوه فى المعرض الدولى فى بروكسل سنة ١٩٥٧ •• وظهرت ترجمات سريعة لهذه المخطوطات فى عشرات اللغات •• (وقد رأيت أنا هذا المعرض وهذه المخطوطات ودعوت الى ترجمتها بالعربية •• وترجمها أمين المتحف الاردنى بعمان) •

وكان زيارة لقلعة الماسادا تؤكد لهم ضرورة البحث فى الأرض عن شيء •• عن جذور لهم لانهم شعب بلا جذور فى

أى أرض •• فقد اقتلعته الشعوب من كل أرض •• ولذلك لا يتعب من ان يؤكد لنفسه ولغيره ان له جذورا فى هـــذه الارض •

والماسادا هى اعقد عقد اليهود •• فقد حوصروا فيها حتى الموت •• والذين قتلهم الرومان • ولا وجــود لهم الآن •• فهم الايطاليون القدامى •

ومعسكرات الاعتقال النازية قد أحرقتهم •ولذلك بسبب الماسادا وبسبب معســـــكرات الاعتقال فهم يريدون أن يقتلوا وان يحرقوا انتقاما من كل ما حدث لهم •• مع ان الذى حدث لهم لا دخل للعرب فيه •• ولكن هذه الوحشية التى نراها فى معاملة اليهود للعرب ، ليست الا صورة من أعماق كراهيتهم وحقدهم على الشعب الذى سرقوا أرضه وليست الا صورة لحقدهم على كل الشعوب الاخرى •

فاذا كانت الماسادا حصنهم الذى تحول الى قبر لهم جميعا ، فهم يخافون من الحصـــــون ، وهم يريدون أن يضيقوا على كل الشـــــعوب •• ليختنقوا كل النـــاس ، وليعيشوا هم وحدهم فى النهاية •

ان هذه ليست قطعة حجر وانما هى قلب من حجر يدق بالحقد والموت للجميع ولا يهم من أجل هذه الغاية الجنونية أن تحترق الدنيا حولهم • فدينهم يبيح لهم ذلك • لانهم متهوسون بجنون وان تظاهروا بأنهم أقل الناس تمسكا بالدين •

أسطورة تحطمت :

شعب الله المختار

لم يلعن شعب من الشعوب نفسه ، ولم يفضحها ، ولم يطلب من الرب أن يهد حيلهم ويشردهم فى الارض ، كما فعل اليهود بأنفسهم •• فكل كلمة تخطر على بالك فى أية مناسبة كريهة لك ، فقد وردت هذه الكلمة فى التوراة علـــى لسان اليهود ضد اليهود • ولم يجرؤ شعب على ان يشتم ربه ويلعنه ويهينه ويحتقره كما فعل اليهود بربهم •• وفى استطاعتك ان تجد ذلك فى التلمود •

وكل أنبياء اليهود ــ وهم كثيرون جدا ــ وكل حكمائهم قد وجدوا صعوبة فى اقناع اليهود بشىء •• ولذلك لقى الموت كثيرون من الحكماء والقضاة والانبياء •• ولا يوجد كتاب دينى عند اليهود لا يشتمهم ويضرب لهم الامثال على أنهم يستحقون اللعنة والشتات والخـــــراب واحتقار كل الشعوب لهم فى كل مكان •

ففى كتاب الميدراش ذهبت امرأة تسأل واحـــدا من الحكماء تقول له :

فى كم يوم خلق الله العالم ؟ فقال الحكيم : تعلمين أنه فعل ذلك فى ستة أيام • وسألته : وما الذى فعله فى اليوم السابع ؟ قال لها : كان يقوم بتزويج الناس بعضـهم من بعض !

ورددت السيدة : ليس هذا عملا صعبا • أى انســان يستطيع ذلك •

وقال لها الحكيم : حاولى ان استطعت •

وذهبت المرأة واشترت ألفا من العبيد وزوجتهم لألف امرأة • وقبل أن تذهب للقاء الحكيم •• ذهب الرجـــال والنساء كلهم يصرخون من هذا الاكراه فى الزواج • وقد ظهرت على وجوههم علامات الضرب والشجار •• وقالوا جميعا : ان السيدة أرغمتنا على الزواج !

وقال لها الحكيم : من أجل ذلك كان الرب وحده القادر على صناعة الزواج •• لقد خالفت الرب فزوجت العبيـــد من اليهوديات •• واليهود من الوثنيات •• ومن أجل ذلك سوف يتشرد الشعب اليهودى فى كل مكان •

وهو يستحق هذا العذاب !

وفى كتاب الميدراش أيضا أنه كانت للملك سليمان فتاة جميلة • ورأى فى نومه ان الرب يقول له : سوف يتزوج ابنتك أفقر أبناء الشعب اليهودى •

ولكن سليمان استبعد أن يحـدث هذا لابنته الجميلة الغنية •• فأقام لها قصرا عـلى جزيرة • وأحاط القصر بسور منيع • وأقفل الاسوار •• ووضع المفتاح فى جيبه وفى احدى الليالى ضل أحد الفقراء طريقه • وكان الليل باردا • وتوارى فى أحد الاكواخ حيث تكدست العظام من مخلفات الحيوانات •• ونام • وجاء طائر يبحث عن طعام ولم يجد الا هذا الفقير فحمله والقى به فـوق قصر بنت سليمان •• وعندما طلعت الشمس تسلقت ابنة سـليمان القصر ، وعندما أطلت برأسها لترى ما فوق سطح القصر وجدت هذا الفقير •• وأحبته من أول نظرة • وعلم سليمان وقال •

ليس المال هو كل شىء •• ان اليهـود قد أقاموا لهم تماثيل من ذهب وعبدوها دون الله •• وان ظلوا كذلك فلن يرحمهم الله !

وصدقت نبوءة سليمان •

وفى « التلمود » ان سيدة سألت أحد الحكماء : قل لى شيئا ينفعنى أنا وأولادى •

ـــ ليكن عندك حسن ظن بالناس •

ـــ فاذا لم يكن ؟

ـــ لتكن عندك رحمة بالجار !

ـــ فاذا لم استطع ؟

ـــ ليكن عندك رحمة بأولادك !

فاذا لم أستطع ؟

ـــ أرحمى نفسك

فاذا لم استطع ؟

ـــ فلن يرحمك أحد •• لا أنت ولا أولادك ولا قومك الى يوم القيامة •• أنت صورة يكرهها الرب •• أنت يهودية تمــــاما !

وأكثر من ذلك قاله اليهود لانفسهم •• والنتيجة أنهم مكروهون من كل شعب وفى كل أرض وفى كل زمن • وأنهم خراب حيث يقيمون وحيث يخرجون !

ولكن من أين جاءتهم فكرة سيادتهم للشعوب ، وأن الله اختارهم واختار لهم الارض • وأنهم انما ينفذون ارادة الله بالحديد والنار والدمار والدسائس ؟ •

ان احد العلماء الانجليز قد أصدر كتابا منذ شــــهور

بعنوان « الشعب المختار ــ اسطورة تحطمت ــ دراسة للتاريخ اليهودى من النفى حتى تمرد بار كوشـــــيبا » • المؤلف أسمه جون اليجرو • وهو اســــتاذ متخصص فى اللغات الشرقية • وأحـــــد الذين ســـــاهموا فى ترجمة « مخطوطات البحر الميت » •• وهو الذى أصدر كتابا أفزع العالم كله منذ ثلاث سنوات •

وكان عنوان الكتاب « عش الغراب والصليب » •• وفى هذا الكتاب يؤكد أن الديانة اليهودية بصورتها هذه ليست الا نتيجة تعاطى المخدرات النباتية فى وقت من الاوقات • وان الذى جاء بها من قصص ورؤى وخرافات ليست الا هلوسة جماعة من الحشاشين • واستدل عـــلى ذلك بألف دليل لغوى من كل الحضارات القديمة •

وهو فى هذا الكتاب الذى صدر أخيرا يتساءل : من قال انهم شعب ؟ من قال ان الله اختارهم ؟ من قال أنه اختار لهم فلسطين بالذات ؟ ومن قال أنهم سادة كل الشعوب ؟ •

يقول الاستاذ اليجرو أن كل هذه « الخرافات » التى آمن بها اليهود قد ظهرت بين سنتين معروفتين فى تاريخهم : سنة ٥٨٦ قبل الميلاد عندما جاء الملك البابلى بختنصر وهدم أورشليم (القدس) وهدم معبد سليمان وأحرق أخشاب المعبد • وأخذ كل ما فيه من ذهب •• ثم أنه حطم قدس

الاقداس حيث أودع اليهود وصـــايا موسى العشر ٠٠ وبانهدام المعبد يقول اليهود : أصبح الرب مشردا ٠٠ لم يعد له مكان يأوى اليه لا يجد أحدا يتحدث اليه ٠٠ هرب الرب وتبعثرت أغنامه فى كل أرض ٠

والسنة الثانية عندما أنهدم المعبد مرة ثانية ســنة ٧٠ ميلادية ٠٠ عندما تقدم الرومان وهدموا هذا المعبد عليهم وأحرقوه وأحرقوهم ٠٠ ثم حاول بعض اليهود أن يقفوا فى وجه الرومان واعتصموا بقلعة ماسادا حتى هلكوا جميعا وبعد ذلك حاولوا التمرد فى أماكن كثيرة من الشرق الاوسط وفى شمال افريقيا وفى الاســـكندرية ٠ وفشـــلت كل محاولاتهم ٠٠ وتمرد واحد منهم واسمه الامير بار كوشيبا فى أوائل القرن الثانى الميلادى ٠٠ وبار كوشيبا معناها : ابن النجمة ٠٠ وكانوا يسخرون منه وينطقون اسمه بار كذيبة أى ابن الكذبة ٠٠ وكانت ثورته هذه وبالا عليه وعلى اليهود بعد ذلك مئات السنين ٠

بعد هاتين السنتين تفجرت عند اليهود هذه الافكار التى تقوم بتعويض ما فقدوه ٠٠ فهم أناس لا أحـــد يريدهم واخترعوا ان الله أرادهم ٠٠ ولا يريد أحدا سواهم ٠٠ وهم أناس لا أرض لهم ٠ لانهم مطرودون من كل أرض ولذلك اخترعوا لانفسهم أنهم مشردون بلا أرض ٠٠ ولكن الله اختار لهم أرض فلسطين وأنهم المطرودون من كل مكان

لا يحق لهم أن يسكنوا ولا أن يدفنوا موتاهم • ولذلك كان تمسكهم الشديد بضرورة دفن الميت •• والا حرم هـذا الميت من دخول الجنة •• بل أنهم يتصورون أن اليهودى اذا مات ، واذا لم يدفن فى الأرض الموعودة ، فانه يزحف تحت الارض حتى يصل الى فلسطين !

واذا كانت الشعوب كلها لها رب واحد ، فاليهود لهم رب خاص • هذا الرب يلتقى بهم • ويجلس معهم • ويناقشهم ويشرحون له متاعبهم • وكثير لا يعرف ربهم شـيئا عن مشاكلهم فيعلمونه ذلك •• وكثير جدا أن اساء ربهم الفهم والحكم ، فجاء الحاخامات وعلموه أصـول الدين •• والحاخامات أكثر فهما للشعب المختار من الرب نفسه • ولذلك اذا اختلف حاخام والرب ، فالرأى للحاخام !

وهناك عهد بين الشعب اليهودى وبين الرب الخـاص بهم •• أن يعبدوه هو وحده • وان يرعاهم هم وحدهم • وطلب الرب شروطا لتنفيذ هذا العهد طلب منهم أن يمتنعوا عن العمل يوم السبت • وأن يمتنعوا عن زراعة الارض كل سبع سنوات مرة •• فالارض أيضا يجب أن تستريح •• وطلب اليهم أن يتطهر الذكور منهم •• وبذلك عندما ينظر الرب من سماه يوم السبت يجد أن شعبه هو الذى لا يعمل وعندما ينظر الى الرجال وهم عراة فى أحضان زوجاتهم يستطيع أن يعرف شعبه الذى تطهر من أجله •

وظل اليهود مئات السنين يحلمون بأرض الميعاد ، وبناء المعبد من جديد •• وذهب انبياؤهم يبشرونهم باقتراب ذلك الموعد •• ويدخلون القدس ويجدونها خـــرابا •• ولا يجدون معبد سليمان •• وانما يجدون معبـــدا لآلهة الرومان •• ثم يصدر الرومان قرارا بألا يدخل القـــدس يهودي واحد •

وربما كانت أول محاولة جادة للفصل بين اليهود وغيرهم عندما قام أحد أنبيائهم نحميا ، وطلب اقامة حائط يفصل بين اليهود وغيرهم من الشعوب الاخرى •• وأقيم الحائط وكان هذا الحائط هو أول فاصل حجرى ، هو أول حـــارة لليهود •• هو أول تمييز بين اليهود وغيرهم •• وقد أد لهم هذا الحائط أنهم « شيء آخر » أنهم « جنس آخر » •• انهم من « طينة أخرى » •• وان لهم « ربا آخر » •

وبعد انهدام المعبد أول مرة أقام اليهود لانفسهم معبداً آخر •• تمسكوا بتعاليم موسى •• ووصاياه • ولكن هذه الوصايا لم تكن كافية •• ففي الحياة مشاكل كثيرة يجب أن يعرفوا حلا لها •• وهنا قام رجال الدين بوضع القواعد والاصول • وجاءت هذه القواعد والأصول مثل الجدران العالية التى يقفون وراءها ويحتمون بها من العالم كله • وفى نفس الوقت يحلمون بالمعبد والارض والرب •

وكانت الصورة التى يحلمون بها دائما هى ما فعله الملك داود • فداود قد اختار من حوله الحكماء • وراح ينظم الحكمة فى أشعاره المعروفة •• فهم أيضا يحلمون بأن يلتفوا حول الرب لانه اختارهم ، ثم يحكمون العالم كله •

ويرى اليهود أنه كما فعلت حماة الملك هيرود يجب أن يفعل الشعب اليهودى • فحماة الملك هيرود كانت تشكو من الظلم الواقع عليها وتشكو من أنه حبسها هى وابنها بين جدران عالية : لا حرية ولا احترام ولا طعام • ولذلك أرسلت الكسندرا حماة هيرود رسالة شفوية مع أحد المطربين المعروفين فى ذلك الوقت تستنجد بملكة مصر كليوبطرة •• وعدتها كليوبطرة • واتفقت السيدتان على خطة •• وكانت الخطة ان تعد الكسندرا هذه نعشا لها ونعشا لابنها • ويهرب الاثنان فى احدى السفن • وانكشفت الخطة • ولكن هيرود لم يقتلها • وانما اعجبته الحيلة •• ولذلك يجب أن يحتال اليهود وان يلجأوا الى الصديق والى العدو ، من أجل أن يحققوا أهدافهم • فاذا حققوها فلا صديق ولا عدو • وانما كل الشعوب عبيد لهم •

ونعود مع الاستاذ جون اليجرو الى التوراة • يقول اليجرو ان التوراة قد وصفت اليهود وصفا دقيقا صادقا وان كانوا هم ينسون ذلك دائما •

ففى سفر التثنية (الاصحاح ٢٦) نجد هـذا السـفر يصف اليهود •• أو الشعب اليهودى بأنه لقيط •• لايعرف له أبا •• يقول سفر التثنية فى الآية الخامسة وما بعدها : أن أراميـــا تائه •• كان أبى •• وتغرب فى مصر مع نفر قليل •• فصار هناك •• فاساء الينا المصريون •• ولما سمع الرب صراخ اليهود أخرجنا من مصر وأعطانا هذه الارض أرضنا التى تفيض لبنا وعسلا !

أما الذى يقوله النبى حـــزقيال فشىء رهيب •• أنه يصف الشعب اليهودى بأنه مثل الغانية الحقـيرة الداعرة التى تدفع فلوسا لمن يزنى بها •• ففى ســـفر حزقيال (الاصحاح السادس عشر وما بعده) يقول النبى حزقيال : أبوك أمورى وأمك حيثية • أما ميلادك يوم ولدت فلم تقطع سرتك • ولم يغسلك أحد • ولم توضـــعى فى قماط • ولم ترحمك عين • بل ألقيت عـــلى الارض • يــوم ولدت • ورأيتك فى دمك • وقلت لك بدمك تعيشين • وعندما كبرت وبرز نهداك وتعريت ، بسطت ذيلى عليك • وســـترت عورتك • ودخلت معك فى عهد وغسلت عنك دمك • ومسحتك بالزيت وألبستك مطرزا وحليتك بالحلى •

ووضعت اقراطا فى أذنيك • واعتمدت أنت على جمالك وقدمت نفسك لكل عابر سبيل • وزنيت • وظللت محتقرة

الاجر • زوجة فاسقة تنام مع اثنين آخرين غير زوجها • بل انت التى تدفعين الاجر لكل من يزنى بك •• » •

ويهدد حزقيال أو يتنبأ بما سوف يحـــدث لها ويقول لاسرائيل : وأنا جمعت حولك كل الذين زنيت بهم • وكشفت عورتك أمام الجميع •• وكل واحد سوف يأخذ ما اعطاك من هدايا • وبعد ذلك تصبحين عارية تمـاما كما رأيتك • وكما رآك الرب أوّل مرة •

ثم اذا النبى حزقيال يذكر اسرائيل بما أصاب مدن : سودوم وعمورة والسامرة من انحلال • وأن هذا هـــو مصير بنى اسرائيل جميعا •

وهنا نبوءات كثيرة لنبيهم حزقيال ولكن هذه النبوءات تصدمهم • وتوجعهم وتبكيهم • ولذلك يقيمون جســـور الاوهام والاحلام والخرافات حول انفسهم • فى مواجهة الدمار والشتات فى كل أرض •

ويتغنون بأورشليم مع المزمور ١٣٧ من مزامير داود : «على أنهار بابل هناك جلسنا • بكينا عندما تذكرنا صهيون • على الصفصاف علقنا أعوادنا • وقد طلبــوا الينا أن نردد أغنيات الرب •• كيف نغنى للرب فى أرض غـريبة •• أن نسيتك ؟ أورشليم تنس يمينى •• ليتعلق لسانى بفمى أن لم اذكرك • أن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى ••

طوبى لمن يمســــك أطفــــالك يا بنت بابل ويضرب بهم الصخر ! » •

ويقول الاستاذ جون اليجرو : انها خرافات يهودية •• خرافات جياع مشردين منبوذين مكروهين •• لا جـذور لهم •• بلا حوائط •• بلا أرض •• جلسوا فى مهب الرياح الرملية فى الصحراء •• وامتدت ايديهم الى اعشاب مخدرة وراحوا يتخيلون ويصدقون أوهامهم •• ولكنهم حتى لو صدقوها وجنوا بها •• فهى أوهام لم تتنزل من السماء ، وانما نبتت من الارض التى ليست أرضهم !

ولن ينعم اليهـــود بالراحة فى أى عصر مادام الدم والدمار والحقد : أسلوبهم فى الحياة !

عيب الأمريكان :
انهم يهود بعض الوقت

يقول موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودى وطبيب صلاح الدين فى كتابه « دلالة الحائرين » : لو أعلن ألف نبى رأيا وجاء الف حكيم وحكيم وأعلنوا رأيا مخالفا تماما ، لوجب علينا أن نأخذ برأى الحكماء ، لماذا ؟ لأنهم اغلبية ! » .

الا دافيد بن جوريون ، فانه يعطى الحق لأى واحد يهودى أيا كان رأيه هو ، وأيا كان رأى مئات الملايين من الملايين من الناس .. هذا ردده كثيرا بن جوريون فى الكتب الخمسة التى ألفها أو املاها أو اشرف على اعدادها .

ففى كتابه « ذكريات » يتساءل بن جوريون : ما الذى ابقى على الشعب اليهودى حتى الآن ، رغم الطرد

والتشريد والتعذيب والاحتقار والهوان فى كل بلد وفى كل زمن ؟

يجيب بن جوريون : لم يكن اليهود شعبا كبيرا فى أى وقت • ولم يكونوا شـــعبا كبيرا فى أى زمن •• ولكن رغم ما لقوا من عذاب فى كل عصر فقد اســـــتطاعوا البقاء • وسبب هذا البقاء هو تمسكهم بالتوراه • ولولا هــــذا التمسك الشديد بهذا الكتاب ، لجاء اليهود فى هوامش كتب التـــاريخ •

ويقول بن جوريون : ان اليهود أما مثل نجوم السماء ، أو مثل تراب الارض فالممتازون منهم ممتازون جـــدا ، والسيئون فى غاية الســـوء •• ويضرب مثلا لذلك كارل ماركس وفرويد واينشـــتين • ويقول أنه يمكن الاختلاف مع كارل ماركس فى كل آرائه أو أثرها ولكن لا أحد يختلف على أنه غير التاريخ الانسانى •

ويرى بن جوريون ان اليهود فى اسرائيل ليس بينهم أحد على هذه الدرجة من التفوق • ولكن لا يستبعد ان يحدث ذلك يوما ما •• ويقول بن جوريون ان أحد زراع العنب فى فرنسا أكد له أنه يستحيل أن يحصل زراع العنب على عنب ممتاز ونبيذ جيد قبل مرور ألف سنة !

ويتساءل بن جوريون : أن العالم كله يصـــف اليهود بالقسوة والعنف ويندهش جدا بن جوريون لذلك • لأنه

يرى أن اليهود فى غاية الرقة ، وفى غاية الرحمة • وأنهم ضمير العالم كله •

وعندما تلقى بن جوريون خطابا من الجنرال ديجول بعد حرب ٦٧ أصيب بخيبة الأمل والغيظ الشـــديد • فقد قال ديجول : ان الشعب اليهودى شعب عدوانى دموى !

وكان رد بن جوريون : ان الشعوب الأخرى لم تتشرد فى الأرض كما تشرد اليهود • ولذلك فهذه القسوة والمرارة والكراهية من أهم معالم الاخلاقيات اليهودية •

وبن جوريون هـــــذا نذر حياته كلها لاقــــامة الدولة اليهودية • هرب من بولندا ونزل على شاطىء فلسطين • والذى رآه من حال اليهود صدمة • ولكنه طراز عنيد من الناس • فذهب الى احدى المستعمرات اليهودية وقرر ان يعمل فى الارض • أن يزرع وان يحرث وان يهذب نفسه تهذيبا عنيفا • وان يتوطن مع هــذه الأرض الجافة البور الملتهبة •

وقد نصب بن جوريون نفسه نبيا أو صاحب رســالة دينية •• وأنه اقسم ان يقود الشعب اليهودى من كل أرض الى اسرائيل • وان يطلب من اليهود أن يهــربوا من المدن ومن الحارات الى الصحراء •

فهو يقول أنه فى « بير سبع » أو « بير شفيع » ــ كما ينطقها اليهود ــ ومعنـــاها « الآبار السبع » قد عاش

ابراهيم عليه السلام • وزرع شجرة بعـــــد ان عبر نهر الفرات متجها الى فلسطين • وفى هذه المنطقة الصـــحراء عاش موسى أربعين عاما •• وفى هذه المنطقة وجد عروسه التى اسمها « عصفورة » وفى هذه الأماكن الصـــحراوية يجب ان يذهب كل ابناء المدن •• ويجب ان تقام على الرمال الملتهبة كل المستعمرات لصقل الشباب ولا يهم مدى احتمال هؤلاء الشباب • فأي عذاب فى هذه الأرض البور أهون من العذاب فى المدن الكبرى وفى الحارات ثم ان المدن الكبرى هى التى تفسد جوهر الانسان • ففى المدن الكبرى لايدرى الانسان بنفسه أو بغيره • وفى المدن الكبرى يعتمد الانسان على غيره ويخفى خطاياه فى ملابس الآخرين •• ويحكى أنه عنـدما ذهب الى نيويورك يبحث عن صـــــديق له لم يجده •• وظل يبحث عنه أيضا •• وأخيرا وجده على سلم نفس العمارة التى يسكنها • أنه فى نفس البيت •• ولكن أحدهما لا يدرى بذلك •• وكل سكان المدن كذلك • وهـــو ينصح بأن تكون المدن صغيرة • وكلما كانت المدن صغيرة ، كانت العلاقات عائلية ، وكان الانســـان أكثر احســـاسا بنفسه وبغيره •

ولا يتعب بن جوريون من التساؤل : كيف اســـتطاع اليهود ان يظلوا على قيد الحياة حتى الآن ؟

ويجيب لأنهم تمسكوا بالتلمود • فالتلمود وطن ودين • واذا تفرقت بهم الأرض فالتلمود يجمعهم • واذا تفرقت

بهم الألوان واللغات فالصلوات واحــــلام أجدادهم هى المأوى الوحيد لهم •• ولايمكن أن يبقى شــــعب ــ أى شعب ــ اذا لم يكن له دين • واذا لم يكن هذا الدين هــو المخبأ والملجأ فى وجه عواصف الزمن •

وقد نادى بن جوريون بضرورة الهجرة الى اسرائيل • وطلب من كل اليهود فى كل أرض ان يهاجروا الى اسرائيل مهما كانت حياتهم فى البلاد التى يعيشون فيها • وقـــد اعترض عليه الكثيرون أول الأمر • فهناك عـــدد كبير من اليهود فى أمريكا يعيشون حياة راضية • فلماذا يهاجرون ان الهجرة يجب أن تكون هـــدف الفقراء والمشردين أما اغنياء اليهود فعليهم أن يســاعدوهم بالمال كلما احتاجوا اليـــه •

ولكن بن جوريون يرى ان اسرائيل هى جنة اليهود ، مهما كانت الحياة فيها قاسية • فيهود امريكا مثلا ليسوا احسن حالا من يهود اسرائيل • فهم على كل حال اقلية فى المجتمع الامريكى • وعددهم ستة ملايين • نصفهم يعيش فى نيويورك والباقون يعيشون فى ست مدن على الساحل الشرقى وثلاث مدن على الســاحل العربى • وهــؤلاء اليهود الامريكان لا يعيشون حيـــاة يهودية • بل انهم لا يتذكرون انهم يهود الا يوم عيــد الغفران ، أى يوما واحدا من كل سنة وفى هذا اليوم يصلون للرب ويطلبون اليه ان يغفر لهم خطـــاياهم • أما بقية الاعيـــاد فهم

لا يذكرونها • وأكثر من ذلك انهم ينســـون يوم السبت ويضطرون ان تكون اجـازاتهم يوم الأحـــد مثل بقية المسيحين • أى الأغلبيكة الامريكية •

وهذا ســلوك ليس يهــوديا • ومعنى ذلك ان اليهود مضطرون الى حياة غير يهــودية وأكثر من ذلك ان البيت الذى يسكنونه لم يبنه عمال اليهود •• والســيارة التى يركبونها لم يصنعها عمال يهود • ومعنى هـــذا كله ان اليهودى الامريكى يعيش معظمهم الوقت كانسان غـير يهودى • صحيح أن اليهود الامريكان أسخياء • ولكنهم أسخياء لا لأنهم يهود ،ولكن لأنهم أمريكان ا واليهـود خارج أمريكا أمامهم أمران : أما ان يعودوا الى حـارة اليهود ، يقفلون الأبواب والنوافذ فى عزلة تقليدية ، وأما أن يندمجوا فى الاغلبية يتزوجون من غير اليهود أو يغيرون دينهم أو ينسون دينهم تماما • وكل هذا سلوك غيريهودى ولكن اذا هاجروا الى اسرائيل ، لم يعد لديهم هذا الشعور الاقلية • ولا هذا التوتر المستمر بأنهم أجانب أو منبوذون وليسوا مضطرين الى ان يتكلموا لغة ليست لغتهم •• انهم سوف يتكلمون العبرية •

وفى هذا الكتاب يبرر بن جوريون كل أنواع الوحشية والقسوة التى ارتكبها اليهود فى حروب ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ • وحجته فى ذلك ، أن العرب يريدون القضاء على اليهود ••

وهذا أسلوب فى الحياة وفى الدفاع لايمكن أن يقابله اليهود الا بمرارة وقسوة الايام التى فى أوروبا وآسيا ٠

ويكرر بن جوريون كثيرا أن قيام اسرائيل لم يكن يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ وانما كان ذلك يوم الاعلان الرسمى ٠ وانما قامت اسرائيل قبل ذلك فى ١٨٧٠ وما بعدها ٠ عندما ذهب بعض الاوروبيين من روسيا وشرق أوروبا وهاجروا الى أرض فلسطين ٠٠ كلهم كانوا من الاشتراكيين ٠٠ وقد بدأت المستعمرات ببيوت متجاورة ٠٠ وقطع من الارض متناثرة ٠٠ ولم يكن عددهم سوى بضعة آلاف ٠٠ وكان اليهود فى شدة الخوف ٠٠ ولكنهم اتفقوا بوضوح شديد على أنهم لابد أن يستولوا على هذه الارض بأى وبكل ثمن ٠

ولما سئل بن جوريون ان كان يرى الدين وحده كاف لان يقيم شعبا متماسكا ليحقق أحلامه التاريخية ٠٠ كان رده أولا يجب أن يكون هناك ايمان تام ٠٠ وبعد ذلك كل شىء يمكن أن يتحقق ٠٠ وهو لا ينسى أنه ذهب الى أحد المعابد فى نيويورك ووقف الى جواره عدد من اليهود يصلون الفجر ٠٠ ونظر الى وجوههم ٠٠ وجدهم لايعرفون بعضهم البعض ٠٠ ولكن بدأت الصلوات وكل واحد يدعو بلسان ٠٠ وجاءت المزامير ٠٠ وتوالت ٠٠ وراحت تردد ألسنة مختلفة ٠٠ ولكن الدموع جاءت لغة واحدة تربط بين الجميع ٠٠ هنا أدرك بن جوريون ٠٠ أنه لابد من التمسك

بالدين لكى يتحقق كل شىء •• وبعد الدين نجىء الارض التى يعيشون عليها وبعد الارض تجىء اللغة الواحدة •• أما بقية الظروف الاجتماعية والعسكرية والاحساس بالخطر والخوف والموت فهى جميعا قادرة على أن تذيب ما بين الناس •

وبن جوريون من المتطرفين اليهود الذين يرون ضرورة استخدام كل طريقة من أجل طرد العرب من اسرائيل •• لأن همه الوحيد هو أن يحقق نبوءة أشعياء « الاصحاح ٤٣ الآيات الخامسة وما بعدها » : « من الشرق أتى بنسلك ومن الغرب أجمعك •• أقول للشمال اعط وأقول للجنوب لا تمنع •• وآتى ببناتى من بعيد ، وبأبنائى من أقصى الارض » •

وبن جوريون أيضا لا يستطيع الا أن يكذب ، وهذا طبيعى •• ففى كتابه « ذكريات » يخترع قصص العطف على العرب والرحمة بهم •• ومحاولة أن يغمر العرب لعلهم يحبون اليهود أو يتعايشون معهم •• ويروى قصة سمعها من موشى ديان • يقول ديان أن عمدة مدينة نابلس طلب منه تركيب خط تليفونى مباشر •• وكان ديان يعلم أن هذا العمدة لا يحب اليهود •• والعمدة يجاهر بهذا الرأى •• فسأله ديان : كم مرة تصلى فى اليوم ؟ فأجاب : خمس مرات •

وسأله ديان : واذا عرفت أن هذه الصلاة سوف تؤدى الى القضاء على اليهود ، فكم مرة تصلى فى اليوم ؟ فأجاب العمدة : مستعد أن أصلى طول النهار والليل !

ويعلق ديان على ذلك بقوله : تصور أنه من الواجب على أن أركب تليفونا لو أحد يصـــلى ليلا ونهارا لعل الله أن يقضى علينا !

أما بن جوريون فيعلق على ذلك بقوله : وهذا هـــو أسلوبنا مع العرب !

وبن جوريون عاش وهو يعلم أنه مثل موسى عليـــه السلام قد تقدم اليهود الى أرض فلسطين • ولكنه يختلف عن موسى النبى بأنه أقام ثم مات فى أرض الميعاد ••• أما موسى النبى فمات دون أن يدخلها •• رآها من بعيـد ويقول بن جوريون ولكن موسى أعظم أبناء بنى اسرائيل قد ترك لهم وصاياه التى امسكت باليهود فى كل أرض • وقادتهم الى سرقة أرض فلسطين • ومن كل قصص موسى عليه السلام لم يختر بن جوريون غير قصة واحدة يختم بها كتابه ••• ويراها نموذجا لما يجب أن يكون عليه كل يهودى •• فهو يروى أن موسى هو النبى الوحيد الافريقى • فكل الانبياء آسيويون •• وقد حدث أن رأى موسى النبى يهـــوديا وجنديا مصريا يتشاجران فقتل المصرى •• ولا يعـــرف موسى فى ذلك الوقت أنه يهودى •• ولكن دافعا قـــويا

فى داخله هو الذى جعله يقف الى جوار اليهودى •• وبعد ذلك هرب الى سيناء ثم عاد ليقود قومه من مصر •

أما المعنى الذى يراه بن جوريون فهو : أن اليهودى يهودى • وأن موسى لم يذب فى الشعب المصرى وانما بقى كما هو يهوديا •• فعندما دافع عن اليهودى وعندما قتل المصرى وعندما هرب من مصر ليعود اليها زعيما لليهود وعندما ذهب بهم الى سيناء •• وعندما ظل على رأسهم أربعين عاما •• أنه يهودى أصر على أن يكون كذلك ••• وهذا مايطالب به بن جوريون كل يهود العالم • أن يعتزلوا الشعوب •• وأن ينطووا على أنفسهم •• وألا يتزاوجوا منهم •• وأن يتركوا كل البلاد وأن يعودوا الى اسرائيل • رغم كراهية كل الناس !

وشاءت ارادة الله أن يموت بن جوريون على دفعات • فقد أغمى عليه يوم ٦ أكتوبر •• وأصاب نصفه بشلل •• بعد ذلك بستة أيام •• وبعد ستة أيام فقد النطق تماما • وبعد ستة رابعة أصابه الشلل التام •• ومات ولم تشأ حكومة اسرائيل أن تقيم له جنازة ضخمة فخمة حتى لا يتشاءم الناس •• وحتى لا يشعروا بأنه شىء كبير خسروه •• وأنه الرجل الذى كان ينادى باسرائيل الكبرى قد مات عند أول هزيمة لاسرائيل •• وسوف تتلوها هزائم أخرى ، فان الحدود الواسعة التى أرادها بن جوريون لشعبه لن تكون !

٦١٣ نصيحة

لو طبقها واحد يهودى

لتقوم القيامة ؟!

هذا الكتاب يريد أن يقول : أن جميع شعوب العالم قد كرهت اليهود •• واحتقرتهم وأحرقتهم ، وطـــردتهم ، وهدمت معابدهم ، ولذلك فاليهود يستحقون الشفقة ! •

ولكن مؤلف هذا الكتاب لم يتساءل : ولكن لماذا أجمعت كل الشعوب على كراهية اليهود فى كل العصور ؟ •• هل من الممكن أن تكون كل الشعوب على خطأ واليهود وحدهم على صواب ؟ ••

المؤلف من رأيه أن العالم كله غلطان • وأن اليهود على حق • وأهمية كتاب « العداء للسامية وسر اسرائيل » من تأليف لوفسكى أنه سجل تاريخى نادر لكل أعمال التعذيب لليهود فى أوربا وآسيا وافريقيا • من أيام الفراعنة حتى اليمن سنة ١٩٤٨ •

والعداء للسامية معناه ، العداء لابناء سام • وســـام

هو أحد أولاد نوح عليه السلام • وأولاده ثلاثة : سام وحام ويافث • سام هو أبو الآسيويين الصفر • وحام هو أبو السود • ويافث هو أبو الاوربيين البيض • وأوربا تشعر من قديم الزمن بأن اليهود آسيويون • وأنهم أجانب فى أى بلد ينزلون به • وأن هؤلاء الآسيويين منعزلون بتجارتهم وديانتهم • وأنهم لا خلاق لهم •• ولا وطنية عندهم •• ومن مئات السنين أجمعت كل دول العالم على ألا يدخل اليهود جنودا فى أى جيش •• لانه لا ولاء لهم لاى بلد يعيشون فيه •

وفى « دائرة المعارف اليهودية » تقرأ تحتتعبير للسامية أن هذا التعبير قد أطلق علىكراهية اليهود كأبناء دين غريب وأطلق على اليهود كأشخاص وتجار • وأطلق عليهم كجنس من الاجناس • وتقول دائرة المعارف اليهودية : أن كلمة يهودي أصبحت مرادفة لكل الالفاظ النابية فى اللغات الاوربية •• مثل البخيل واللص والسافل والخائن والداعر والجاسوس والهارب منالاعمال الشاقة واستغلال الآخرين وابتزاز الفقراء •

ويقول المفكر الفرنسى ارنست رينان : أن سبب كراهية الشعوب كلها لليهود أن اليهود يقولون أن الشعوب كلها كان لها ماض ، أما الشعب اليهوذى فله مستقبل • أو أن المستقبل كله لليهود •

ويقول رينان أيضا : أن اليهود المعاصرين ليسوا ساميين بل أنهم خليط من كل الشعوب الاوربية • ويمكن أن يقال بمنتهى الدقة : أن اليهود ليسوا شعبا !

ويقول رينان : أن اليهود جبناء • مهاجرون من آسيا • انهم مرض يستشرى بين الناس •• وأنهم استغلاليون حقراء • وانهم لا يضحون بشيء من أجل أحد أو وطن أو مبدأ •

وهذه الدراسات التى كتبها رينان عن اللغات السامية والشعوب السامية قد استخدمت ضد اليهود فى أوربا •• والمؤلف يقول أن أسوأ ما قيل عن اليهود هو الذى جاء ومتفرق بين الشعوب فى كل بلاد مملكتك وسنتهم مغايرة على ألسنتهم فى التوراة وفى التلمود •• ففى سفر استير فى التوراة نجد هذه الآيات : أنه موجود شعب ما مشتت لجميع الشعوب • وهم لا يعلمون سنن الملك ولا يليق بالملك تركهم • » •

ويستعرض المؤلف تاريخ الاضطهاد لليهود فى بلاد الاغريق القديمة وفى ايطاليا أيام الرومان وفى كل الشعوب التى غزتها قوات الاغريق والرومان فى أوربا وآسيا وافريقيا •

ويخرج المؤلف بهذا المعنى : أن اليهود هم تعاسة كل الشعوب التى تسللوا اليها •

ونفس هذا المعنى رفعه الفيلسوف الالمانى تريتشكه بعد ذلك عندما قال : وراء كل حجر ثعبان يهودى •• تحت كل شجرة دودة يهودية •• وراء كل حريق عود كبريت يهودى وراء كل مرض ميكروب يهودى • انهم المرض والدمار لكل البشرية •

بل أنه حدث فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر أن تزعم أحد الادباء واسمه فولفجانج منسل حركة أدبية اسمها « ألمانيا الفتاة » •• ثم عاد فغير هذا الاسم وجعله « فلسطين الفتاة » ليقاوم بها اليهود فى أوربا الوسطى •

وعلى أيام المستشار الالمانى بسمارك فى أواخر القرن التاسع عشر أحرقت المعابد اليهودية •• وطرد اليهود وجردوا من ثرواتهم ومن حقوقهم الوطنية والانسانية • وفى ألمانيا خرج هذا التعبير « العداء للسامية » •

وان كان الفيلسوف الفرنسى فولتير هو الذى سبق كل المفكرين الاوربيين الى تحديد الشخصية اليهودية •• فهو الذى قال : ماهو اليهودى ؟ أو من هو ؟ ــ السؤالان لهما معنى واحد • فاليهودى انسان أو شىء انسانى لعين • ان الشعب اليهودى كله شعب دموى لاشجاعة له ، واليهودى مبتز وليس تاجرا ، قاطع طريق وعاجز عن صيانة رهانته عبد ذليل ولكنه دائم التمرد ، ان اليهود قد باعهم الرومان والاغريق والفراعنة فى سوق العبيد •• ويقول فولتير : لقد

تعبت من كل هـــذه القصص التى تقال عن مزامير داود وأناشيد سليمان • فداود قد أطاح بالرقاب من أجل أن يكون ملكا • وسليمان ذبح أخاه من أجل السلطة •• أن مثل هذا التاريخ اليهودى البشع يجب ألا يدرسه الشباب فى أى مكان على أنه تاريخ مقدس ! »

والعالم كله لاينسى المحاورات التى دارت بين الفيلسوف فولتير وبين الامبراطور الألمانى فريدريش الثانى • هذه المحاورات قد قرأها هتلر وأعجب بها • وكان بعــد ذلك ما عرفه العالم من تعذيب هتلر لليهود • « فهتلر قد أقام لليهود معسكرا للاعتقال فى مدينة داخاو • هذه المدينة كان بها بنك تملكه الكنيسة فخربه اليهود • وطردوا من هــذه المدينة ، وأعادهم هتلر اليها جثثا مقتولين محروقين ! » •

وفى سنة ١٨٨٥ فى ألمانيا ظهر بحث للكاتب المعـــروف أوجست رولنج فى هذا البحث عرض على العالم أن من تعاليم التلمود ضرورة ذبح واحد مسيحى أو من أى دين آخر • وشرب دمه ؛ أو وضع دمه فى دقيق وصنع عجينة العيد • ولذلك سارع اليهود باصـــدار ترجمات جديدة للتلمود تستبعد هذه العبارة •• ولكن النص الاصلى قبل التحريف مايزال موجودا فى المكتبات الكبرى فى أوربا •

وروانج هذا هو أول من تنبه الى أن اليهود لهم حكومة سرية اسمها « القهالة » • وأن هذه الحكومة السرية لهـا

هدف واحد : السيطرة على مقدرات الشعوب •• وبعد ذلك بسنوات « فى ١٨٩٧ » أصدر اليهود فى سويسرا دستورهم السرى المعروف باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » ••• ثم سارعوا بعد ذلك بسنوات بتكذيب هذا الدستور الخفى •

ويحاول المؤلف لوفسكى أن يؤكد بأن الشعوب جميعا قد اشتركت فى تعذيب اليهود •• فالمصريون مثلا معروف ما الذى فعلوه لليهود • ويكفى أن نعود الى قراءة « سفر الخروج » •• والخروج هو الخروج من مصر •• وهذا السفر من أوله لآخره يروى كيف تعذب اليهود فى مصر • وكيف أن موسى قد أوحى اليه أن يخرج بقومه من مصر الى سيناء • ولم يكتف المؤلف بما جاء فى سفر الخروج • بل أنه ذكر أن الفراعنة قد حرضوا الفرس أيام الملك قمبيز على طرد اليهود من مصر • ويقول انه كان فى جزيرة فيلة بأسوان معبد يهودى • وكان من عادة اليهود أن يذبحوا الاغنام • وأرى الفراعنة أن ذبح الاغنام هو ذبح لآلهتهم •• واتفق الفراعنة مع الفرس على طرد اليهود من هذه الجزيرة • وهدموا معبدهم وطردوهم من أسوان ومن كل مصر وكان ذلك قبل الميلاد بخمسة قرون !

ويقول المؤلف أن من بين التهم التى وجهت الى اليهود فى جزيرة فيلة أنهم كانوا يأكلون الفسيخ فى أعياد الربيع !

وكأنما قد عز على المؤلف أن يقال أن المسلمين لم يعذبوا اليهود .. وأن الاسلام دين قائم على التسامح .. وأن فى ايات القرآن الكريم مثل هذه الآية « لكم دينكم ولى دين » وراح المؤلف يحصى حوادث طرد اليهود وتعذيبهم فى كل البلاد العربية .

فيقول مثلا أن المؤرخ اليهودى سلومون بن فارجا قد تحدث عن مذبحة اليهود فى مدينة فاس .. ولكن المؤرخ اليهودى لم يشأ أن يقول كلاما غير دقيق . فقال : وسمعت أن أهل فاس قد أحرقوا اليهود .. ولكن لم يتأكد عندى هذا النبأ !

ويعلق المؤلف على ذلك بقوله : طبعا لم يكن فى استطاعة المؤرخ اليهودى أن يقول الحقيقة أنه كان يخاف على نفسه من المسلمين !

ويعود المؤلف الى القرآن الكريم ويتوقف عند بعض الآيات التى يلعن فيها القرآن هؤلاء اليهود . وينقل بعض هذه الآيات . مثلا : قوله تعالى فى سورة «النساء» : «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . »

وقوله تعالى فى سورة «البقرة» :

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها

لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون » • وقوله تعالى فى سورة « المجادلة » : « استحوذ عليهم الشيطان ••• الا أن حزب الشيطان هم الخاسرون » •

ويريد المؤلف أيضا أن يقول أن القرآن قد دفع المسلمين الى كراهية اليهود •

ويستعرض المؤلف انه فى كل البلاد الاسلامية كان الناس يأمرون اليهود أن يكون لهم شىء يميزهم عن بقية الشعب • لان الناس يجب أن تعرفهم وأن تحترس منهم • وأن تضيق عليهم الخناق حتى لا يهربوا • أو حتى ينكشفوا اذا ارتكبوا جريمة •• ففى بغداد كانوا يطلبون الى المسلمين أن يحلقوا الشعر تحت الانف مباشرة • ليبدو الشارب نصفين تمييزا لهم عن اليهود الذين لا يحلقون الشارب أو اللحية •

وفى أيام هارون الرشيد كان على كل يهودى أن يلف خصره بحزام أصفر ، ومحرم على اليهودى أن يركب الحصان أو يحمل السلاح • ويقول أن هارون الرشيد هو أول مسلم هدم معبدا يهوديا فى التاريخ •

ويقول المؤلف انه قرأ فى كتب الشيعة أن جبريل قد طلب الى الرسول عليه السلام أن يغسل يديه لانه صافح رجلا يهوديا !

ويقول أن الخليفة المتوكل هو أول من طلب من اليهود أن يرسموا قردا أو خنزيرا على بيوتهم • وهـو أول من طلب منهم ألا تعلو بيوتهم بيوت المسلمين •

أما الحاكم بأمر الله فهو أول من طلب من اليهـود أن يضعوا عجلا ذهبيا فى أعناقهم •• وأن يجعلوا ملابسهم واسعة تمييزا لهم عن المسلمين •• ثم انه طـردهم من القاهرة تماما !

ويشير المؤلف لوفسكى الى أن اليهود قد سـاعدوا المسلمين ضد المسيحيين عند فتح الاندلس ، وكان جزاؤهم الطرد من أسبانيا •• ولم يشأ أن يذكر المؤلف من الذى طردهم من أسبانيا أيام محـاكم التفتيش •• ولا من الذى شردهم فى كل أرض • ولكن المهم عنـد المؤلف أن يقول : والعرب المسلمون طردهم رغم كل مسـاعدة ضد المسيحيين !

ومن العجيب جدا أن المؤلف يعتمد على المؤرخ اليهودى يوسيفوس ويذكر فى نفس الوقت أن يوسيفوس هـذا يهودى خائن • وانه باع اليهـود للرومان • وانه لذلك يحاول أن يكفر عن خطيئة الخيانة بأن يسجل أمجـاد اليهود فى فلسطين ويدافع عنهم •

ويعترف المؤلف أن يوسيفرس هذا قد اخترع الكثير من الحوادث والخطب التى يمجد فيها «المقاومة اليهودية»

للرومان • فمثلا كتب المؤرخ أبيون يقول : أن تعـاليم الديانة اليهودية تحتم على اليهود أن يذبحوا واحدا من الديانات الاخرى ويشربوا دمه ويعجنوا به دقيقا فى أحد أعيادهم • وقال أبيون : اننى على يقين من هذه الحادثة• فقد أتى اليهود برجل يونانى • وعزلوه فى أحد البيـوت وربطوه بالحبال وراحوا يطعمونه حتى زاد وزنه وبعـد ذلك ذبحوه !

والمؤرخ يوسيفوس هذا هو أول من قال : ان مدينـة الاسكندرية هى عاصمة العداء لليهود فى كل العالم •

وفى نهاية الكتاب يستريح المؤلف الى أن القرآن والعهد الجديد وحتى التوراه والتلمود كلها قد لعنت اليهـود وشككت فيهم • وبذلك تتفق الارض والسـماء على أن الشعب اليهودى كريه وانهم كما قال القـرآن الكريم «ضربت عليهم الذلة والمسكنة» ••

ولكن ما السبب؟ من السبب؟

ان داود فى مزاميره يقول: تعبت فى تنهدى • أعوم كل ليلة سريرى بدموعى • أذوب فراشى • ساخنة من الغم عينى • شاخت من كل مضايقاتى •• »

والذى نراه اليوم فى العالم كله ماهو : انه العـداء الجديد للسامية •• ولكن الـساميين هنـا اليهود ••

الاوروبيون يخصون اليهود بأنهم ساميون • ويخصونهم أيضا بالكراهية ، ويتهمونهم بالانانية • فهم يريدون خراب العالم كله من أجل مصالحهم • أوروبا كلها اليوم لا ترى أن غرور اسرائيل وغطرستها وعنادها سبب وجيه لان تموت الشعوب الاوروبية كلها من برد الشتاء •

كما أن افريقيا كلها قاطعت اليهود •

و «العداء للسامية» رغم انه يدل على العداء لليهود والعرب ، لاننا جميعا ساميون ، فان المعنى الذى انفرد به هذا التعبير ينطبق على اليهود وحدهم •• بل اننا يمكننا أن نضيف له معنى جديدا وهو أن « العداء للسامية » هو عداء اليهود للعرب • لان العرب ساميون • ولكن ماسبب عداء اليهود للساميين • سببه أن العرب لا يرضون بالظلم • ولا يستسلمون للعدوان الاسرائيلى على أرضهم ، حربا بعد حرب • واليهود يريدون من العالم كله أن يساعدهم على العرب •

أما المؤلف فيقول أن هناك أملا •

وهذا مالا يستطيعه اليهود فالتلمود يقول انه لو استطاع يهودى واحد ، أى يهودى فى أى مكان أن يؤمن بما جاء فى التلمود • وأن يطبق هذه التعاليم التى عددها ٦١٣ حكمة ونصيحة ، فسوف تقوم القيامة • واذا قامت القيامة فمن أجل أن يحكم اليهود العالم كله!

وأولى نصائح التلمود هى : لا تقتل ..

والنصيحة الثانية : لا تكذب !

والثالثة : لا تسرق !

وهذا مالا يستطيعه اليهود اليوم ، ولا استطاعوه فى أى عصر !

حتى لا ينسى اليهود ما حدث قبل هذا !

أخطر الاحداث فى تاريخ اليهود يوم انهدم الهيكل أو المعبد فى القدس ، وتناثرت أحجاره وأحـــرقت أخشابه ونهبت القوات البابلية كل ما فيه من ذهب . بعد هـــذا الحادث تشتت اليهود فى الشرق الاوسط كله .. وأخذت القوات البابلية ألوف اليهود أسرى ورقيقـــــا يباع فى الاسواق .. ثم انهدم المعبد بعد ذلك بخمسة قرون أى ســــنة ٧٠ ميلادية فى عهد الرومان .. ونقلت القوات الرومانية أسرى اليهود الى روما وسحبتهم فى الشوارع وبـــــدلا من التعبير كتبت « التعبور » .. وبدلا من أن أجعل تاريخ الخطاب ٢٠ نوفمبر كتبت ٢٠ أكتوبر ... وحتى عندما ناديته باسمه فى الخطاب وضعت اسما آخر وهى كبرى الخطايا فى أى رسالة شخصية بين صديقين !

وليس من الصعب أن يجد الانسان تفسيرا لهذا كله .

ولكن هل يقبل الصديق أن تغير اسمه •• وان تشتغل عنه الى هذه الدرجة •• وأن تحدثه وأنت عينك وأذنك ولسانك وعقلك فى ناحية أخرى •• أيا كانت هذه الناحية !

وهذا يذكرنى بقصة لاديب ايطاليا البرتو مورافيا اسمها « صاحبة القبقاب » •• وقد ظهرت هذه القصة على الشاشة بطولة صوفيا لورين •• القصة حدثت أيام الحرب العالمية الثانية • ودخول الامريكان الى ايطاليا — فى القصة أن سيدة تموت •• وأن واحدا من أبنائها يطلب من أمه أن تسامحه قبل أن تلقى الله •• وتقول له الام : سامحتك يا كارلو • !

وينهار الابن •• فلم يكن اسمه : كارلو •

وانما كان له اسم آخر •• ولكن لان هذا الابن لايعرف قصة الام التى أحبت رجلا غير أبيه اسمه : كارلو فقد رأى أمه تتجاهله فى آخر لحظة •• وراح يصرخ : كاذبة وتفرق اليهود فى كل أرض •• وسميت كل الدنيا بالنسبة لهم « أرض الشتات » أو « الشتات » •

وهذا هو عنوان الكتاب الذى أصدره فرتر كيلر : « الشتات — تاريخ اليهود بعد التوراة » • والمؤلف يستعرض التاريخ اليهودى ، ويتوقف عند الاحداث التى حولت تيارهم وجمعتهم فى أماكن بعيدة •• وتركتهم عاكفين على قراءة التلمود وعدم الاجتهاد أو التجديد فى تفسيره •• وظل اليهود هكذا أسرى هذا الكتاب الملىء

بالاحقاد على كل الشعوب ، وبكثير من الخرافات أيضا

ويختار المؤلف أحداثا كثيرة ذات دلالات عميقة وبعيدة مثلا ما حدث فى دمشق سنة ١٨٤٠ • حتى ذلك الوقت كانت فى دمشق ٤٠٠ أسرة يهودية وكلهم من اليهود الشرقيين وهم جميعا يعملون فى التجارة وبعض الحرف •• ولا أحد يسمع بهم أو يدرى عنهم شيئا •

وفجأة فى يوم ٦ فبراير سنة ١٨٤٠ اختفى أحد الرهبان الكاثوليك • غاب ولم يعرف عنه أحد شيئا •• واختفى خادمه أيضا • الراهب الايطالى اسمه الأب توما •

وأعلن الرهبان الكاثوليك أن اليهود قد ذبحوا أخاهم الاب توما ، وشربوا دمه •• أو صنعوا من هذا الدم خبزا يأكلونه فى أحد الاعياد كما هى عادتهم •• ولكن لسوء حظ الاب توما وخادمه أن وقع الاختيار عليهما هذه المرة • وقد عثر الرهبان على جثة الاب توما وقد قطعت بطريقة خاصة • وكل شىء يدل فى الجثة على أنها ليست قتلا ، وانما هى محاولة غريبة غير مفهومة لاخراج الدم من جسمه بطريقة غير مألوفة •

وكان شريف باشا حاكما على دمشق فقام بتفتيش حارات اليهود • وألقى القبض على سبعة منهم : داود هرارى وموسى أبو لافيه وموسى سالونيكى ويوسف لانيادو وابن داود هرارى واثنان آخران من اليهود الذين

جاءوا الى دمشق أخيرا •• واعترف حلاق حارة اليهود بما حدث • وأقر بأن كل الذى جرى انما هو يتمشى مع ما جاء فى التلمود بضرورة أن تكون فطيرة أحد الاعياد قد عجنت بدم واحد مسيحى أو مسلم •• واعترف الحلاق بأنه هو الذى ذبح الراهب •• واعترف واحد آخر بأنه هو الذى ذبح الخادم • وطلب اليه شريف باشا أن يشرح للمسلمين والمسيحيين فى دمشق كيف تمت عملية استخلاص الدم من جسد الراهب وخادمه • وقام الحلاق اليهودى وشرح لهم ذلك •

وبعدها بيوم عثر اليونانيون فى جزيرة رودس على واحد منهم مشنوقا ويظهر أن الوقت كان فى غير صالح اليهود • فقد كان من المفروض أن يكتفوا بما حدث فى دمشق • ولكن لم يبلغ يهود رودس أن واحدا قد أغتيل فى دمشق •• ولو عرفوا لاكتفوا بهذه الكمية الكبيرة من الدم •

وكان ذلك سببا معقولا لان يهاجم الناس اليهود فى حاراتهم وفى معابدهم وأن يحرقوا البيت وأن يهدموا المعابد فى دمشق وبيروت وفى أزمير بتركيا •

أما فى روما فقد أقيمت الصلوات على روح الاخ توما واحتج اليهود فى بلاد أوربية كثيرة على ما أصاب شعبهم فاتصل المحامى اليهودى ادولف كريمييه « اسمه السابق أسحق موسى » برئيس الوزارة الفرنسية فى ذلك الوقت

وطلب اليه أن يحتج لدى السلطات العثمانية . وثار اليهود فى لندن . واحتج وزير خارجية النمسا مترنيخ . وكذلك تظاهر اليهود فى أمريكا .

وتزعم اليهودى الانجليزى المشهور موسى مونتفيورى وفدا من اليهود الفرنسيين والانجليز وسافروا جميعا الى القاهرة . وفى القاهرة قال قابل مونتفيورى محمد على باشا والى مصر وسوريا يوم ٤ أغسطس سنة ١٨٤٠ ولحق به المحامى الفرنسى كريمييه والمستشرق المعروف سلومون مونك . وأصدر محمد على قرارا باطلاق سراح اليهود المعتقلين فى دمشق .. وفى يوم ٦ ديسمبر أفرج عنهم شريف باشا .

واحتج اليهود على اعتقال عدد آخر فى تركيا ، وقابل اليهود السلطان عبد الحميد الاول . فأفرج السلطان عن اليهود المعتقلين فى جزيرة رودس .. وأصدر السلطان عفوا عن يهود دمشق وحاول اليهود أن يجعلوا قرار العفو قرارا بالبراءة ، ولكن السلطان لم يفعل ذلك .. ثم صدر بعد ذلك قرار ببراءتهم يوم ٦ نوفمبر سنة ١٨٤٠ . وأصدر السلطان فرمانا بحرية اليهود فى العبادة .

وعاد الوفد اليهودى من الشرق لتحتفى به كل الهيئات الدينية فى أوربا وكان هذا الحادث بداية تماسك أوربى يهودى . وبدأ اليهود الاوربيون يتجهون الى اليهود الشرقيين ويحرصون على حياتهم وعلى مستقبلهم . وعلى

الرغم من أن حادثة شرب دم المسيحيين أو المسلمين هذه لم تختف من ذاكرة الاديان الاخرى ، وعلى الرغم من أن اليهود يحاولون التنصل منها بحذفها من كتبهم ، فان هذا الحادث كان له أثره الاكبر فى التقارب بين اليهود وكراهية المسيحيين والمسلمين للوحشية اليهودية •

حادث آخر : تطوعت فتاة كاثولكية بالحضـانة لطفل يهودى • الطفل اسمه ادجار مورتارا •

وفى يونيو ١٨٥٨ أخذت الطفل وعمدته ليكون مسيحيا وكان الطفل فى السادسة من عمره • وأخفت الطفل لانها أرادت أن تجعله مسيحيا •• وعلم أبواه ، ولـم يفـلح الاثنان فى استرداد الطفل •

وثارت الصحف الاوربية بتحريض من اليهود على هذا الذى حدث • وتقدم حاخامات اليهود للبابا بيو التاسع وقامت مظاهرات فى لندن • وحاول نابليون الثالث وكذلك الامبراطور فرنتس يوسف أن يتوسطا عند البابا ولـكن هذه الوساطة والاحتجاجات وثورة الصحف لم تثن البابا عن موقفه وفى فبراير سنة ١٨٥٩ ذهب وفد يهودى على أعلى المستويات لمقابلة البابا • استمع اليهم طويلا ثـم قال لهم أنتم الذين أثرتم الدنيا ضد الفاتيكان على هذه الحادثة •• استمروا •• وافعلوا ماشئتم •

ثم استدار وتركهم •• وذهب للقـائه السير موسى مونتفيورى •• وأطال البابا الاستماع اليه ورد عليـه

باللاتينية قائلا : نون برسوم ــ أى لا أستطيع !

وبعد ذلك أصبح ادجار هذا قسيسا وأصبح من كبار المبشرين بالمسيحية !

وعلى أثر هذا كله تألف «الاتحاد الاسرائيلى العالمى» فى باريس فى سنة ١٨٦٠ ، وأصبح المحامى كريميه رئيسا لوزراء فرنسا مرتين ، ورئيسا لهذا الاتحاد أيضا فى سنة ١٨٧٠ ، وكان هدف الاتحاد انقاذ اليهود من البلاد التى يعانون فيها الهوان والاحتقار ، كما أن الاتحاد هذا قد أنشأ المدارس فى أوربا ، وأنشىء « الاتحــاد الانجليزى اليهودى » ســـنة ١٨٧١ « والتحالف الاسرائيلى » فى النمسا نسنة ١٨٧٣ و « العون اليهودى الالمانى » ســنة ١٩٠١ ،

وبدأت هذه الاتحادات تنشىء المدارس للبنين والبنات والمدارس الداخلية والورش ، وكان الحاخامات يعترضون على هذا التجديد الذى لم يرد عنه نص فى التـــوراة أو التلمود ،

وبدأت الدعاية الشاملة من يهود الغرب ليهود الشرق ،

ومن الحوادث الهامة أيضا أنه فى سبتمبر سنة ١٦٥٤ حملت سفينة هولندية عددا من اليهـــود المهاجرين من البرازيل الى أمريكا ،، الى مينــاء أمستردام الجديد ، الذى أسماه الانجليز يورك الجديدة أو نيويورك ، وكان هؤلاء اليهود قد قرروا الحياة فى الدنيا الجديدة ، ووقفت

هذه السفينة خارج الميناء ، وكان المحيط هائجا • وبدأ اليهود ينزلون فى قوارب صغيرة • وقد حملوا معهم كل ثرواتهم فى أشكال غريبة • وكانت التعاسة علىوجوههم •

وعندما سيطر الانجليز علىهذه الارض الجديدة عاملوا اليهود معاملة طيبة • ورأوا أن أمريكا هى أيضا فكل سكانها من المهاجرين •• وأنهم أرض الشتات •• أو المنفى العالمى •• فاليهود قد طردوا من مصر •• ورأى الانجليز أن بنى اسرائيل لهم حق الحياة كغيرهم من الشعوب الأخرى • وعندما أنشئت جامعة هارفارد سنة ١٩٣٦ كانت اللغة العبرية لغة أساسية مثل اللاتينية واليونانية • بل أن بعض اليهود تقدم بمشروع أن تكون اللغة العبرية هى لغة الولاية التى تجمع فيها اليهود •• وبعض اليهود طالب بضرورة تطبيق قانون موسى على اليهود وغيرهم تصور أن هؤلاء المهاجرين اليهود لم يمض عليهم سوى سنوات قليلة !

وكانت أول مستعمرة يهودية قد أنشئت سنة ١٦٢١ • وبدأ اليهود يتسللون الى الولايات الاخرى •• حتى كانوا يسيطرون على القارة فى أكثر من ١٣ ولاية أمريكية •

أما تجارة اليهود فىذلك الوقت فهى : الدخان والسجائر والغلال •• وأهم من ذلك كانوا يعملون فى تجارة الرقيق من أفريقيا الى أمريكا •• فقد كانت حاجة أمريكا الى الايدى العاملة الملحة فالارض واسعة والناس قليلون

واليهود لا يعملون فى الارض أو فى الزراعة • واليهود أدخلوا صناعةالشموع وصناعة الشمعموما الى أمريكا •

ولما اشتعلت حرب التحرير وقف اليهود على جانبى القتال •• مع هذا الفريق ومع الفريق الآخر ، يبيعون هنا وهناك ويكسبون فى الحالتين •• وكان من المناظر المألوفة أن تجد اليهودى راكبا حصانه يبيع السجائر والشاى والسكر بين القوات المتحاربة فاذا أمسكه أحد الفريقين قال : أنا يهودى غلبان أبيع لمن يشترى !

وكان أغلبية اليهود فى أمريكا فى القرن السابع عشر من أسبانيا والبرتغال ولكن بعد سنة ١٧٠٠ أخذ اليهود الغربيون يتكاثرون على أمريكا ، كلهم من ألمانيا ووسط أوروبا • وفى سنة ١٨٢٠ كان فى أمريكا كلها عشرة آلاف يهودى • وفى سنة ١٨٨٠ كان عدد اليهود فى أمريكا ربع مليون • الآن فى أمريكا وحدها ستة ملايين نصفهم فى نيويورك وحدها •

ولم يتوقف اليهود عن محاولة شراء أرض لتكون دولة أو ولاية مستقلة تماما عن كل الولايات •• لا يسكنها الا اليهود ولا يصلى بها الا اليهود • وفى سنة ١٨٢٥ جاء صحفى يهودى اسمه موردخاى نوح واشترى جزيرة فى نهر نياجرا • وأطلق على هذه الجزيرة اسم ارارات لتكون مستعمرة يهودية مائة فى المائة • وارارات هو اسم انجيل الذى يقال أن سفينة نوح قد رست عليه عندما انحسر

الطوفان • وهذا الجبل يقع الآن على حدود أرمينيا وتركيا ولكن هذا المشروع لم ينجح • فقد خاف اليهود أن يعيشوا وحدهم وأدركوا أن الحياة وحدهم لاتعود عليهم بالمكسب أو الانتشار لانه لابد من الاغلبية التى تشترى منهم أو التى تقترض منهم •

واتجه اليهود بعد ذلك الى جزيرة مانهاتن التى تقام عليها نيويورك •• وبعد ذلك اتجهوا الى غرب أمريكاجريا وراء مناجم الذهب فى كاليفورنيا •

وفى سنة ١٨٧١ توقفت الهجرة من ألمانيا الى أمريكا ، فقد صدرت هناك قوانين تساوى بين اليهود وغيرهم • وبعد ذلك فى سنة ١٨٨١ جاءت السفن تحمل اليهود من روسيا وبولندا ، هربا من التعذيب والاعدام لهم فى كل مكان •

ومن الغريب أن هؤلاء اليهود الذين هاجروا الى أمريكا ذات الثراء الهائل وحيث ينعمون بالمساواة والحرية المطلقة فى البيع والشراء ، فان بعض اليهود لا يطيق أن ينتشر بين الناس وانما يريد أن يكون فى مجتمع يهودى خالص وأن تكون له دولة فى داخل هذه البلاد •• ولم يكن اليهود فى حاجة الى حماية من أحد • فلا خوف عليهم من أمريكا ولكنهم لا يطيقون الديانات الاخرى ، والشعوب الاخرى مهما كسبوا من هذه الشعوب •• فهم يؤمنون بأنهم أفضل ـ ولا يزال هذا رأى الكثيرين من اليهود حتى بعد

أن كانت لهم اسرائيل ، فهم يريدونهـــا يهودية مائة فى المائة !

ونيويورك هى المدينة التى يسيطر عليها اليهود .. وفى نيويورك صحف عبرية ومجلات بلغة اليديش ــ أى اللغة الخليط من العبرية والآرامية والألمانيــة ــ تــلى مدينة نيويورك مدينةشيكاغو ففيها أكبر تجمع يهودى فىالعالم .

وعندما طرد اليهود من أسبانيا سنة ١٤٩٢ ــ السنة التى أكتشف فيها كولمبس أمريكا ــ هــــاجر اليهود الى أمريكا وظلــوا وراء القوة التى طردت الاســـبان الى أمريكا !

وفى ٣١ يناير سنة ١٩٣٣ أصبح هتلر مستشارا لالمانيا واتجه الى الشباب يشعل فيه نار العداء لــكل من ليس جرمانيا آريا . اليهود ليسوا آريين .. فأصدر هتلــر قرارا بمقاطعة اليهود فى أول أبريل سنة ١٩٣٣ باعتبارهم لصوصا وجواسيس على ألمانيا . وأحط درجة من الجنس الجرملى . ويوم ٧ أبريل صدر قرار القانون الذى يقضى بضرورة الاحتفاظ ببقاء الـــدم الآرى .. وكانت هذه القرارات قد صدرت فى مدينة نورمبرج التى اشـــتهرته بعدائها لليهود . ولذلك عندما انهزمت ألمانيا أقيمت محاكم النازيين فى نفس المدينة !

وأصبح اليهود مواطنين من الدرجة الثانية . أو ليس من المرغوب أن يكونوا مواطنين فهاجروا من ألمانيــا الى

أمريكا وحوالى خمسين ألفا ذهبوا الى فلسطين سنة ١٩٣٧ •
وفى ايطاليا صدرت قرارات تؤيد هتلر • وخرج اليهود من ايطاليـــا أيضـــــا •

وتحمس طفل يهودى وثار على هذا الارهاب والتعذيب فأطلق الرصاص على السفير الالمانى فى فرنسا فأصابه • واشتدت الحملات الالمانية على اليهود •• وكان على كل يهودى أن يضع علامة صفراء فى ملابسه وان يضع نجمة داود • وكان من المناظر الواضحة فى ألمانيا سنة ١٩٤١ أن تجد أناسا قد أحنوا رءوسهم ويمشون الى جوار الحائط انهم اليهود الالمان •

وفى مارس ١٩٤١ صدر قرار بالقضاء البيولوجى على اليهود • وكان هذا القرار له اسم آخر هو «الحل الاخير» وانتقل اليهود الى غرف الغـــاز بمئات الالوف ــ ولكنهم يقولون بالملايين •

وتوالت الاحداث الحاسمة فى التاريخ اليهودى : قامت دولة اسرائيل وانهزم العرب سنة ١٩٦٧ ــ وظهرت ألوف الكتب تتحدث عن مجد اسرائيل وعبقرية كل من يمسك حجرا فى الارض المقدسة ويلقى به عربيا مسلحا أو غــير مسلح •

ثم كان يوم ٦ أكتوبر •• ولم تجف دموع اليهود بسبب هذا اليوم •• ولن تجف دموعهم لكى تسيل دماؤهم من جديد ــ آمين !

یومیات ۔ اکتوبر ۱۹۷۳
ذکریات ۔ رمضان ۱۳۹۳

من ينصر الله ينصره ...

اللهم ساعدنا على عدوك وعدونا وعدو الانسانية كلها، اللهم ساعدنا على مصاصى دماء البشر .

اللهم ساعدنا فى هذا اليوم الذى انتظـرناه طويلا : ست سنوات .. ألوف الايام .. مـلايين الدقائق وعدد رمال سيناء وقطرات قناة السويس .. ودقات القـلوب التى تتضرع الى الله أن ينصر عباده المؤمنين به ، وعدد رموش العيون الساهرة على حدودنا ليلا ونهارا ، صيفا وشتاء .

اننى لا أعرف كيف كان شعور رجالنـا الشـجعان وهم يضعون أقدامهم على أرضنا السليبة .. ولا كيف كانت صرخاتهم الباسلة وهم يثيرون التراب الطاهر من أرض مصر .

وليس أمامنا غير السلاح ــ قالهـا أنور السـادات

عشرات المرات وهو يواجه أبناء مصر . لقــد تعب من الكلام ومن وعودهم الكاذبة ، ومن السراديب الدبلوماسية ومن الالغاز الرسمية .. ليس هناك غير السلاح . فكمــا انهم نهبوا أرضنا وداسوا مقدساتنا بالحديد والنــار . فليس أمامنا الا الحديد والنار ، والحق معنـــا . والحق لا يموت مادام السلاح يحميه والايمان يصونه والامل يحدوه .

لقد كنت من السعداء الذين رأوا قواتنا على الجبهة . وجلست وأطلت ورأيت وسمعت . لم أجد الا مئـــات الالوف من الابطال : أيديهم على السلاح وعيونهم وقلوبهم على الضفة الشرقية من أرض مصر .. انهم قد أعــدوا أنفسهم لهذا اليوم .. لهــذه الايام .. أن يضـــعوا أقدامهم ، وأن ترتفع أيديهم فوق رؤوسهم بأعــلام مصر على أرض مصر .

أما هذا اليوم فقد عملنا له ..

والله يقول : اعملوا فسيرى الله عملكم .. ومن ينصر الله ينصره والنصر قريب والفتح مبين ان شاء الله .

عيدهم الكبير ..
شؤمهم الأكبر !

كان يوم السبت ٦ أكتوبر هو «اليوم الكبور» أو عيد الكفارة أو التكفير أو يوم الغفران عند اليهود .. وهو اليوم السابع من الشهر العاشر من السنة العبرية ، وهو أكبر أعياد اليهود وأهمها وأخطرها وأعقدها .

ففى ذلك اليوم يسرع الحاخام الاكبر الى المعبد أو الى داخل المعبد .. أو «خيمة العهد» . وهى خيمة لها قماش سميك جدا .. ووراء القماش قماش آخر سميك .. وفى الداخل توجد منضدة أو صندوق قد وضعت عليه «الوصايا العشر» التى نزلت على موسى .. وليس مسموحا لاى انسان أن يدخل هذا المكان المقدس .. أو كما يسميه اليهود «قدس الأقداس» ومن دخله من اليهود أو غيرهم فلابد من قتله فورا !

ويقوم الحاخام الاكبر بالتكفير عن خطاياه هو وأهله

وأقاربه وأصدقاؤه ويرتدى ملابس خاصة بعد أن يكون قد غسل يديه •• ويذبح شاة ـ ماعزا ـ ويأخذ دمها فى يديه •• ويضع الدم على الفحم الملتهب فيتصاعد دخان يملأ المعبد أو قدس الاقداس •• ويشاهده الناس من بعيد • ويدرك الجميع أن خطايا الحاخام الاكبر قد تبددت كهذا الدخان •• وتحت الخيمة أيضا توجد أرغفة من الخبز •• هذه الارغفة أيضا قد امتزجت بدم غير يهودى • وهذه الارغفة هى طعام مقدس من حق الحاخام الاكبر أن يتذوقها هو وحده • أما خطايا اليهود أنفسهم فى كل مكان فيجب أن يكفروا عنها • ولذلك يأتى الحاخام الاكبر بماعز ذكر له قرنان •• ويمسك الحاخام الاكبر بقرنى الماعز وقد تخضبت يداه بالدماء •• ويمسح الدماء فى قرنى الماعز ويدعو ربه أن يغفر للشعب اليهودى ماتقدم وما تأخر من خطاياه ، ثم يحرق البخور •• ويكون الحاخام الاكبر قد غير ملابسه ومسح الدم فى الملابس وفى الاخشاب وفى الجدران •

وبعد أن يضع الذنوب والخطايا فوق رأس الماعز الذكر ـ أى التيس ـ يطلقون هذا الماعز الذكر الى الصحراء •• وفى الصحراء تتساقط الذنوب •• وبعد ذلك يعودون الى هذا الماعز ويذبحونه ويحرقونه •• وتتبدد خطاياهم كالدخان •• وينتهى هذا العام ويبدأون بعد ذلك فى ارتكاب الذنوب والخطايا من جديد •

واليهود فى هذا اليوم يصومون تماما ، ولا يقومون بأى عمل • لا يغسلون • ولا يكنســـــون • ولا يذبحـــــون ولا يشعلون عود كبريت • ولكنهم فى هذا العيد قرروا أن يشعلوا النار وأن يذبحوا رجـــالهم وأن يحرقوهم بمدافعنا فى الصحراء ، وأن يحولوا أجسادهم الى عيون تبكى دما عليهم وعلى قيادتهم الطاغية الباغية المجنونة •

لقد اختار اليهود عيدهم الاكبر فجعلــوه شـــؤمهم الاكبر ، واختاروا المعركة فجعلوها مقبرة لهم اليوم وغدا حتى انتصارنا عليهم باذن الله •• فلا أراهم الله عيــدا بعــد اليــوم !

فعلا : جيش
"الدفاع" الإسرائيلى !

أول انسان هبط على القمر قال : هذه خطوة قصــيرة لانسان ، خطوة طويلة للانسانية !

وأول جندى مصرى هبط على أرض سيناء كانت خطوته قصيرة من أجل مصر ، طويلة جدا من أجل الامة العربية!

وقد انتظر جنودنا طويلا ، وصبروا على الهوان كثيرا، وابتلعوا التشهير بهم مع رمال الصحراء ، وبرودة الشتاء حتى جاءت الفرصة ، فاذا الحديد يلين فى أيديهم كمــا لان الحديد لداود عليه السلام •• واذا الحديد جســور نوق الماء ، من فوقها دبابات ومدرعات وطائرات •• واذا جسور التراب التى أقامها اليهود تنشق كما انشق البحر لوسى عليه السلام واذا الجنود المصريون يزحفــون من رضهم الى أرضهم ، واذا هم ينكسون أعلام اليهـــود يرفعون أعلامنا •• ورؤوســـنا •

وكان اليهود يسمون جيشهم المعتدى دائما « جيش الدفاع الاسرائيلى » •• وهو اليوم وغدا جيش للدفاع وسوف يتراجع هذا الجيش فى المكان والزمان حتى يقف عند ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ !

موسى عليه السلام
موسى عليه اللعنة!

كأننا صدقنا كل ماقيل عنا بعد هزيمة ٦٧ ، وكل مانقرؤه فى الصحف الغربية والاذاعات الاجنبية • ولكن لماذا صدقنا أن جيشنا اذا وقف فلن يقعد واذا قعد فلن ينهض ، وان الهزيمة كتبت علينا ، والسخرية من قدرتنا والهوان على أنفسنا وعلى الناس ؟

لماذا أصبح الذل عميقا ثابتا عضويا كأنه عين ثالثة فوق العينين ، وأذن ثالثة وراء الاذنين ، وأنف ثان داخل الانف وأصبحت هذه العين وهذه الاذن وهذا الانف تقوم بالتشويش على عقولنا وقلوبنا ؟

سامحهم الله الذين أغرقونا فى الخزى ظلما وعدوانا أقسى من كل عدوان !

وكنا نسمع النصيحة من الذين لا يساوون وزنهم ترابا ونسكت • وكان كل من يمد يدا ، يمد لسانا أطول • وكنا

نسكت • وكنا نقطع الامل بسكين اليأس • وندفن المستقبل فى مقبرة الحاضر • ونترحم على الاجيال القادمة •

وكان من حق العدو ، مادامت هذه حالنا ، أن يتغنى بانتصاره وأن ينتشى بالضفة الشرقية البعيدة عن أيدينا وأقدامنا ، التى لم تبعد عن العين والقلب • وكان العدو يقول أن المسافة بين الانحدار المصرى والحضارة الاسرائيلية أوسع وأعمق وأطول من قناة السويس • وكنا نسكت • ثم أضاف العدو الى هذه الابعاد الثلاثة بعدا رابعا : هو خط بارليف الذى يتحصن وراء مجرى مائى ساكن ، وحاجز ترابى ناعم • وكأنه باب جهنم الذى وصفه القرآن الكريم بقوله «ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب» •• وكأنه العذاب نفسه أو باب جهنم الذى يحذرنا منه الشاعر الايطالى دانتى بقوله : أيها الداخلون أتركوا وراءكم كل أمل فى النجاة !

سبحان الله : تلاشت الابعاد الاربعة !

سبحان الله أصبح التراب عجينا • وأصبح خط بارليف اسما بغير جسم •

سبحان الله : مكتوب على اليهود أن يخرجوا من كل أرض ومن مصر مرتين : مرة وراء موسى عليه السلام •• ومرة وراء موشى عليه اللعنة !

رصاصنا الذي من ورق !

شيء غريب حدث . فنحن بطبعنا نتكلم بصوت مرتفع ولان الصوت وحده لا يكفى فاننا نعززه بحركات اليدين والحاجبين .. ويصبح الواحد منا أوركسترا حيا . ليكون مسموعا ومقنعا . ونحب أن يفعل ذلك غيرنا من الناس ، فالراديو مفتوح على الآخر . والتليفزيون أيضا ، هذه عادة نمارسها ونستنكرها . العادة موجودة والاستنكار منتشر .

ولكن الغريب اننا فجأة لم نعد نزعق ، لم نعد نصرخ. ففى أحاديثنا عن الانتصارات المتوالية لقواتنا العظيمة أصواتنا هادئة . واشاراتنا رزينة . والبيانات الحربية أهدأ من الجميع .

اذن لقد تعلمنا من التجربة المريرة لسنة ٦٧ عندما كانت بياناتنا أطول من خطوطنا ، وأصواتنا أعلى من

مدافعنا وأفراحنا مثل «صلاة الغائب» من أجل انسان لا وجود له !

ولكننا هذه المرة اخترنا العقل •• فكل شيء له وزنه الحقيقي وحجمه وطوله وعرضه •

وكان تشرشل في الحرب العالمية الثانية يقول أن الانجليز يعتمدون على نوع جديد من الاسلحة اسمه «الرصاص من ورق» وكان يقصد بذلك : الاذاعات العاقلة والبيانات المتزنة •

والشعور العام هذه الايام في غاية الحساسية المرهفة، لان قلوبنا في آذاننا : فلا صراخ ولا أصوات متشنجة ، ولا حناجر مذبوحة •

اننا منتصرون ، هذا صحيح •• ولكن ، كما كان الانتصار عملا عقليا متواصلا ، فالكلام عنه كذلك •• فنحن نريد ميكروفونات تطلق رصاصا من ورق يصيب أهدافه الفعلية ـــ منتهى الحكمة !

نعم صبرنا حتى عبرنا !

صبروا حتى عبزوا !

ولم يكن ذلك صدفة نادرة • أو ضربة حظ • وانما هو تتويج لاعمال شاقة وتضحيات هائلة تحت الشمس فوق الرمل ، مع العطش والارق ، والايمان بالله وبالنصر القريب!

كم ليلة سمع جنودنا ، عبر القناة ، العدو يرميهم بالهوان • فلم يضعفوا • كم سنة سمعوا خرافات البطولة اليهوذية ، والقيادة العبقرية ، والسدود الاسطورية ، ولم يصدقوا ، وانما ابتلعوا الغيظ وتنفسوا الامل !

ثم جاء انتصارهم ، أدامه الله • مثلا عاليا لضبط النفس والزهد والعلم والايمان ، ولما يجب أن يفعله كل مواطن من أجل دينه ووطنه وتاريخه •

ولكن بعض المواطنين قد نسى ماحدث وما يحدث هذه

الايام الباهرة من تاريخ مصر وكل العرب . انهم يتزاحمون على المحلات التجارية يشترون مالا يحتاجون . ويخطفون مايجدون !

ان هذه الايدى الطويلة يجب ضربها وقطعها . فالمشترى جشع ، والبائع أكثر جشعا !

فليس من أجل ذلك عاش ومات جنودنا . وليس من أجل ذلك تألموا حتى تعلموا وصبروا حتى عبروا .

وليس من أجل أن يصبح بعض القادرين لصوصا لاقوات الشعب . فهذه أيام الصبر على الشدة . هذه أيام التضحية . وقد رأينا ما الذى فعله الصبر ، وماالذى أثمرته تضحية الالوف من أجل الملايين . ان هؤلاء المواطنين قد أسكرهم الجشع ، فنسوا أن هذه أيام الصلاة شكرا لله على ماأعطانا وما سوف يعطينا ، فلا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى !

هذه هى
عبرة العبور !

فى سنة ١٩٦٧ ساهمنا فى صناعة الخرافة اليهودية • فقلنا فى ذلك الوقت اننا استطعنا أن نأسر عـــددا من الجنود اليهود يملأون قطارا كاملا • ثم أضفنا الى ذلك أن هؤلاء الجنود كانوا من النساء !

ومعنى ذلك اننا فى اللحظة التى أضفنا لانفسنا هـذا الشرف ، عدنا فسحبناه • فبدلا من أن نجعلهم رجـالا جعلناهم نساء • فكان اليهود رجالا ونساء يحاربوننا ـ أو حتى النساء يحاربن فى الخطوط الاولى للمعركة فأين نساؤنا؟

وخرافة أخرى نشرناها فى ذلك الوقت أيضا • فأشعنا اننا أسقطنا طائرة فوق القاهرة • وكانت المفاجأة • لم يكن الطيار رجل بل كان امرأة • أما المفاجأة الكبرى: فقد كانت السيدة حاملا فى شهرها التاسع • وانها وضـعت مولودها فى مستشفى القوات المسلحة • شىء عجيب تقتل أطفالنا ومع ذلك حافظنا على طفلها • وأعجب من هـذا كله ، كما تقول الشائعات فى ذلك الوقت ، ان السـيدة

الحامل فى شهرها التاسع كانت لها ساق خشبية !

وخرافات أخرى روجناها وصدقناها وبذلك تعاونا مع عدونا فى خلق أسطورة الجيش الاسرائيلى الذى يحارب برجاله ونسائه ، ولا يقهره أحد ــ مع أن اليهــــود لم يشتركوا فى أية حرب مباشرة . وانما كانوا يضربوننا من فوق ، أو كان غيرهم يضربنا من فوق . وهذه المـــرة الاولى التى حاربوا فيها . فقد تلقنوا فى معابدهم انهم لن يحاربوا المصريين أبدا . لا نبلا منهم ، ولكن جبنــا منا . فالمصريون لن يتقدموا أبدا !

ثم انهم ضربونا ونحن ننسحب هاربين ، أو نهــــرب منسحبين !

أما سبب هذا «التسطير» ــ أى صناعة الاساطير ــ فهو امعاننا فى تعذيب أنفسنا وتهوينها وتحقيرها والحط منها .

فكأننا لم نكتف بما حدث لنا ، وماقاله عدونا عنــا ، وانما أخذنا ننهال على أنفسنا ضربا بالايدى والارجــل والشائعات . فخلقنا هذا الوهم الكبير : ان عدونا كــل شىء ، واننا نحن لا شىء !

وكل من يعطى خده الشرقى لعدوه يضربه على خـــده الغربى ، وعلى قفاه أيضا !

ومع عبور قواتنا تنتقل صناعة الاساطير والخرافــات اليهم ليزدادوا احتقارا وتعذيبا لانفسهم : وهــذه هى العبرة من العبور !

قاتل ومعربد يطلب الرحمة!

تضايق مشاهدو التليفزيون عندما رأوا واحــــدا من الاسرى قد وضع ساقا على ساق • وتضايق المشاهدون عندما وجدونا نقدم لجرحى اليهود الماء والدواء ونفسح لهم مكانا فى المستشفيات •

ان ملايين المشاهدين عندهم ذكريات أليمة عمرهــــا أكثر من ست سنوات • فقد قرأوا وسمعوا ورأوا اليهود يعذبون الاسرى العرب أحياء وجرحى ، ويدوسون عليهم بالدبابات ويحرقون شعورهم واحــدة واحــدة •• ثم تركوهم يموتون فوق الرمال تحت الشمس •

وكان من السهل علينا أن نضرب هذا الاسير عشرين قلما وأن نأمره بأن يضع ساقا الى جوار الاخرى • أو نعلقه من ساقيه أو نقطعهما •• وكان من الممكن أن نوفر الماء والدواء وأن ندفن الاسرى أحيــاء حيث أرادوا أن

يدفنونا • ولكن العالم الذى بدأت دوله تنفض عن اليهود يجب أن يعرف المزيد من الحقائق هنا وعنهم •

لقد اكتفينا باستسلامهم وذلهم • وفى ذلك قضـــاء نهائى على أسطورة الجيش « القاهر دائمـــا » ، أمام الجيش «المقهور دائما» •• ان سعادة رجالنا الابطـال وهم يرون هذه الجباه تركع لهم ، هذه الغطرســة وهى تنحط أمامهم ، انها لحظات غالية دفعنا من أجلهــا ألوف الملايين •• انها لحظات مضيئة لمستقبل ملايين العــــرب مئات السنين •

ثم اننا حطمنا أكذوبة الجندى المصرى الــذى يمص الدماء ويقتل اليهودى بمناسبة ومن غير مناسبة • وأكذوبة أن اليهود انما استولوا على أرضنا خوفا منا ، وقتلــونا ارتباكا أمامنا •• وانهم مساكين ضعاف أقلية فى الدنيــا وفى حالة خوف دائم •• وانهم لذلك يطلبون من العــالم كله أن يرثى لحالهم : فبعد أن اعتدوا على كل جيرانهم أصبحوا بلا أصدقاء !

انها نفس النكتة القديمة : عندما وقف رجل أمـــام القاضى متهما بقتل والديه ثم راح يبكى ويطلب الرحمة لانه أصبح يتيما !

لا نوم ...
حتى آخر شبر!

سبحان الذى غير الاحوال : اسرائيل تتهمنا بالعدوان عليها وباستخدام أسلحة متطورة ، وبأننا خدعناها بالهجوم المفاجىء • واننا لا نراعى قداسة الاديان عندما هاجمناها يوم عيد التكفير •• ثم تقول اسرائيل: ماهذا البارليف الذى تتباهون بالاستيلاء عليه •

ولان موشى ديان من أسرة من البقالين ، فقد أضاف الى لحم البولبيف جبنة البارليف ـ لان خط بارليف ملىء بالفتحات والشقوق مثل الجبنة تماما !

وسبحان مغير الاحوال : ان اسرائيل وأمريكا تتحدثان عن وقف اطلاق النار ! وذلك بالعودة الى الضفة الغربية من القناة • ويا دار مادخلك شر ! وصافى يالبن ، وكفى الله المؤمنين القتال ! • أو تتوقف النار حيث تقف الآن من أرضنا فى سيناء ؟

ولم يعان العرب فى الربع قرن الماضى مثل الذى عانوه من لعبة: وقف اطلاق النار •• واطلاق النار •• والهدنة، وخرق الهدنة •• والشقة الحرام •• والارض منزوعة السـلاح !

انها لعبة مميتة جربناها وأوقفنا اطلاق النار لنتفاهم ولم نتفاهم • وكانت الدعوة الى وقف النار فرصة لتخدير العرب والعالم كله ، حتى تتمكن اسرائيل من أن تسن أسنانها وتأكل قطعة من لحمنا الحى • فاغتصبت سيناء والجولان والضفة الغربية ، وقبل ذلك كل فلسطين، باسم: الهدوء وضبط النفس لكى نتفاهم بالعقل •

وكل كوارث العرب ومصائبهم جاءت من انهم صدقوا هذه الحيل • وتوهموا لحظة واحدة أن الكلام فى استطاعته أن يحل قضاياهم • وقد صدقنا ــ لسذاجتنا ــ أن الحق قوة ، وأمن اليهود ــ لسفالتهم ــ أن القوة حق • وبين مغارك قوة الحق وأحقية القوة ، راحت الارض والكرامة وعشرات السنين وملايين اللاجئين والمهجرين والضحايا ومليارات من الجنيهات !

وعندنا فى الامثال الشعبية: واحد قال لواحد وقد وضع السكين على رقبته : لماذا لا تنام حتى أذبحك؟

فرد عليه : أن هذا السكين قد أطار النوم من عينى!

•• فلا نوم بعد ٦ أكتوبر الى آخر شبر من أرضنا !

قوة الحق ...
وانتزاعه بالقوة !

نشر السلام بالحرب . فرض الامن بالارهاب ، غرس الحياة بالموت . اقامة العدل بالظلم ــ الى آخر ما اعتادته اسرائيل فى الربع قرن الماضى . أى انها قررت أن تضع العالم كله أمــــام الامر الواقع . والامر الواقع هو أن المصريين انهاروا ولن يقوموا بعد حرب ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ وانه ليس من المعقول أن ينهضوا بعد هذه الهــــزائم الثلاث . فالهزيمة هى القاعدة فى حياتهم العســــكرية والسياسية والقومية !

ولكن ماالذى يقولونه الآن بعد النصر ؟

لقد نكسونا فى ستة أيام . فكنسناهم فى ست ساعات!

ان الرئيس السادات نصرنا الله به فى كلمته المشرفة المتواضعة لم يفوت هذه الفرصة الســعيدة لمصر وللامة العربية دون أن يؤكد لاسرائيل ولأمريكا أننا لا نريد الا

السلام •• السلام القائم على عدالة قضية الامة العربية وتقدم للعالم كله بمشروع للسلام هو أن يتركوا لنا أرضنا وأن يعودوا الى أرضهم ، وأن يصون العالم كله الحقوق المشروعة لشعب فلسطين •

ان عيونا كثيرة بكت علينا فى الخمسة والعشرين عاما الماضية : لاننا أصحاب حق ، ولكن حقنا ضائع •• لاننا نطلب العدل ، وليست فى يدنا القوة •• والظالم يتمادى فى ظلمه لانه قوى ، ولان وراءه أقوى قوى العالم كله •

ولكن من الممكن أن يعطف الانسان على شحاذ لا يجد الطعام فخطف رغيفا •• أن هذا الشحاذ يستحق العطف، ولكنه لا يستحق الاحترام •• وان الانسان ليحترم مليونيرا يريد أن يضاعف مايملكه من الذهب والارض •• ان هذا الرجل يستحق الاحترام • ولكنه لا يستحق العطف !

ولقد أحسن الرئيس أنور السادات عندما اختار لنا عظيم الاحترام • ولا يهم ان كان العطف بعد ذلك هزيلا أو لا عطف على الاطلاق •• ان العالم كله يشعر لنا بالاحترام ، لاننا تسلحنا بقوتين : قوة الحق وقوة انتزاعه من العدو !

السلام على كتفى
مستشار السلام ..

جائزة نوبل للسلام فاز بها هنرى كيســـنجر وزير خارجية أمريكا ومسئولها الاول عن الامن القومى • ومن قبله فاز فى أمريكا كثيرون من الرجال والنساء • ففـــاز بها الرئيس تيودور روزفلت والرئيس وودرو ويلســون والجنرال جورج مارشال والزنجيان رالف بانش ومارتن لوثر كنج •

وكيسنجر ألمانى المولد أمريكى الجنســية ، يهــودى الدين • وقد استحق هذه الجائزة للاعمال البــاهرة فى السياسة والحرب والدبلوماسية فقد عقد زواجا سعيدا بين أمريكا وروسيا ، وبين أمريكا والصين ، فجفت الدماء والدموع فى فيتنام • واعتدل ضغط الدم فى العـــالم كلـــه •

وأول امتحان لهذه القدرات الخارقة لوزير خارجيــة

أمريكا هى : مشكلة الشرق الاوسط المتعـــددة الاطراف السياسية والاقتصادية • والوزير الامريكى يعلم انــه يهودى وانه أمريكى وانه أصبح مشـــهورا فى العـــالم بموجبته فى حل العقد • وهذه المنطقة من الدنيـــا هى عقدة العقد وأزمة الازمات • فهنا قلب العالم ومعدته ، وملتقى وجدانه ومصالحه • وهنا نور الانبيـــاء ونار الوقود •

واذا كان كيســـنجر قد نجح بالامس فلابد أن ينجح غدا •• ونحن نتمنى له النجاح فى مهمته ليسود السلام القائم على العدل ، الذى نتمناه والذى يتطلع اليه العالم من ورائنا •

والذين درسوا حياة الوزير الامريكى يجدون انه كان معجبا بوزير خارجية النمسا فى القــرن التـــاسع عشر مترنيخ وكان دبلوماسيا وسياسا وبارعا • ولمــا سئل : كيف أكسب هذه الموهبة؟ أجاب : من النساء !

والوزير الامريكى مثل الوزير النمســـاوى يرى أن الحديد يجب أن يدقه وهو ملتهب ، والحديد ملتهب فى الشرق الاوسط •• ومن رأى كيسنجر كذلك : أن القنبلة التى تحرق تضىء أيضا •• وعلى ضوئها وشظاها يهتدى الى حل أصعب المشاكل •

والحديد والنار والنور كلها على أشـــدها فى الشرق الاوسط • ونريد أن نرى موهبة كيسنجر فى تحـــويل الجليد الى ماء ، والنار الى رماد •• وبذلك يكون قـــد إستحق جائزة السلام مرتين : مرة لمـــا حققه بالامس ، ومرة لمـــا سوف يحققه غدا •

ولا يضايقنا كثيرا أن يزفه حاخامات اليهود فى العـــالم وهم يرددون نبوءة أشعياء (الاصحاح التاسع ـ الآية السادسة) : وسوف يولد طفل يكون وزيرا يحمـــل على كتفيه السلام ، لانه مستشار السلام!

معنا الحيلة والشجاعة أيضا !

من عشر سنوات رأيت فيلما اسمه «بلقيس ملكة سبأ» بطولة جينا لولو بريجيدا وبول براينر • والمعنى العام للفيلم : ان الحيلة تغلب الشجاعة • أما أصحاب الحيلة فهم اليهود وأما أصحاب الشجاعة فهم الفراعنة •

وكانت بلقيس ملكة اليمن قد زارت مصر • وأقنعت فرعونها انه حبها وانه قلبها •• لولا سليمان ملك اليهود، ثم سافرت الى أورشليم وقابلت سليمان وقالت له انـــه حياتها ومماتها •• لولا فرعون ملك مصر • وانه يغـــار من زيارتها • ولن يسكت عن هـــــذه الاهانة وانه قادم لا محالة بجيش كبير •

وفكر سليمان • ودخل خيمته • ونام ورأى فى نومه أن هناك وسيلة لهزيمة المصريين • ومن فرحته صحا من النوم دون أن يعرف كيف • وفى اليوم التالى نام أمام الخيمة

وعيناه فى السماء • ورأى فى نومه خطة عملية لهزيمة الجيش المصرى • واستعد لهذا اللقاء وجاء فرعون بجنوده • ولم يكن مفاجأة فقد حفر داود فى الارض خندقا كبيرا • ثم أنه طلى دروعه كلها وجعلها فى لون الفضة • واستدرج المصريين الى المعركة • وعندما انطلقت العربات رفع اليهود دروعهم فى ضوء الشمس فخطفت الدروع أبصار الرجال والخيول فسقطوا جميعا فى الخندق • وانتصر اليهود بغير قتال! والسبب هو هذه الحيلة السينمائية !

وهكذا يؤكد اليهود انهم أمريكان من ألوف السنين !

وفى سنة ١٩٦٧ بهرونا وسحرونا وأسقطونا بغير حرب !

ثم عادوا يطلقون البخور والتعاويذ مرة أخرى ، فكانت قناة السويس هى هذا الخندق المائى •• وكان خط بارليف هو هذه الدروع الباهرة الساحرة الرائعة المروعة •• ولكن هذه الحيلة لم تنفع • وانما نحن الذين بهرناهم وسحرناهم •• ثم اننا اليوم نحاربهم هم ونقتلهم هم ، والبحر خلفنا والعدو أمامنا كما قال طارق بن زياد • وسوف ينصرنا الله كما نصره فالحيلة معنا والشجاعة أيضا !

الصبر والإيمان وسينا والجولان!

فى الايام الاخيرة لم تصدر بيانات عسكرية بنفس السرعة التى صدرت بها فى الايام الاولى لهذه المعارك الباهرة .. وقلقت الملايين على قواتنا وعلى انتصاراتها، والناس معذورون .. فقد نسوا أن الساعات الاولى من المعركة ، كان يجب أن تكون خاطفة . ولذلك دوخت العدو فراح يتساقط طائرة بعد دبابة بعد أسير بعد بارليف !

وقد جاءت هذه المعركة الرائعة المروعة فى شهر رمضان المبارك . شهر البرامج الخفيفة والابتسامات السريعة . والفوازير والحكايات وألف ليلة وليلة .. وكل شىء: سريع خفيف سار ممتع .

ولم يتنبه الناس ، لشدة فرحهم وقلقهم ، أن معارك الصحراء ليست بهذه الخفة والسرعة .. فالجنود بشر . وليست لديهم هذه المعجزات : مصباح علاء الدين ،

وخاتم سليمان ، وبساط الريح وعصا موسى • ثم اننا قد التزمنا الصدق والدقة فى كل بيان نصدره وليس أسهل من اصدار بيان كاذب ـ اسرائيل تفعل ذلك ـ ولكننا هذه المرة تواصينا أن نكون صادقين مع أنفسنا ، وألا نخدع أحدا •• وألا ننخدع •• فاحترمنا العالم كله ، واحترمنا أنفسنا !

والناس من فرحتهم وتطلعهم الى النهاية السعيدة ، ينسون كم يتكلف اصدار بيان عسكرى من ثلاثين كلمة ، انه يتكلف عشرات الدبابات وعشرات الطلقات وعشرات الطائرات وعشرات الخطوات على الرمال الناعمة تحت النار •• ان الناس ينسون «الجو» الرهيب الذى تدور فيه المعارك : فالهواء رمال •• والليل نهار ، والارض سماء ، والحياة موت •• والدخان يلف الجميع فى غموض رهيب •

ورغم ذلك فقواتنا تتقدم ، بحمد الله وتسحق عدونا، ففى كل خطوة نصر ، وفى كل صرخة ميلاد لمصر والامة العربية •• فمن أجل سيناء والجولان ، تذرعنا بالصبر والعلم والايمان •

٦ أكتوبر
٦ أيام
٦ سام

فى سنة ١٩٦٧ قالوا عن المقاتل المصرى : كانت عنده أحدث الاسلحة وأكثرها خطورة .. انها نفس الاسلحة التى جعلت العالم كله يتفرج على خيبة أمريكا فى فيتنام، فالعيب فى الجندى وليس فى السلاح .. وكان من الواجب أن يرتفع الجندى المصرى الى مستوى السلاح الذى يضعه فى يده وتحت قدميه ويغطى به رأسه فى هذه الصحراوات العارية !

وفى سنة ١٩٧٣ قيل عن الجندى العربى : انه ينتصر بفضل الاسلحة المتطورة .

والصحف الغربية ووكالات الانباء تظلم هذا البطل العربى فى سيناء والجولان . فالسلاح كان موجودا قبل ذلك .

ولكن شيئا جديدا قد حدث • أن المقاتل العربى قـــد تدرب وتعلم على هذه الاسلحة التى ترى له وتسمع لـــه وتسدد له •• ثم أن هناك جنودا آخرين يفكـــــرون له ويدبرون لهالطعام والشراب والامان • ثمأن هناك عقولا قد درست وصممت ورسمت له خريطة النصر •• ثم أن هناك سلاحا آخر قويا عميقا هو ايمانه بالله وتمســـــكه بقضية الحرية والعدل ، وأن يستعيد شرفه للاجيــــال القـــــادمة •

هذا المقاتل العربى قرر أن تشرق الشمس فى ليـــــل الهزيمة ، قرر أن يرسم قوس قزح أكثر بريقا ولمعـــانا على السحاب الاسود للظلم والهوان •• أن بذرة الهزيمة قد غرسها فى أرض طيبة ، فكانت شجرة النصر المباركة ، باذن الله •

والمقاتل العربى ــ مقاتل وعربى • وهذه أرضه • وهذا حقه •• وليس كالمقـــــاتل الاسرائيلى : من كل لون وكل جنس وكل أرض • حبســـوه فى قفص من الاسمنت ثم أطلقوه فى قفص من الحديد وأشعلوا فيه وأشـــعلوا به النار ــ ان هذا مايقوله الاسرى • انهم يؤكدون لنــــا بلا ضغط عليهم ــــ انهم مدفوعون الى القتل والى القتال وانهم يريدون أن يعيشوا مثل اليهود الآخرين فى أوروبا

وأمريكا بلا خوف من أحد ، وبلا اكراه على المــوت فوق رمال سيناء والجولان ، من أجل قضية لا يفهمونها !

ان لرجالنا مكانا عاليا فى حياتنا وتاريخنا ••

وسوف يكون لرقم ٦ مــكان خاص بين كل الارقام : حرب الـــ ٦ أيام •• و ٦ أكتوبر •• وسام ٦ •• واختراق بارليف فى ٦ ساعات •• والحاسة السادســة التى ألهمت قادتنا أن يختاروا ساعة العبور فى يوم النصر !

ليس قليلا ما حققناه !

ليس قليلا هذا الذى كسبناه فى ١٦ يوما •• ليس قليلا اننا انتقلنا من أرضنا على الضفة الغربية الى أرضنا على الضفة الشرقية •• ولا اننا قتلنا بضعة ألوف من اليهود ، وأسرنا بضع مئات •

وليس العبور هو المهم •• فالطائرات تفعل ذلك نهارا، والمتسللون ليلا • ولكن ماحدث قبل وأثناء وبعد العبور هو الذى يهم وهو شىء كثير • فقد درسنا وتدربنا على العبور فى كل بحيرات مصر الشمالية والجنوبية •• وأقمنا الجسور • وبنينا خطا مثل بارليف حتى عرفنا كل خباياه، ثم جاء العبور نفسه شيئا باهزا !

ان الجندى الذى وضع العلم فوق خط بارليف يروى هذه العملية كأنها شقاوة أطفال •• وهو صادق تماما •• فهذه الخفة فى وضع العلم ، قد تمت بسهولة ، ولكن هذه

السهولة لم تتحقق الا بصعوبة تصل الى حد المعجزة ، فقد كان وضع العلم فى حماية مئات الالوف من الجنود والدبابات والطائرات والصـــواريخ ومئات الالوف من ساعات التفكير والتدبير •• حتى جاء وضع العلم ســهلا كمن يضع وردة فى صدره أو غطاء على رأسه !

ومن العبور تحقق الانتصار على الخـــوف ، وعلى الهزيمة وعلى الذل وعلى الهوان •• وأصبح من حق كل عربى أن يرفع رأسه عاليا شامخا •• لقد أراد فانتصر ، وقاتل وتحرر •

ولاول مرة فى تاريخ الامة العربية تقف جميعا صفــا واحدا • تتبارى شعوبها فى تقديم كل ماتملك من أجــل المعركة •• فليست هى معركة مصر وسوريا •• وانما هى معركة كل العرب من أجل كرامة العرب وثروة العرب •

وعلى الرغم من حرب الشائعات والبيــانات الــكاذبة والبلاغات المضللة ، فلم يرتجف لنا ميكروفون ولا ارتعد قلم •• وانما كان العقل والاعتدال والصدق التى هى أهم مزايا الرئيس السادات ، شعارا لكل من يمســك قلما أو كاميرا أو مدفعا • فلا الكلمات طاشت ولا الراديوهــات صرخت ولا المدافع أغرقت دماء المدنيين اليهود •

فليس قليلا هذا الذى كسبناه فى هذه الايام •• ولان

هذا هو انتصارنا الاول ، ولن يكون الاخــــير ، ولانه هزيمتهم الاولى ولن تكون الاخيرة • فقد كنـــا نطمع فى مزيد من الانتصارات •• ولكن لا انتصار بغير قتال •• ولكن القتال ليس غايتنا • انه وســــيلتنا الى تحــرير الارض والارادة • ولاننا دعاة سلام ، أوقفنا اطـــلاق وقف النار ليس اخمادها • ولكنه الاحتفاظ بها عنـــــد أطراف أصابعنا ــ فعدونا غدار ، كان ولا يزال وسيكون!

وليس هذا كله بالقليل فى ســـجل الاعمال الجلــيلة فى حياة أنور السادات القـــائد المنتصر ، والزعيم المؤمن ، والحاكم الحكيم •

الله ... سوف ينصرنا غدا

مندوب اسرائيل فى مجلس الأمن يشكو للعالم ان العرب يشوهون تاريخ اليهود وينسبون الى اليهود صفات ليست فيهم . وأن العرب متأثرون فى ذلك بما فعله النازيون .. فالعرب يرون ان اليهود شعب غادر لا وفاء له . فهو ليس أمينا على سر ولاعلى وطن . أنهم جميعا خـونة لكل بلد يعيشون عليه . ولا وفاء الا لاسرائيل . ويقول ان العرب يعرفون ظروف اسرائيل فهى لا تطـــل من الأرض التى تملكها الا على مياه مالحة : البحر الابيض والميت والاحمر ولذلك فهى معذورة اذا تعطشت لمياه النيل والفرات .. ولكن العرب يرون ان اسرائيل لا يرويها الا الدم . والدم أهم عندها من أنهار أخـرى هى المســيسبى والفلوجا والراين . ويقول أن هذه هى الاكاذيب التى يروجها العرب ضد اليهود فى الشرق والمغرب .

أما أننا نقلد هتلر فى تشـــويه تاريخ اليهود ، فليس

صحيحا •• وانما اليهود هم الذين يقلدون هتلر فى الكذب واستباحة دماء الشعوب وهم أيضا ينتقمون لما فعله هتلر بهم فى المدنيين الآمنين من العرب وفى أسرى الحرب • ان هذه الوحشية قد انفرد بها اليهود الذين ذبحتهم وأحرقتهم كل الشعوب كانت على حق فى كل ما فعلت !

وليست الشعوب العربية فى حاجة الى اختراع أكذوبة عن غدر اليهود •• يكفى ما حدث بعد ساعة واحدة من وقف اطلاق النار • فقد استأنف اليهود النار ضد كل من يرونه من المصريين •• فالعسكريون المتوحشون فى اسرائيل لن ينسوا ما حدث لهم يوم ٦ أكتوبر والايام التالية • ففى ست الساعات الاولى أصيب اليهود فى عزيز لديهم اسمه : بارليف •• ولم ينس العسكريون هذا الفشل الهائل •• ولا الخسائر الفادحة التى تناثرت كتلا من اللحم والحديد والدم على رمال سيناء • ولا نسوا هؤلاء الأسرى الذين استراحوا الى أنهم سقطوا فى أيدى المصريين لانهم مكرهون على القتال • فالقتال رحمة لهم من حياة التفرقة العنصرية واللونية والطبقية فى اسرائيل •

كنا قد استرحنا من صوت وصورة موشى ديان •• ذلك المسوخ المسيخ الدجال ، ولكنه عاد ينفخ فى طبول الغرور والغطرسة •• فعينه لا يملؤها التراب ولكن الدم •• مزيد من الدم البرىء يسيل على الاسلحة

الامريكية التى بعث بها اليهــــودى البار بقومه : هنرى كيسنجر ، الفائز بجائزة نوبل للسلام •• وعلى الطريقة الامريكية •

واذا كان بعض المصريين والعرب قـــــد عز عليهم أن تتوقف الحرب فجأة ، فقد بدأ القتال •• والساحة واسعة لكل من يريد أن يضحى بشىء من وقته وماله وحياته من أجل مستقبل الأمة العربية كلها ، مدنيين وعســـــكريين ، صغارا وكبارا ، نساء ورجالا •

وان الله الذى نصرنا بالامس فسوف ينصرنا غــدا ، مادمنا متحدين صابرين مؤمنين •• أنه قادر على كل شىء !

كيف ننسى بهذه السرعة!

ابتداء من اليوم ٢٥ أكتوبر والايام التالية سوف يلوم بعضنا البعض : كيف حدث ما حدث ؟ وســوف يظهر فى مصر وفى العالم العربى عدد كبير من الفلاسفة والحكماء وكل واحد له رأى وله راية ، وسوف تتعالى أصوات كانت قد سكتت من قبل • ولكن لماذا ؟

لأن القوات الاسرائيلية قد تسللت الى الضفة الغربية وسوف يقال كلام ويكال ملام • وهذا طبيعى • فالقضية هى حياة كل الناس ، عسكريين ومدنيين ، مصريين وعربا •

ولكن يجب ألا ننسى بسرعة ما أنشدناه وترنمنا به جميعا من أسبوع واحد • ما الذى قلناه عن القوات المصرية •• عن الجندى المصرى •• عن الفتى الاسمر •• عن الفــلاح أبن سبعة آلاف سنة •• حفيد رمسيس الثانى الذى طرد اليهود من مصر •• حفيد صلاح الدين الذى طرد الصليبيين

عن الاراضى المقدسة •• يجب الا ننسى بسرعة ما قلناه عن معجزة ٦ أكتوبر وكيـــف عبرنا أكبر حاجــز مائى ، وتسلقنا أكبر حاجز ترابى ، ونسفنا أكبر حاجز اسطورى •

يجب الا ننسى بهـــذه السرعة ماتغنينا به معتزين بمصريتنا وعروبتنا • وكيف اننا اخترقنا حاجز الخــوف الى صحراء الشجاعة ، وكيف عبرنا الهزيمة الى النصر ، والعصر الحجـــرى الى العصر الالكترونى •• وكيــف اسعدنا أنفسنا بهذا التزاوج : سام ٦ أكتوبر •• وكيف هتفت الجماهير فى دمشق : يعيش سام يسقط العم سام ! وكيف أن كل عربى فى كل مكان فى الدنيا يستطيع أن يقول وهو عالى الرأس ، مرفوع الصدر شامخ الانف : اننى عربى • بعد أن كان يشينه ويهينه أن يقال له أو يقول عن نفسه : اننى عربى •

ويكفى العرب ما حدث بعد ٥ يونيو •

فاذا كان لليهود حائط واحد للبكاء ، فقـد أقام العرب لأنفسهم فى كل بيت وكل يوم وكل حديث وكل صلاة حائطا للبكاء على ما أصابهم سنة ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ •

حتى كان ٦ أكتوبر الذى حـــررهم من عبــودية التاريخ الاسود فى كفاحهم ضـد الصـــهيونية العالمية والاستعمار الامريكى •

وبعد ذلك اليوم تلقينا التهانى من الناس ورددناهـــا بأحسن منها •

ووعدنا بأن نمضى الى الامام حتى نحرر الارض كلها وحتى نقف فى التاريخ عند يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ •• وكان ذلك عهدا ووعدا •

وفى ذلك اليـــــوم من أكتوبر كانت ضربة رائعة مروعة للعدو •• وصدمة ولطمة للغرور الاسرائيـــلى والغطرسة العســكرية • وكانت تتســـاقط علينا باقات الورود من العسكريين والمراسلين والمؤرخين والدبلوماسيين الاجانب وبنفس الكمية كان اليهود يتلقون لوما شديدا عـــلى كل شىء : كيف فات على جواسيسهم أن يرصـــدوا تحركات المصريين •• كيف أن عيونهم وآذانهم فى القاهرة لم تلاحظ شيئا •• كيف ان المخابرات الامريكية التى تلقت الكثير من المعلومات لم تفلح فى تفسيرها • وكانت هذه التساؤلات تحيات مباركات للجيش المصرى الذى أخفى حركاته والذى استطاع أن يكتم سرا واحدا فمن صفات العرب جميعا ان افواههم مفتوحة كالسماء !

فما الذى أصاب اسرائيل بعد الهزيمة الشنيعة !

ان اسرائيل خسرت الكثير من جنودها وسلاحها • ولكن اسرائيل لم تقع على الارض • ولا اســتسلمت للتدم • ولا دفنت نفسها فى الرمال • ولكنها وقفت من جـديد •

تحاول وتداور وتناور • وكما اننا استفدنا من أخطائها فى الدفاع عن بارليف ، استغلت هى أيضا ثغرة فى قواتنا على القناة بين الاسماعيلية والسويس • وبسرعة وسعت الفتحة •

وماتزال قواتنا فى أوجها • وماتزال الاسلحة متطورة متوافرة • فمايزال هناك وقت ، ما بقيت هناك حياة • واذا كانت قواتنا العسكرية قد ذاقت طعم النصر ففى استطاعتنا أن نستطعمه من جديد •• ويمكن ــ دائما ــ عمل شىء • وهذا الشىء هو القتال •• وليست هذه أعباء العسكريين وحدهم ولكن جميع المواطنين •• لأن شيئا شاذا قد وقع على أرض مصر •• لأن استغلالا شريرا لوقف القتال قد نفذه عدونا بسرعة •

والذين احزنهم أن يتوقف القتال ، لاداعى للحزن ، فقد بدأ القتال • والذين أحسوا أنهم لم يفرحوا بالنصر بدرجة كافية ، فى استطاعتهم أن يساهموا فى النصر الأكبر وبالدرجة التى يسعد بها الجميع •

وقد أصبحنا الآن على يقين من أن الهزيمة ليست قضاء التاريخ علينا وقدرنا ، فقد انتصرنا • كما أن النصر لم يكن مستحيلا فقد أمكن • وعرفنا ذلك ولانزال منتصرين • وهذا النصر يمكن أن يتكرر •• ويكون نصرا شاملا يساهم فيه كل أبناء مصر عسكريين ومدنيين •

واذا كنا يوم ٦ أكتوبر قد عبرنا الهزيمة ، ففى استطاعتنا اليوم أن نمشى الى النصر •

ولقد تعلمنا من التاريخ : أن النصر له ألف أب ، أمـــا الهزيمة فهى طفل يتيم •• يتبرأ منه كل أحد • وقد قلت بعد نكسة ٦٧ :

اذا انتصرنا فنحن عرب واذا انهزمنا فنحن مصريون • ونحمد الله أننا عرب !

ويجب الا نناقش شيئا من ذلك الآن فالهزيمة والنصر لنا جميعا ، مصريين وعربا •

أننا لســـنا فى ٥ يونيو اننا نعيش أياما متكررة من ٦ أكتوبر •• ذلك اليوم المجيد الذى تريد اسرائيل ان تلطخه بالوحل والدم حتى تحـــذفه من التاريخ المجيد للجيش المصرى •

ولكننا ، بعزمنا وتصميمنا وبمشيئة الله ، قادرون على أن نجعل هناك أياما أخرى كثيرة قادمة نفخر بها وتخجل منها اسرائيل •

لا هو بطل ..
ولا هو أسطورة !

فى الحرب العالمية الثانية كان اسم « روميل » هو النجم اللامع • وهو الطبق المفضل على مائدة الجنود والضباط الانجليز ، فهو ثعلب الصحراء • وهم يتوقعونه فى كل لحظة •• وراء كل دبابة وكل جحر فى الأرض •

فعندما استطاع روميل أن يبهر الانجليزى أو كتلك خطورة روميل جديد فى معارك الصحراء ، تحول روميل من عدو للانجليز الى معبودهم ومعنى ذلك أن الانجليز أصبحوا يجدون متعة فى أن يسمعوا عن انتصاراته •• وينسون أن هذه الانتصارات انما هى عليهم وضعفهم •• ولكن شخصية روميل الباهرة انستهم أنه عدو ، وأنه يريد سحقهم والتقدم بالقوات الالمانية الى مصر •

هنا فقط أحس الجنرال الانجليزى أوخنلك خطورة

روميل الذى تسلل الى ما وراء الخطوط ، والذى أصبح سلاحا سريا يعمل لحساب الألمان ، ولذلك أصدر الجنرال أوكنلك البيان المشهور الذى يقول فيه للقوات الانجليزية : لاتتروملوا •• أى لا تتأثروا بروميل أو لا تكونوا مسحورين بروميل ، فانه عدو لكم أولا وهو ثانيا ليس الا بشرا •• وثالثا يمكن التغلب عليه اذا ما عرف الانجليز أسلوبه فى القتال •

وقد استطاع الانجليز أن يعرفوا طريقة الثعلب • وتغلبوا عليه وعلى الألمان ، ودارت الحرب لصالح الحلفاء ضد المحور !

لأنهم استعدوا • ولأنهم صبروا • ولأنهم لم يقعوا تحت تأثير الاذاعات الالمانية التى تطلق الشائعات وتصنع البطولات لتحطيم المعنويات •

وليس موسى ديان بطلا ولا أسطورة وانما هو اسرائيلى يستحق عظيم الاحتقار ، ولذلك يجب أن نرفض مانسمعه وأن ننفض عن آذاننا أكاذيبه المتكررة •• ألم يعلن ديان منذ أسبوع أنه دخل دمشق ؟ ألم يعلن منذ أيام أنه على مشارف القاهرة ؟ كل ذلك كذب •• فالمعركة مستمرة ، وكل ما حدث ان القتال قد انتقل الى مكان آخر •• ولكن الجيش قوة ومفخرة •• والشعب المصرى والعربى قوة كبرى ،

أكبر من كل أسطورة وأكبر من كل خرافة •• وايماننا بربنا وبشعبنا وتاريخنا أقــوى من كل هــــذه الميكروفونات المسمومة التى تجىء من تل أبيب أو من صــــوت أمريكا أو لندن •• فكلها اذاعات استعمارية ونحن دعاة حــرية ونرفض الاستعمار بكل أحجامه وألوانه ومصــــادره من الشرق أو من الغرب !

قبل أكتوبر
بدأت هذه الحرب!

واضح جدا الآن ان اسرائيل غير جادة فى أى شىء ــ الا أن تضيف مزيدا من الأرض التى اعتدت عليها •

ولسنا فى حاجة الى أن نقرأ التاريخ كله لكى نعرف ذلك يكفى ربع قرن من الوجود الصهيونى الاستعمارى العدوانى العميل فى الشرق الأوسط •

لقد أدرك كثير من العرب فى أواخر القرن الماضى أن معركتهم مع اليهود طويلة • ولكن العرب لم يدركوا بوضوح معنى هذا الطول ولا شكله ولا عرضه ولا عمقه • ولكننا الآن عرفنا معنى هذه المفردات وبصورة دموية • ولن يتغير شىء من سلوك اليهود • ولماذا يتغير ؟ أن كل أحلامهم المجنونة تجد لها سندا متطورا عند أمريكا •

ولذلك يجب أن نتأكد الآن : ان هذه المعركة الحيوية

الدموية مع اسرائيل لن تنتهى • ولابد أن نتواصى بها من الآن • هذا الجيل والذى يليه • ان نصف سكان مصر قد عاشوا أربع حروب الى الآن مع اليهود • وليست هذه الحرب آخر الحروب ، وان كانت بداية الطريق البطولى الرجولى للعناد العربى ، والرفض المستمر للاستسلام ، والنبذ العنيد لاسرائيل •

ولسنا فى حاجة الى أن نسترجع تاريخ الشعب اليهودى ولكن يكفى جدا تاريخه فى هذه المنطقة • كيف بكوا واستبكوا • وكيف تآمروا وكيف خدعوا الشعوب الاخرى ثم كيف توسلوا بكل الطرق لكى تتحقق رغباتهم الشريرة •• كل هذا واضح لنا جميعا • فما المعنى لهذا كله ؟

ليس الا معنى واحد : ان هذه الحرب التى بدأت يوم ٦ أكتوبر ، لم تبدأ فى هذا اليوم ، بل بدأت قبل ذلك بسنوات طويلة • ولكنها بلغت أوجها فى هذا اليوم • ولا هذه الحرب انتهت بوقف اطلاق النار الذى فى يد العسكريين • ولكن هذه الحرب سوف تستمر عسكريا ومدنيا • وهى حرب شاملة لكل الناس ، لانها تهدد حياة كل الناس • وليست الحرب هذه المرة وليمة ننتظر أن توجه الينا الدعوة لنساهم بما نستطيع • ولا هى على أطراف

حدودنا • ولكنها فى القلب • فى الصميم • فى اللحم الحى
أن أمامنا صفحات مجيدة لشعوب عظيمة حاربت وكافحت
وانتصرت ضد الغزاة : ان الذى فعله الروس ضد الغزو
النازى ، والذى فعله اليوغوسلاف والذى فعله الجزائريون
والفيتناميون •• كلهم أناس مثلنا •• لهم نفس العدد من
الايدى والعيون ونفس القلب الذى يدق عاليا حقدا على
العدو ، وحبا للوطن !

مات في يوم القيامة ؟!

عندما توفى المنفلوطى لم يمش فى جنازته سوى عدد قليل من الناس • لانه توفى فى نفس اليوم الذى انطلق فيه الرصاص على زعيم الأمة سعد زغلول ، ففزعت الأمة كلها لما أصاب زعيمها ، وانشغلت عن المنفلوطى ذلك الاديب الرقيق •

وفى ذلك قال أمير الشعراء أحمد شوقى :

اخترت يوم الهول يوم وداع
ونعاك فى عصف الرياح الناعى
من مات من فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع أو حفاوة ساعى

وعندما توفى الشاعر العاطفى والمحدث الذكى كامل الشناوى ، مات الصحفى الظريف أحمد الألفى عطية ـ فلم يدر به أحد •

وعندما قتــــل الرئيس الامريكى كنيدى توفى الأديب الانجليزى العظيم الدوس هكسلى ــ فلم نعرف ذلك الا بعد وقت طويل !

وحتى يوم وفاة طه حسين توفى الأديب الجزائرى مالك بن نبى • والاديب المصرى د • حسن عثمان الذى ترجم « الكوميديا المقدسة » كمدا على زوجته التى اختفت من ظهر الباخرة سوريا ، فى ظروف غامضة •

وشاء الله أن يختار لطه حسين الموت يوم القيامة •• يوم قيامة الجيش ، ويوم قومة الشعب العربى كله ضـــد العدوان الاستعمارى على أرضنا الكريمة بما عليها وما فيها ومن عليها •

شاء الله لطه حسين ان يموت وقد استراح الى حاضر مصر ومستقبلها ــ كانما مات من الفرحة •

أن عظيمنا طه حسين عاش كريما على نفسه وعلى مصر وعلى العالم ــ فقد تلقى فى آخر لحظة من حياته أوسمة عالمية • لأنه شخصية عالمية •• واحد من مائة شخص لن ينساهم القرن العشرون ــ هكذا تقول دوائر المعـــارف الأدبية والفكرية •

ولا يهم أبدا ان طه حسين قد وعد بأن يكمل « الايام » ــ قصة حياته • ولا يهم أبدا أنه وعد ولم يتمكن من اكمال

« الفتنة الكبرى » . فالذى كتبه طه حسين يكفى جـــدا بل ان عشرة كتب من الستين التى قدمها تجعله أديبا رائدا وفنانا عظيما .

وقد جلست الى طه حسين كثيرا . وناقشـــته وعاتبته واختلفت معه فى الصحف وفى الاذاعة وفى التليفزيون .. وأشهد أنه كان متعة للاذن وراحة للعقل وشرفا للفكر .

ان طه حسين أحد المقاتلين فى ساحة تحرير الفـــكر والعبارة واحـــد الذين عبروا بنا من الشرق القديم الى الغرب الحديث .

أنه واحد من العمالقة الذين وفدوا فى سنة واحـــدة : العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى وعبد الرحمن الرافعى وشارلى شابلن وتوينبى .

ان الذى نذكره لطه حسين كثير ولكن عبارة واحدة تدل على اصراره على ان يقول كلمته رغم كل شىء وكل أحـــد هذه العبارة يجب ان تكون شعارا لكل صاحب رســالة فى الأدب والفكر وانتصار الحياة والقيم الانسانية . يقول طه حسين :

« الى الذين لا يكتبون ويغضبهم ان يكتب النـــاس ، اهدى هذا الكتاب » ـــ وهذه الكتب وهذه الحياة !

ما الذى كسبوه فى بلادنا ؟!

ما الذى كسبته أمريكا فى الشرق الأوسط ؟

انها لا تدافع عن قيم أخلاقية . فليست اسرائيل هى « الخير الاسمى » الذى يسعى اليه العالم كله . فلا هى مصدر الرحمة والسعادة لاحد . ولا هى الجنة الموعودة للضالين فى كل الدنيا . ولا هى السلام الذى ينشده الذين طردوا من كل أرض وأحـــــرقوا فى كل فرن . واستحقوا اللعنة فى كل صلاة . لا هى جنة لهم ، ولا هى جنة لاحد . وانما هى ترسانة من السلاح المتفجر محاطة بترســـانة أخرى من السلاح والكراهية وعظم الاحتقار ؟

هل كسبت أمريكا صداقة المائة مليون عربى ، هل كسبت اسواقهم المفتوحة للسلع الامريكية . هل كسبت ثرواتهم من الذهب والبترول . هل قامت أمريكا بعملية حسابية دقيقة تضـــــع فيها اسرائيل فى كفة وكل العرب فى الكفة الأخــــرى .

ان امريكا قد تصـــورت ان الدول الاوربية كلها تمشى وراءها ، كما تمشى الاغنام وراء كبش القطيع ـــ تماما كما

تقفل أمريكا وراء اسرائيل •

ولكن هذه المرة حدث خلاف واختلاف • فالدول الاوربية المتحضرة العريقة لا ترضى لنفسها أن تكون « ملحقة » أو « ذيلا » لامريكا ، بمناسبة ومن غير مناسبة • ولكن ما السبب ؟ السبب هو أن هناك خلافا بين أمريكا وبين أوربا •• فكثير من الدول الاوربية ترى ان الحق الى جانب العرب •• وترى أيضا ان المصلحة والفائدة المادية فى صداقة العرب •• وان ما تدفعه الدول العربية للمصانع الاوربية أضعاف ما تدفعه اسرائيل !

هل كسبت أمريكا شيئا ؟

ان امريكا نفسها لم تكسب شيئا سوى اسرائيل ولذلك فاسرائيل بمعونة أمريكا العسكرية والمالية تقف عفريتا فى الارض العربية تخيف العرب ــ كانت تخيف العرب •• فأصبحت اسرائيل أكثر انعزالا فى الشرق الأوسط •• ثم هى مطرودة من الدول الافريقية واحدة بعد واحدة •• ثم هى منبوذة من الدول الاوربية التى لها مصالح لايمكن التضحية بها من أجل غطرسة يهودية وحماقة أمريكية !

وكلمة أخيرة لها معنيان : الوحدة •• الوحدة العربية المتينة •• والوحدة الافريقية الرائعة •• والوحدة الاوربية الباهرة •• ثم « الوحدة » الاسرائيلية ومعناها : العزلة :

وسوف تكون هناك معان أخرى كثيرة كلها ليست فى صالح العملاق والقزم الذى يركبه !

مفاجأة سارّة.. تنتظرهم جميعا !

عاد من الخارج كثير من الطلبة .

كانت مفاجأة لهم ما حدث يوم ٦ أكتوبر . كل واحد يروى قصة . وكل القصص مفرحة . وقد استمدوا سعادتهم الكبرى من دهشة الناس :

كيف حدث ؟

أى كيف أنه استطاع المصريون أن يحققوا هذا النصر . والدهشة سببها أن أحدا من الأوروبيين لم يصدق أن يقدر المصريون على شىء من ذلك . لأن اسرائيل قد اقنعت العالم كله ان كل شىء فى الشرق الأوسط قد سكن تماما . فهذه الشعوب العربية لا تعتدل وتستوى وتستقيم الا بالكرباج . واسرائيل هى هذا الكرباج !

ودهشة أيضا سببها ان أحدا لم يكن يصدق ان اسرائيل تراجعت الى الوراء ، وتحت الأقدام والدبابات هذا العدد

الهائل من ضحاياها : سادة البشر والشعب الذى اختارته السماء ليسود العالم • ولينتصر فى كل معركة يخوضها من أجل ان تتسع مساحة الارض التى سوف يقيم عليها معبد سليمان من النيل الى الفرات • كخطوة أولى !

وفى اسرائيل نفسها دهشة أكبر من دهشة العالم كله ، وأصابع طويلة تتهم القادة العسكريين بالاهمال والغرور والكذب والتستر جريمة الهزيمة ، وعلى خطايا الضحايا من العسكريين • ولن تنتهى هـــذه الاتهامات •• ولن تكف الامهات عن البكاء أمام مكتب رئيسة الوزراء وهن يقلن : كيف تأتين بنا من كل مكـان فى العـــالم ليموت أولادنا برصاص المصريين والسوريين ؟ لقد كنا سعداء قبـل أن نجىء الى أرض اللبن والعسل !

لذلك كان الشبان العائدون من الخارج ســـعداء بما سمعوا هناك وما رأوا ، وسوف تتضاعف ســعادتهم بما سيرون ويسمعون فى مصر •

وأنا أعرف جيدا مدى ســـعادتهم ، لاننى ذقت طعم التعاسة عندما سافرت الى أوروبا بعـــد النكسة بأيام • عرفت معنى أن تتحول الدنيا كلها الى عيون تغمز وألسنة تلمز • وعندما كانت كلمات العطف لها طعم السم وعندما اشتركت فى مناقشات هى من نوع المحاكمات •• وتنتهى

المحاكمات دائما بادانتى مع النصـيحة بأنه لاداعى لان ندخل فى حرب مع اسرائيل مهما كانت حقوقنا مشروعة • فلا حق لا تسنده قوة • أو لا حق مع قوة •• لان القوة هى الحق • ولذلك فاسرائيل معها الحق دائما • لانها قوة متفوقة على العرب دائما !

وكان ذلك قبل ٦ أكتوبر أما بعد ذلك فسوف نسترد حقنا بقوتنا •

والله معنا !

يا إسرائيل
تغيّري وغوري

حتى لا ننسى فان اسرائيل قد غيرت كل شيء بعـــــد انتصارها سنة ١٩٦٧ •

فأقامت سياستها وعسكريتها على أن مصر يمكن هزيمتها ــ دائما ــ فى ساعات أو فى أيام • أما كيفية هزيمة مصر فيتم ذلك عن طريق الجو • أى ضرب المصريين من فوق ، دون أن يستطيع المصريون اصابة أحد من اليهود • وان مصر لن تجد أحدا يقف الى جوارها • فلا أحد عنده أى استعداد لان يناصر شعبا كثير الكلام متكرر الهزائم •• ولأنه متكرر الهزائم فلن يستطيع أن يرفع رأسه •• لا هو قادر علىأن يرفع رؤوس كل العرب ، والمصريون ــ هكذا شعب يثير العطف ولا يستحق الاحترام اذ كيف نحترم شعبا له حقوق وعدده بالملايين وأشقاؤه بعشرات الملايين • وعنــده قناة وعندهم آبار ، ولا يستطيع أن يضحى بكل

شيء من أجل تحرير أرضه واحترام نفسه ليزداد الآخرون احتراما له !

واعتمدت اسرائيل على أن المصريين ماداموا قد انهزموا بصفة دائمة فسوف يقفون وحدهم •• مصر وحدهــــا والعرب كلهم ممزقون !

وأهم من ذلك كله أنه مع العرب جميعا لا شيء غــير سياسة القوة •

وقد كسبت اسرائيل بقوة ماحدث سنة ١٩٦٧ مساحات من الارض هائلة ، وكسبت أعجاب العالم كله •• وأهم ماكسبته اسرائيل هو احترام اليهود فى العالم • فقد أيقن هؤلاء اليهود أنهم عندما أعطوا فلوســـهم لاسرائيل فلم تلقها فى سيناء وتهرب •• بل احسنت استخدامها وكانت هذه النتيجة الباهرة • ومعنى ذلك أن يهود العــــالم اذا هاجروا الى اسرائيل فلا خوف عليهم من العـــرب • لان الحرب مجرد فرقعة وضوضاء بعض الوقت ، ثم يهدأ كل شيء بعد ذلك !

وأعلن الرئيس السادات أمس لكل صحف وميكروفونات وشاشات العالم وبمنتهى العزم والحـــزم ، ان اسرائيل يجب أن تغير تصورها للموقف ، وأن تتغير بعد كل ما حدث لها يوم ٦ أكتوبر • وأعلن الرئيس السادات مصر مستعدة أن تحارب عشر سنوات أخرى فلا شيء أعز علينا من حريتنا

وعدالة قضيتنا .. وقد ضحت مصر بالكثير وعلى استعداد لمزيد من التضحية . ولكن اذا تحقق كل شيء بغير دماء فنحن دعاة سلام .

وما كان من الممكن أن يتحقق لمصر كل هـــــذا النصر عسكريا وسياسيا لو لم يكن هذا الجيش الباسل وهـــذه السياسة الحكيمة وهذه الوحدة الرائعة للاشـــقاء العرب

هل كسبت امريكا الدول الغربية ؟
ملوكا ورؤساء وصداقة السوفيت وصداقة الدول الافريقية وموضوعية وحياد الدول الاوروبية .. ولم يكن ذلك فى حساب اسرائيل .

... فيا اسرائيل تغيرى أو غورى !

لا سواح
ولكن "نواح" !

من حوالى ١٧ عاما رأيت « حائط المبكى » فى القدس • وأنا أعرف كل شىء عن هذا الحائط • من الذى بناه • ومن الذى هدمه • وكم عدد العمال •• وكيف أن مهندسا ليس يهوديا قد صمم معبد سليمان الذى سقط أكثر من مرة ولم يبق منه الا هذا الحائط •• ومن الذى سرق منه الذهب •• وكيف حاول المليونير اليهودى الفرنسى ادمون روتشيلد ان يشترى الحائط بما حوله من البيوت العربية •

وأمامى الآن أكثر من كتاب عن الدعاية السياحية الاسرائيلية •

ومن أهم معالم السياحة فى اسرائيل : حائط المبكى وصخرة ماسادا وقبر الخليل وقبر يوشع ووقفة حزقيال وأين تزوج سليمان وأين ذهب داود يفكر فى مستقبل اليهود •• والطريق الذى سار فيه ابراهيم •• وأين مات ودفن موسى •• وأين وضع موسى جثمان النبى يوسف

الذى حمله معه يوم خرج من مصر سنة ١٣٢٢ ق ٠ م فى عهد الملك رمسيس الثانى ٠

والبحر الميت لماذا هو ميت ٠٠ وكيف يمكن احياء هـذا الميت عن طريق استخراج الاملاح منه ٠٠ وفى شمال البحر الميت توجد المغارات التى عثروا فيها عـلى « مخطوطات البحر الميت » ٠٠ وقد رأيت هذه المخطوطات عندما عرضتها اسرائيل فى جناحها فى المعرض الدولى ببروكسل ١٩٥٧ ٠

وعشرات الاماكن بل ألوف الاماكن وبعبارة واحدة فان الدعاية الاسرائيلية تؤكد لكل أجنبىيزورها أنها استطاعت ان تحتفظ بالاحجار والهواء والسحب تماما كما كانت من ألوف السنين ٠

وليس على السائح الاجنبى الابله الا أن يعطى أذنه لشركات السياحة ويدوخ من عطر التاريخ !

واسرائيل تعتمد فى المقام الاول عـلى الدعاية الهائلة وتستفيد مئات الملايين سنويا من هذه السياحة الدينية ٠٠ وكانت تضيف الى الآثار الدينية آثارا عسكرية ٠٠ فبعد ١٩٦٧ كانت تدور بالسياح حول الاسلحة المصرية وحـول المدافع التى استولت عليها اسرائيل ٠ وكسبت كثيرا جدا من السياحة العسكرية ٠

وفى الكتاب الذى فى يدى وعنوانه « اذهب الى الارض المقدسة لتعود سعيدا » ٠٠ يقول المؤلف :

« واستطاع اليريش الاسرائيلى أن يهزم الجيش المصرى فى ستة أيام •• ولولا أن خطأ بسيطا فى الحساب قـــد وقعت فيه القيادة الاسرائيلية لتم لنا النصر فى خمسة أيام فقط ! » ــ منتهى الغرور والغطرسة !

أما السياحة الآن فى اسرائيل فلن يجرؤ صاحب شركة على أن يوزع منشورا واحدا فالاحزان قد عمت كل بيت آلوف الجرحى والقتلى والاسرى •• ولايزال الموقف ملتهبا والسلاح يتكدس على الجانبين •• ولا يلومنا أحد • فهذه أرضنا ونحن لا نطلب شبرا واحدا بعد حدودنا !

إنهم يخافون الحرب والموت!

اسرائيل تستعد للعدوان علينا .

كل شيء يدل على ذلك . فالسلاح قد تكدس عندها بكميات هائلة .. بأكثر مما تحتاج اليه .. وقواتها تتحرك وقيادتها تتغير .. أى أن هناك خططا جديدة . وجولدا مائير مندهشة جدا من هذه الارقام : ٢٢ أكتوبر . لانها لا تعرف بالضبط ما الذى حدث فى هذا الشهر ولا فى هذا اليوم . ومندهشة أكثر كيف يمكن أن تعود الى الوضع الذى كانت فيه قواتها فى ذلك اليوم .

وفى الوقت الذى تطلب فيه تسليم الاسرى أو تبادل الجرحى ، تفتك بالمدنيين المصريين وتحشدهم بالمئات ، على أنهم أسرى حرب . وتعاملهم بمنتهى القسوة بالضرب والتوجيع والنوم فى العراء ورفض علاج الجرحى منهم .

ومن المضحك جدا أن اسرائيل تشير الى القوانين الدولية واتفاقيات جنيف الخاصة بمعاملة الاسرى والجرحى

والمدنيين • ولكن أين كانت هذه القوانين سنة ١٩٦٧ ••
وأين كانت هذه القوانين فى الايام القليلة الماضية ؟

ان اسرائيل لم تتغير • فلا عهـــد ولا وعد ولا قانون ولا مبدأ لها فى جميع العصور • انهـــا فقط تتحدث عن القانون اذا كان يخدم أهدافها ، وتدوس القانون اذا وقف ضدها •• ولم يحدث قط ان التزمت اسرائيل بأى قانون ، لا فى الماضى ولا فى الحاضر ولا بعد غد •• وكل ما يقال عن السلام : كذب وكل ما يقال عن انطفاء النار : خداع • فهى لم تتوقف عن العدوان على المدنيين والتعرض للعسكريين منذ وقف اطلاق النار •

ثم ما الذى تغير فى « المقاتل » الاسرائيلى ـــ أقصـــد « القاتل » الاسرائيلى ؟ لا شىء تغير •• أنه هو هو •• مصاص الدماء •• الوحش ابن الكراهية والحقد ، حفيد الذل •• طريد كل الشعوب فى كل العصور •

واسرائيل تستدرج وراءها أمريكا • وأمريكا تهـــدم ما بينها وبين أوربا الغربية •• ولا يهم أن تتواجه أمريكا وروسيا •• أو تتواجه أمريكا وأوروبا •• أو تنعزل أمريكا ـــ أو يحترق العالم كله •• فاسرائيل لا تريد الا خراب العالم كله •• وقـــد خربت العالم عـــدة مرات •• ولها مؤامرات معروفة فى كل التاريخ الاوربى القديم والحديث واسرائيل ـــ أو عصابة اليهود العالمية ـــ على استعداد

دائم لتوريد مؤامرات ومذابح بشرية فى كل وقت •

والشعب اليهودى شعب قلق •• لن يهدأ اذا كان لديه المال •• اذا وجد الارض أو لم يجدها •• ولذلك فالشعب اليهودى لا يعرف السلام •• لا هنا ، ولا فى أى مكان آخر !

انهم يخافون أن تبيدهم الشعوب • ولذلك يخافون الحرب •• ولكنهم لا يستطيعون الا أن يثيروا الشعوب عليهم لتحاربهم وتقضى عليهم •• انهم شعب منتحر ، يخاف الموت ولكن يحرص عليه فى نفس الوقت !

لا مفاجأة لنا .. بعد اليوم !

الشعب اليهودى يسأل وجولدا مائير يجب أن ترد على هذه الاسئلة :

أين الاسرى ؟ أين الجرحى وكم عددهم ؟ وكم عدد القتلى ؟ ومن هو المسئول عن فضيحة بارليف ؟ وكيف أصبحت القوات اليهودية فى الضفة الغربية للقناة جيبا فقط ؟ لماذا لم تنقض اسرائيل على السويس جنوبا وبور سعيد شمالا ؟ ثم هل صحيح ان اسرائيل سوف تنسحب من خط ٢٢ أكتوبر ؟ الا تخاف اسرائيل لو انسحبت مرة ان يؤدى ذلك الى انسحابها من كل الخطوط :

خط ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ ثم تظل تنسحب الى التقسيم ومن التقسيم الى أن يلقيها العرب فى البحر ؟ ثم اذا انتصر العرب فى هذه الحرب فلا نهاية لانتصاراتهم بعد ذلك .. ولا نهاية للوحدة العربية ولا نهاية للعداء الاوروبى ضد اليهود ولن يدخل افريقيا يهودى واحد ! وما الذى تستطيع

أن تفعله اسرائيل لكى تقنع العالم كله بعدالة قضيتها وبأن العرب هم الذين يريدون القضاء عليها !

ويتساءل اليهود أيضا : متى ، ان لم يكن الآن ، نضرب المصريين على رؤوسهم حتى لا يقوم للعرب رأس أو أمل ؟ لابد من عمل شيء يؤدب العرب ! لابد من عمل شيء يعاقب العرب على أنهم تجرأوا ووقفوا واتحدوا وحاربوا من أجل تحرير أرضهم ؟!

ولا جواب عن كل هذه الاسئلة الا بكلمة واحدة : الحرب ضد العرب بكل أسلحة أمريكا •• ضد العرب وبترول العرب ومساندة أوروبا وصداقة افريقيا •• والا سقطت حكومة جولدا مائير ، وسقطت هيبة أمريكا • أليست اسرائيل احدى الولايات الامريكية المتقدمة التى اقيمت من أجل تفتيت العرب ومن أجل أرهاب أصحاب الآبار ، ومن أجل تمزيق الصداقة السوفيتية ، وتدمير الاسلحة السوفيتية ، وقطع الايدى التى تمسكها وتصوبها نحو قلب اسرائيل •

واسرائيل سوف تحارب •• واذا كانت لم تفلح فى تخويف الجيش المصرى ، فلتحاول أرهاب المدنيين المصريين • وأنا لا استبعد أن يقوم عدونا المجرم بضرب القاهرة والاسكندرية وطنطا والمنصورة وأسوان • فتقطع المياه والكهرباء والمواصلات • ولو فعل ذلك فانه يكون قد

أدى عملا جليلا لمصر كلها •• هنا فقط يزداد شعور الشعب كله أنه فى حرب •• وأنه يعيش تماما كالجنود الابطـــال يزحفون على الرمال تحت النار فى الظلام والبرودة • هنا فقط نكون جميعا جيشا واحدا •

وتكون حربنا شاملة تماما كالدول العظمى وكالشعوب التى تفنى نفسها من أجل حريتها وكرامتها •

ولكن اسرائيل لن تفعل ذلك حتى لا يتحقق هذا الهدف العظيم !

واذا صبت اسرائيل حقدها وغضبها عـــلى الجيوش العربية ، ونحن نعرف ذلك ، فلن تكون مفاجأة لاحد •• بل اننا فى انتظار المعركة الطويلة التى سوف تقضى على اسرائيل وتبقى علينا ، ان شاء الله !

ما حدث ...
ليس معجزة ؟!

جاء دورى فى الكلام فقلت : اننى رأيت ألمانيا الغربية أكثر من عشر مرات •• رأيتها خرابات •• ورأيتها سراديب تحت الأرض •• ورأيت الناس لا يجدون اللقمة ولا الكوب ولا النفس من سيجارة •• ورأيت ألمانيا وكأنها اختفت تحت الارض •• ثم ظهرت بصورة سحرية على سطح الارض كاملة رائعة تؤكد عبقرية الشعب الألمانى •

ان معجزة حققتها ألمانيا !

كان ذلك فى حفلة أقامها اتحاد مستوردى الأرز فى مدينة همبورج بألمانيا سنة ١٩٥٧ • وجلست مستريحا الى ما قلت • واعتدلت فى جلستى أتوقع الكثير من الامتنان على ما قلت • فأنا شاهد على هذا التطور الهائل فى العمارة والصناعة والاناقة والأدب والفن والحياة الألمانية !

ونهض أحد الألمان ليرد على كلمتى ــ طبعا بأحسن منها ــ ونظرت الى الوجه • أنه ملىء أحمر • والعينان

لامعتان والشعر تهدل على الوجه • واليدان مشدودتان • وبسرعة برقت العينان أكثر • وتحولتا الى مصابيح كاشفة وفجأة أصبحت أنا هدفا لمدفعية ثقيلة من الكلمات • قال الرجل :

لا ياسيدى •• ان المنديل الذى كنت أمسح فيه أنفى كنت أمسح به وجهى •• اننى حملت أمى على ظهرى مائة كيلو متر •• اننى لم أعرف المصباح الكهربى الا أخيرا •• اننى لم أكمل الرغيف الا حديثا •• اننى لم أضع ساقا على ساق الا عندما أصبح لى مقعد وثير •• فى بيت اقتصادى والا بعد ان دبرت القسط الاول من البيت •• انها ليست معجزة ياسيدى !

وجلس الرجل • وبصراحة لم أفهم ما الذى أراد أن يقوله •• واستوضحته لكى اعتذر عن هذه الغلطة الفظيعة التى ارتكبتها عندما أردت أن أمدح ألمانيا شعبا وأرضا ومواصلات وطعاما وأدبا وفنا !

أما غلطتى فى نظر هذا الرجل الالمانى الجاد جدا هــو اننى استخدمت كلمة « معجزة » •• ومعجزة معناها ــ ولم أكن أقصد ذلك ــ ان قوة من السماء قد انقذت ألمانيا •• وأن الشعب ليس له هو دور • السماء هى التى ساعدتهم • وهم لم يساعدوا أنفسهم • أو معنى المعجزة ان أحدا لم يكن يتوقع أن تصل ألمانيا الى ما وصلت اليه •

أو بعبارة أخرى : ان الالمان تعبوا وصبروا واستمروا حتى تحققت هذه الانجازات التى هى أقرب الى معجزات السماء !

ولذلك غضبت بالامس عندما قال لى أحد الصـحفيين الأجانب : ان العبور معجزة !

واندهش الرجل كيف اننى غضبت من هذه الكلمة التى قصد بها التحية العظيمة للشعب المصرى والجيش المصرى وانتهزت هذه الفرصة لأروى له نفس القصة !

فالذي حدث لمصر وفى مصر سوف يحدث بعد أيام ليس معجزة ، ولكنه كالمعجــــزة : علم وفن ودراسة وتدريب وتدبير وصمود حتى النصر باذن الله •

كل هذا
لأننا انتصرنا !

« من معه يعطى له ، ومن ليس معه يؤخذ منه » — احدى آيات الكتاب المقدس .

ومعناها أن الناس يتطوعون لاعطاء الغنى مزيدا من المال الذى لا يحتاج اليه والفقير يستكثر عليه الناس المليم الواحد رغم حاجته الشديدة اليه .

فلأننا نجحنا فى العبور يوم عيد التكفير عند اليهود يعيب علينا بعض المعلقين العسكريين قائلين: اننا أخطأنا فى اختيار يوم وساعة العبور . فلو تقدمنا قبل ذلك بعشرة أيام لكنا سحقنا اليهود سحقا . فقبل ذلك بعشرة أيام كان عيد رأس السنة اليهودية . وهذا العيد يستغرق ثمانية أيام . وفى هذه الايام يتفرق اليهود فى كل مكان فلا يدرى واحد أين يوجد الاخر .

ويقال لنا غير ذلك أيضا : آه لو انتظرنا خمسة أيام أخرى .. ثم عبرنا .. لكان حظنا أعظم وأروع . لانه

يصادف عيدا آخر هو « عيد المظال » أو عيد المظلات .. أو عيد الخيام . فهذا العيد كان يحتمى فيه اليهود بفروع الشجر والخيام عندما خرجوا من مصر سنة ١٢٢٣ قبل الميلاد . وهذا العيد يستغرق ثمانية أيام .. أما اختيارنا لعيد الكفارة ، فأجازة هذا العيد يوم واحد فقط . ومن السهل على اليهود أن يعرف الواحد منهم مكان الاخر .

هذا كله يقال لاننا انتصرنا فى ذلك اليوم . فالناس يتطوعون ويتبرعون لنصيحة القيادة السياسية فى مصر!

ولكن آه لو فشلنا فى العبور .. آه لو اشتعلت السماء بالنار وذابت الارض بالدم ولم نبلغ الشاطىء الشرقى ولم نترك وراءنا خط بارليف .. آه لو حدث ذلك لقال لنا ألوف الناس : نفترض أن هؤلاء اليهود لا يحترمون المقدسات ويهدمون المساجد ولا يرحمون الجرحى أو المرضى أو يقتلون الاسرى .. فمن الواجب أن تؤكدوا للعالم انكم أفضل .. ماكان يجب أن تعبروا يوم العيد ، لقد أردتم أن تجعلوهم يكفرون عن خطيئة العدوان عليكم .. فجاء دوركم لكى تكفروا أنتم عن هذه الخطيئة خطيئة تحريركم لارضكم .

ولكن النصر ولذة النصر هو الذى يجعل الجميع يقفون الى جوارنا .. ويجعلنا نحن نحس بأن نجوم السماء

قذائف نار تتساقط على أعدائنا .. النصر هو الذى يجعل رجالنا يحسون أن السماء قد جندت ملائكتها فى صفوفنا ويجعلهم يلمسون الصخور مظلات واقيـــة من الشمس ومن النـــار .

فاللهم انصرنا على عدونا لتمتلىء الدنيا من حولنـــا نارا عليهم وبردا وسلاما علينا .. انك نعم المولى ونعم النصير !

الوزير كسنجر
صناعته الكلام!

لا أعرف ماالذى سوف يستنتجه د. هنرى كيسنجر من كل ماقيل له عن الاهرام وأبى الهول ، ولكن ليس من الصعب أن يعرف مرة أخرى أن مصر أم الحضـــــارة القديمة . وأن هذه الاهرامات لا تزال مصـــدرا لاسرار الكون . وأن العلماء الامريكان الذين يرصدون الاشعـــة الكونية تحت الهرم الثـــانى يريدون أن يعـــرفوا ما هى الحكمة من بناء هذه الاهرامات . فليس من المعقول أن يكون الشعب المصرى المتحضر قد أقامها مقبرة للملوك ، فأى ملك أيا كانت دولته وأيا كان عرشه يكفيه من الارض مايكفى واحدا من خدمه ـ نفس النـــومة تحت الارض ونفس التجويف الترابى ونفس النهاية !

ولكن أعتقد أن من كل مايقال لوزير خارجية أمريكـــا سوف تهز أذنه ورأسه وخياله كلمة واحدة هى: الترميم، ومعناها اعادة المعبد أو المقبرة أو الهرم أو أبى الهـــول

الى الشكل الذى كان عليه (تقريبا) يوم فرغ منه المهندس المعمارى أن الفنان أو الطبيب • أو بعبارة أخرى: فان الترميم هى محاولة تجديد •• أو الحرص على الماضى ، أو اطالة عمر العمل الفنى أو الهندسى المعمارى •

وكلمة (ترميم) هذه لها دلالة خاصة عند وزير خارجية أمريكا • فهو أيضا قد اشتغل بدراسة (ترميم) العلاقات الدولية •• أو العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الشعوب •• ففى سنة ١٩٥٧ أصدر كتابا هاما عنوانه (ترميم العالم) أو (عالم أعيد ترميمه) وكان موضوع هذا الكتاب : كيف كانت العلاقات الدولية فى أوروبا فى القرنين ١٨ و ١٩ • وقد اختار د• كيسنجر شخصية باهرة فى ذلك الوقت : مترنيخ سفير النمسا فى دول كثيرة ووزير خارجيتها وساحرها القادر على اعادة العلاقات بين الدول التى تجاورت وتوارثت العداء مئات السنين • بعض هذه العلاقات كانت واهية مثل نسيج العنكبوت وبعضها كانت متجمدة كالحديد والصلب • واستطاع مترنيخ — وكيسنجر أيضا — أن يربط خيوط الحرير وأن يلحم أسلاك الحديد ، وأن يجمد القنوات المائية بين الدول •• فهو فى بعض الاحيان يستخدم التبريد فى التخدير وفى أحيان أخرى يستخدم الاوكسجين فى اللحام •

وقد أثبت كيسنجر الفائز بجائزة نوبل للسلام ، قدرته

على هذا النوع العجيب من ترميم الجسور الهـائلة بين أمريكا وروسيا وأوروبا الغربية •• وبعد غد بين اسرائيل والعالم العربى كله •• وبين اسرائيل والعالم كله •

فاذا فعل ذلك كيسنجر ، يكون قد اقترب من مثلـه الاعلى مترنيخ : صانع المعجزات الدولية عبر القنـوات الدموية !

يمكن أن نكسب الكثير جداً

كل من يريد الخير لمصر ، ونحن جميعا نريد لها ذلك ، يستطيع أن يحقق كل أحلامه • ابتداء من تقديم كوب لجريح الى كنس الارض التى أمام بيته ، والشارع الذى فى الحى المجاور له •• ووضع طوبة فوق الاسمنت فى كل منطقة قناة السويس •• فمن أجل التعمير والحياة والرفاهية والسلام مات أبطالنا تحت النار فى سيناء وفى بورسعيد والسويس والاسماعيلية •

ونحن الآن ، هذه الأيام ، نحقق السلام خطوة خطوة ونحن أدرى بظروفنا •• ونحن أقدر على فهم مشاكلنا والصعوبات المعقدة جدا التى تواجه مصر والأمة العربية ، وبسبب هذه الصعوبات الكثيرة يجب أن نتساند جميعا وبقوة وبصدق وصبر • وأن يفعل كل واحد منا ما يقدر عليه فى كل موقع •

أما الجنود فيعرفون مايفعلون •• وهم أكثر دراية

بأبعاد القوة المعادية ، وهم صابرون صامدون ومنتصرون باذن الله •• أما نحن الذين فى الجبهة الداخلية فالمطلوب منا كثير جدا •• وأول مانطلبه من أنفسنا هو الايمان والاعجاب بأبطالنا الذين يقدمون أغلى مافى الحياة من أجل مصر •• انهم يواجهون النار والدخان والانفجار والموت وحدهم ، بلا جمهور يصفق لهم •• بلا أضواء عليهم •• وانما ينادون الله أن ينصرهم من أجلنا •• ومن أجل مصر ومن أجل كرامة الامة العربية كلها •• فهم فى أعلى مكان عندنا وعند الله •

بقى أن نعلو الى مستوى الذين ذاقوا جهنم العطش وزمهرير الجو ، ولسع الرمل ، ووخز الحجر فى الخنادق وعلى التلال ، ونفوسهم راضية مؤمنة بأن الكرامة فوق الحياة ، والوطن تهون من أجله الحياة •

اننا نحن الذين نعيش وراء الخطوط بمئات الخطوط لم نضح بشىء •• لم نفقد شيئا • الماء فى الانابيب ، والضوء فى المصابيح وفى الشوارع •• الجسور سليمة ، العربات فى كل مكان •• الدواء والطعام والمتعة والامان ، كل شىء فى مكانه وكما تعودنا أن نجده • كأن حربا لم تشتعل على حدودنا وعلى أرضنا •• كل ذلك لان مئات الالوف من أبطالنا قد تولوا هذا العذاب بالنيابة عنا •• لانهم هم الذين ماتوا لنعيش ، هم الذين سهروا

لننام ، هم الذين ابتعدوا على الابنة والزوجة والام •
وابتعدت عنا أفواههم وآذانهم وأيديهم •• كل ذلك من
أجل أن يعيش ملايين المواطنين فى هدوء وسلام •

ان معركة البناء والتعمير والتعليم قد بدأت من جديد،
ويجب ألا تتوقف •• بل أن انتصارنا يوم ٦ أكتوبر لدليل
على أن هذا النصر قد تحقق لاننا لم نغمض لحظـــة عن
الهدف •• واتخذنا الطريق اليه بنور العلم وقوة الايمان
وسعادة الامل فى أن يكون يومنا أحسن من أمسنا ، وأن
يكون غدنا أروع الايام !

الغد أروع من اليوم والأمس!

العالم كله قد أعجب بمصر جيشا وحكومة واعلاما وشعبا ، وسبب هذا الاعجاب اننا استطعنا أن نحقق شيئا كبيرا • وهذا الشىء الكبير كان له صداه العظيم فى كل البلاد العربية • وما كان هذا الشىء العظيم يتحقق لولا اصرارنا وعلمنا بأبعاد قدرتنا وقدرة العدو • ولولا هذه الوحدة الرائعة للدول العربية الشقيقة ومساندة الاتحاد السوفيتى • وفى نفس الوقت تمرد الدول الغربية على غطرسة اسرائيل وانقياد أمريكا للمنظمات الصهيونية البرلمانية •• ولكن فى الدرجة الأولى : أننا أصبحنا أقوى وأفضل وأعقل •

بقى أن نكون أقوى مرة أخرى وأن نكون أكثر صبرا وأكثر دبلوماسية •

فالذى كسبناه ليس قليلا • والذى نستطيع أن نكسبه أكثر • والذى يمكن أن نخسره لا حدود له •• فاذا كنا

قد نجحنا بفضل الصمود ، فحاجتنا الى الصمود الآن أشد ، واذا كنا قد نجحنا بفضل الوحدة ، فضرورة الوحدة حيوية اليوم وغدا أكثر من أى وقت مضى فى تاريخنا الحديث أو القديم ، واذا كنا قد أقنعنا الدول الافريقية بعدالة قضيتنا ــ وهى عادلة ــ فاننا فى حاجة الى أن تبقى افريقيا الى جانبنا • واذا كانت الدول الاوروبية قد آمنت الآن بأن اسرائيل قد أرقت العالم وتريد بعنادها أن تقضى على ملايين الاوروبيين فى هذا الشتاء ، وأن تسد الاسواق العربية والافريقية فى وجه الصناعات الاوروبية ، فيجب أن نحرص على هذه الكنوز المعنوية حرص أوروبا على كنوزنا المادية •

وأهم من ذلك ألا ننسى أن اسرائيل سوف تعاود كل دسائسها ومؤامراتها وأن اسرائيل تريد ألا يفرح العرب بانتصارهم العظيم • وتريد أن تمزق الشمل العربى • وتريد أن تستدرجنا الى خطأ سياسى أو دبلوماسى مع الدول العربية •• وأن توقع بيننا وبين الدول الافريقية • ولن تتوقف المنظمة الصهيونية العالمية الارهابية عن أن تحطم أقواس النصر • وفى نفس الوقت أن تبكى على ما أصابها •• فاليهود شعب لا يتعب من البكاء والشكوى وفى نفس الوقت سوف يتآمر على الذين أثار شفقتهم •

والذى أريد أن أقوله اليوم وغدا ، وأن نقوله جميعــا لانفسنا صغارا وكبارا ، عســكريين ومدنيين ، مصريين وأشقاء للمصريين هو: اننا فى حاجة الى مزيد من الحذر، والى الصبر أكثر من أى شىء آخر ، وألا نفقد ايماننـــا بأنفسنا بعد ايماننا بالله !

أكبر مهارة
لليهود فى التاريخ!

الزعيم الصهيونى جولدمان يقول: أن اليهود فى العالم سيواجهون نوعا قديما من العزلة • وهذه العزلة سـوف تؤدى الى القضاء عليهم!

وهذا المعنى قد أشرت اليه أكثر من مرة ، فى أكثر من مقال فى «الاخبار» و «أخبار اليوم» و «آخر سـاعة» وربما تفوت عبارة الزعيم الصـهيونى جولدمان على القارىء العربى دون أن يتنبه الى أى درجة هى مفزعة• ولكنها بالفعل مروعة لليهود فى اسرائيل وفى كل مكان • فقد عاش اليهود ألوف السنين فى عزلة تامة فى كل بلـد يعيشون فيه • وهذه العزلة فرضت عليهم كراهية الناس وعدم الاطمئنان اليهم • ولذلك كلما وقعت كارثة وطنية فى أى بلد ، استشعر المواطنون أن اليهود هم السبب ، أو هم الجواسيس ، أو هم الخـونة •• أو هم هؤلاء

الناس الذين لا يشاركون أحد فى مصـــابه • وانما هم يستفيدون من كل نكبات الشعوب • فهم تجار الحــرب وتجار السلام وهم الوسطاء والسماسرة والقـــوادين والطفيليون على الحافة بين القــانون والخـــروج على القانون •

والتاريخ كله من أوله لآخره به مئـــات الالوف من الصفحات ومئات الالوف من القتلى والمشوهين والمحروقين من اليهود • والذنب ذنبهم • والجــريمة من صنعهم • ولا أحد يلام على ذلك • فهم الذين اختــاروا العــزلة وفرضوها على أنفسهم ، ثم هم يبكون على ذلك وعلى ما أصابهم •

ومن أحلام اليهود الطويلة أن تكون لهم أرض • ومن اختراعاتهم أن الشعوب اذا كانت قد رفضتهم ، فــان الرب قد اختارهم • فهم شعبه المختار • وهو الذى اختار لهم الارض رغم أنف وعين وأذن وعقل ومعدة الشعوب الأخرى • وصـــدقوا خرافاتهم واستطاعوا أن تكون لهم أرض مسروقة • وأن تكون لهم حكومة ارهابية ومنظمـــة صهيونية • وأن يســـــيطروا بأموالهم على المنظمـــات الدستورية والسياسية والاعلامية فى دول عظمى مثـــل أمريكا •• ومن أمريكا يستمدون المال والسلاح لتحقيق أحلامهم المجنونة •

ولكن حدث لهم شىء مخيف: ٦ أكتوبر من هذا العام، ولسنا فى حاجة الى أن نعيد مايقولونه • انهم فى مأتم كبير • وكل يوم يعلنونه للبكاء وللصيام وللصلاة • لماذا؟ انهم قد صدموا فى أحلامهم • وخابت آمالهم فى جنون قوادهم • وأهم من ذلك كله وأخطر أن العالم لا يريد أن يتحمل مصائبهم وكوارثهم • فالعرب اتحدوا ضـــدهم • وأوروبا انفصلت عنهم • وافريقيـــا أنكرتهم • ومصر ضربتهم وسوريا أوجعتهم • ولم تعد اسرائيل الجنـــة الموعودة للمشردين • ولا أرضها آمنه ولا حدودها سالمة، ولا جيشها منيعا •

ولذلك سوف يحدث مايكرهه اليهود جميعا : أن يخاف يهود اسرائيل وأن ينطوى اليهود فى المـــالم قائلين: ونحن مالنا • كفانا عذابا عبر ألوف الســـنين • كفانا كراهية الشـــعوب •• ان اسرائيل يجب أن تعقل وأن تستخدم طوب الترسانة التى تعيش فيها وتحـولـه الى بيوت عادية لحماية أبناء الحوارى المظلمة •

وهذا مايخافه الصهيونى العالمى جولدمان • ولكنـــه لن يتمكن من أن يخدع اليهود والعالم كله فيقـــول لهم: أن العرب لم يضربونا وان العالم يريدنا وأن افريقيـــا لم تطردنا وأن أمريكا ستضعنا على رأسها الى الابد !

ولابد أن يقول لهم : حتى لاتبكوا على أحد ، لا تدعوا

أحد منكم يموت بسلاح العرب •• عودوا الى حدودكم وألقوا سلاحكم حتى لا يتجدد القتال والدماء •• والبكاء والا انطبق العالم كله عليكم وتحولت اسرائيــل الى أكبر حارة يهود فى التاريخ !

تحيات مباركات للجندي المصري

ما الذى يقوله العسكريون الاسرائيليون الآن؟

ان الذى يقولونه شىء جديد .. نغمة مختلفة .

فبعد وقف اطلاق النار مباشرة كانوا يقولون ان الجيش المصرى باغت قواتهم . لان المصريين اختاروا يوم عيد الكفارة . وهو يوم لا يعمل فيه أحد أى شىء .. وانما يجلس الناس فى هدوء يصلون ويطلبون من الرب المغفرة عن خطايا العام . وأقل الناس تدينا يمسك ورقة وقلما ويكتب خطابا الى والدته أو الى حبيبته . والملحدون يمشون فى الشوارع ولا يذهبون الى المعابد . فى هذا اليوم الهام جدا عند اليهود تتقدمت القوات المصرية تحرر أرضها من مجرمى الحرب اليهود !

ومعنى ذلك أن القوات المصرية قد انتصرت وعبرت لانها فاجأت القوات اليهودية فى يوم أجازتها السنوية .

ومعنى ذلك اننا لو هاجمناهم فى أى يوم آخر : ماكان هذا هو مصير القتال ولا كان هذا العدد الهائل من الضحايا . اذن فنحن انتصرنا لاننا نجحنا فى اختيار الوقت ، ولاننا خدعنا اليهود ــ مع أن اختيار الوقت ليس عيبا ؛ والخدعة ذكاء . وكل هذا ضرورى فى المعارك !

وقد عاب علينا كثير من النقاد العسكريين اليهود اننا استعجلنا فى اختيار يوم «عيد الكفارة» لان هذا العيد عبارة عن أجازة يوم واحد . ولو هاجمنا اليهود قبل ذلك بأيام ، أى فى يوم رأس السنة لوجدنا اليهود فى أجازة طولها أسبوع . ولو أجلنا الهجوم بضعة أيام بعد ذلك لضبطناهم فى «عيد الخيام» أو المظلات وهو يستغرق ثمانية أيام .. ولكن المصريين ــ وهذا رأى المعلقين العسكريين ــ قد تعجلوا !

أما النغمة الآن فقد اختلفت تماما . فهم الآن يقولون: ان القيادة الاسرائيلية كانت تعلم بالحشود المصرية والسورية . وكانت قد رفعت درجة الاستعداد فى اسرائيل الى أقصاها . ثم انها استدعت الاحتياطى وان كان هذا الاستدعاء بطيئا بعض الشىء وهذا التباطؤ فقط هو الذى جعل خسائرهم أكبر .

ومعنى ذلك اننا لم نفاجىء اليهود بالهجوم .

ولا خدعناهم • وانما حاربنا قوات قد استعدت تماما • فالقيادة الاسرائيلية تنفى عن نفسها انها فوجئت وانهــا خدعت • ولكنها فى نفس الوقت تثبت لنا مجدا عظيما : اننا هاجمنا جيشا على أعلى درجة من الاســتعداد وأن هذا الجيش المســتعد قد انكسر وانحسر وخسر عشرات الالوف من القتلى والجرحى والاسرى • وهذه تحيـــة عظيمة للقوات العربية جاءت رغم مشيئة العدو •

وعلى كل حال ، فاذا كنا قد تغلبنا عليهم أول الامــر بالحيلة والخدعة ، ثم تغلبنا عليهم رغم اســـتعداداتهم العظيمة فهى تحيات مضـاعفة للمقـــاتل المصرى الذكى الشجاع وان هذا المقاتل الذى أدهش اليهــود وفاجأهم بحسن تقديره وحسن بلائه ، لقـــادر على أن يثبت ذلك بصورة أعظم وأروع ان شاء الله حتى النصر •

الاستعداد لكل شيء حتى لا تكون مفاجأة

الصحف العالمية تردد دموع اسرائيل على جرحاها وموتاها . والمعنى : أن اسرائيل قد خسرت كثيرا جدا . وذلك بسبب استخفافها بالقوات العربية . وانها عندما أدركت حقيقة الموقف لم تتحرك بنفس السرعة .

ولكن فى كل مناسبة يؤكد اليهود أن خسائرهم فادحة من الرجال والمال .

أما الذى تقصده الحكومة القائمة فى اسرائيل فهو انها تريد مزيدا من المساعدات المادية والادبية . وتريد أن تؤكد انها غير راغبة فى أية حرب خامسة . وانها لا تريد الا السلام . وعلى كل الشعوب التى تحب السلام أن تساعدها على الاتفاق مع العرب حتى لا تسيل دماء جديدة فى سيناء . فان من مات من اسرائيل يساوى الكثير جدا بمقارنته بعدد السكان من المدنيين والعسكريين !

ولكن ماالذى تفعله اسرائيل الآن؟ انها تبكى وتحشد السلاح على كل خطوط وقف اطلاق النـــار • وفى نفس الوقت الذى وقعت فيه الاتفاق المبدئى ، لم تلتزم بشىء منه •• فالحكومة الاسرائيلية تعلن انها أطاعت أمريــكا فوقعت الاتفاق ، وأطاعت المعارضة فلم تنفذ شيئا ممــا جاء فى الاتفاق • وتشاجر اليهود مع قوات الطــوارىء الدوليــة • وتعرضــوا للامدادات الغذائية وعطلوها • وعوقوا حركة الدم ــ البلازمة ــ عبر القناة •

وحكومة اسرائيل تريد أن تبدو متشددة متعنتة قبــل الانتخابات العامة فى نهاية هذا العام • وتريد أن تظهــر فى صورة المكرهة المضغوط عليها •• ثم أن هذا الضغط الامريكى لا تستطيع الا أن تستسلم له •

وليس بعيدا أن تقوم اسرائيل بعمل عســكرى عنيف جدا تكسب به أصوات الناخبين • وسوف تعلن فى اليوم التالى اننا نحن الذين بدأنا بالضرب والعدوان عليهــا لان خسائرها فادحة • ولانها لا تريد خســائر أكثر • ولا تريد دموعا أغزر •• انهم هم العــرب فى كل مــرة هم الذين يريدون القضاء عليها !

وسوف يكون من برامج اسرائيل أن تطول مناقشــات السلام فى نفس الوقت الذى تهبط فيـــه نسب البترول المنساب من الآبار العربية •• وسوف تحــاول ، دون

ملل ، أن نؤلب علينا العالم الغربى •• لان اسرائيل تريد أن تسترد مافقدت فى أوروبا وافريقيـا وفى أصـوات الناخبين •

ولذلك يجب أن نحترس الى أقصى درجـة فى الايام القليلة جدا القادمة •• فان حكومة اسرائيل تواجه موقفا محليا وعالميا صعبا • ولا حل لمشاكلها فى الداخل والخارج الا بالقتال والا بأن يكون لها وضع أعنف وأنسب ،

ومعلوماتى اننا قد أعددنا كل شىء حتى لا نفاجأ بعمل اجرامى يهودى جديد !

نحن في وضع أفضل !

نحن فى وضع أحسن وأفضل مافى ذلك شك • وكل شىء سوف يتحرك نحو السلام ببطء • ولكنه سوف يتحرك • واذا كان كل شىء حولنا أو فى اتجاهنا يتحـــــرك فنحن أيضا لسنا فى حالة (محلك سر) وانما نستعد بكل ماعندنا من أسلحة حربية وسياسية ودبلوماسية • لاننا مقبلـــون فى الايام القليلة جـــدا القـــادمة على «مزاد علنى» فى اسرائيل • فالاحزاب سوف تدخل المعركة الانتخابية • وكل حزب عنـــده برنامج • ولابد أن يكـــون البرنامج أساسه: ماالذى يمكن أن تكسبه اسرائيل أكثر من الدول العربية ومن العالم كله بمساندة أمريكا ومساعداتها التى لا حـــــد لهـــا ••

وفى جو المزايدات سوف تتعرض جولدا مائير وحزبها ووزارتها للوم شديد • والذين يلومونها سوف يقدمـــون اقتراحات جديدة لتحسين الوضع • ولكن الذى سيخفف

من شطط هذه الاحزاب جميعا : الضغط الامريكى السوفيتى بانهاء حالة التوتر فى الشرق الأوسط • وفرض السلام فى ظل القوة ــ لان هذا هو الجو الملتهب الذى يستطيع أن يعمل فيه كيسنجر وهو «أستاذ لحام» للعلاقات الدولية • ولكى يتمكن من اللحام لابد من استخدام نار الأوكسجين أصفى وأصح نيران عرفها الانسان •

فروسيا تعهدت وأمريكا تعهدت أيضا • ونحن فى كل هذه التعهدات القاطعة نحترم كل كلمة قلناها • وكل وعد • فحتى عندما تسللت الدبابات الاسرائيلية الى غرب القناة لقيت مقاومة عنيفة جدا ، حتى فكر القواد الاسرائيليون بالعودة بل أن اشارات التقطت لهم وهم يهددون قوادهم بالاستسلام • ثم تلقت هذه القوات دعما كبيرا • هذه القوات تركناها على أساس أن هناك تعهدات بالانسحاب من كل الاراضى التى احتلتها اسرائيل فى سنة ١٩٦٧ أو فى سنة ١٩٧٣ • وهذا هو أهم شرط من شروط مفاوضات السلام الدائم •

وقد قرأت فى صحيفة التايمز البريطانية التى صدرت بالامس أن واحدا من الاسرى اعترف بأنه دخل هذه الحرب قبلها بأيام • وانه اندهش جدا كيف أن هناك حربا واسعة عميقة دامية • فقد قيل لهم فى اسرائيل

أن سنة ١٩٦٧ هى آخر الحروب فى تاريخ اسرائيل وأن بقية مطامع اسرائيل سوف تجىء بالسياسة والدبلوماسية !

اذن نحن أمام احتمالين : أن يسقط حزب مائير فى الانتخابات وهذا معناه أن الشعب اليهودى قد ضاق بأكاذيبها وفشلها هى وقادتها العسكريين . وأما أن تعود الى الحكم وهذا معناه . أن هذه الحكومة رغم فداحة خسائرها هى وحدها ورغم كل شىء آخر ، القادرة على أن تمضى فى تحقيق السلام لليهود الذين يهددون بترك اسرئيل التى لم تعرف الامن والراحة منذ أكثر من ربع قرن . أما اذا تغلب حزب آخر من أحزاب المعارضة فمعنى ذلك أن اسرائيل ستمضى فى معارضة أمريكا فى سياسة فرض السلام على الجميع — ولا توجد حكومة اسرائيلية تقدر على ذلك . الا اذا كانت هذه مناورة أمريكية .

على أى حال نحن نستعد لكل الاحتمالات ونحن فى وضع وطنى وقومى ودولى أحسن وأروع من أى وقت فى تاريخ مصر الحديثة . كل ذلك بفضل الله وفضل رجال مايزالون ينامون ويأكلون ويشربون ويصلون ويقاتلون على الرمال تحت النار !

قوة العرب تملأ الفراغ؟

المزايدات فى اسرائيل بدأت : من الذى أهمل فى صد الهجوم المصرى؟ من الذى لم يستدع الجيش بصورة أسرع؟ من الذى أشار بأن تكون عند خط بارليف بضعة من عشرات الالوف من الجنود بدلا من مئات الالوف ؟ من الذى أودى بحياة أكثر من عشرة آلاف قتيل وعشرات الالوف من الجرحى والاسرى ؟

ثم هذا السؤال الذى رماه وزير العدل المستقيل فى الكنيست على رأس موشى ديان من الذى نفخه الغرور فراح يمضى لياليه مع الغانيات فى تل أبيب وحيفا؟

وهذا الاستعجال فى التحقيق فى سير القتال له عدة أسباب: أن تؤكد اسرائيل لنا أن الذى حدث كان غلطة منها • أى اننا لم نحطم كبرياء اسرائيل عن قصد وتدبير، وانما عن خطأ فى حساباتها • ولذلك لابد أن تحقق مع

القادة الذين أهملوا • ولا يضايقنا كثيرا انها أخطـــأت وانننا استفدنا من هذا الخطأ •• فهـــذا يحدث فى كل معركة • واسرائيل تريد أن تعمق عنـــدنا اننا انتصرنا بالصدفة • وأن القاعدة هى أن ننهزم دائمـــا ، وتنتصر هى دائما • حتى هذا المعنى لا يهم فنحن هذه المرة وكل مرة قادمة قد أعددنا كل شىء لكل الاحتمالات: النصر أو الشهادة فى سبيل الوطن •• أو الشهادة حتى النصر •

وتريد اسرائيل أن تؤكد لنا انها تتعجـل التحقيق فى هذه المأساة لانهـــا تريد أن تعاود القتال • ونحن نعـلم انها سوف تحارب • وانها كاذبة فى دعواها للسلام وانها تريد أن تستدرجنا الى متاهات الكلمات والمناقشـــات القانونية والدستورية وانها ستحرص على أن تتعـــدد أطراف المناقشة يوما بعد يوم •• وتستفيد للمرة الرابعة من وقف القتال ، لتصبح الحدود المؤقتة حدود طبيعية ، وتبدأ المناقشة من جديد بشأن حدود جديدة ــ هـــذه المرة لن يكون ماتريد ! •• بل ماتريد !

أو يكون السبب هو المعركة الانتخابيـــة التى يجب أن تقدم الاحزاب المؤتلفة ــ أى ــ المختلفة ــ ضـحاياها من أجل كسب أصوات الناخبين • ولابد أن يكون المعنى العام عند الحكومة : ان انتصار العرب صدفة • وخطـأ فى الحساب ممكن أن يقع فى أى حرب •• ولابد أن يكون

رأى المعارضة أن هذه أخطاء فادحة تستحق العقـــاب الشديد • وليس أقل أنواع العقاب تنحية القادة والوزراء عن الحكم • والمعارضة تتعجل الضـــحايا • ولن ترضى بتأجيل الانتخابات • والحكومة تتعجل النصر وأن تقــوم قواتها بضربة تعوضها عن خسائرها •

وبين الحين والحين نقرأ فى الصحف الاسرائيليـــة أن المناقشات التى تدور فى الكنيست تدل على أن الحكومة قد نسيت أن أشياء كثيرة قد تغيرت فى المنطقة العربيــة •• وفى العالم كله • وأن الاستفادة الخاطفة من كل هــذا لن تتم بهذه السرعة المطلوبة • الا اذا كانت قوات اسرائيل تتحرك فى الفراغ ــ ولم يعد الشرق الاوسط فراغا •• ولكنه امتلأ بالقوة والايمان بالنصر فى النهاية !

ابتسامة وسط عواصف الهموم!

وسط أحداث العالم كله نشرت الصحف والمجـــلات العالمية أخبار وصور زواج الاميرة آن بنت ملكة بريطانيا وزوجها فيلبيس وكان الزفاف فى نفس اليــــوم الذى يصادف مرور ألف سنة على قيام المملكة فى بريطانيــا • ومنذ شهور والعالم كله يتســاءل عن لون الفســـتان ودبلة الخطوبة وأين يكون شهر العسل وعلى حساب من• وكم يتكلف الفستان وأين يعيش العروسان • وهـــل تذهب العروس مع زوجها الضـــابط فى أى مكان يذهب اليـــه •

وبالامس نشرت صحيفة «التايمز» حديثا مع العروسين استغرق تسعين دقيقة • سئلت العروس ان كانت قـــد أحبت زوجها • وكان جواب الاثنين: نعم • ولكن لم يفكر العريس فى الزواج الا منذ شهور رغم صداقة الاثنين • ولكن العروس اعترفت بأنه كان معـــروفا عنـــها وهى

تلميذة انها ســـــوف تتزوج فى أقرب وقت وســـــئلت العروس ان كانت أمها الملكة قد تدخلت فى اختيار زوجها، واستنكرت العروس السؤال وقالت: طبعـــا لا •• وهل أنا ولـــــد؟

وهى تقصد أن الولد من الممكن أن يكون مـــلكا ولذلك يجب أن يتدخل القصر والوزارة والبرلمان فى اختيـــــار الملكة • فليس من حق أى ملك أن يفرض زوجتـــه على الشعب •

وسئلت العـــــروس من أين أتت بتكاليف الرحلة الى جزر باريادوس حيث تقضى شهر العســـل • فأجابت أن الملكة فى طريقها الى هذه الجزر فانتهزت هذه الفرصـــة وركبت معها هى وعريسها •

وكل شيء يمكن السؤال عنه ، وكل شيء يجب أن يقال، ولكن أهم من ذلك كله أن مئات الملايين من الناس عبـــر المحيطات وعبر الاقمار الصناعية فى كل العـــــالم كانوا ينتظرون الزفاف قبل الزفاف بأيام ليروا العروسين •

ان العالم كله فى حاجة الى لحظة سعادة •• الى رؤية وجه سعيد • الى مشاهدة حادث سعيد •• ان الهم والغم، العظيم قد سحق العقول وطحن القلوب وأباد الامل فى كل مكان • ان الناس يصـــحون ويمســـــون على الدمار والخراب •• والظلم واليأس •• قل لى : أين هو الامل

أو الحياة فى هـذه الوجوه : جـولدا مائير ــ ومعناها مثيرة ــ أو أبا ايبان ومعنى اسمه : أبو حجر ــ أو ديان ومعنى اسمه : القاضى ــ المستبد أن هذه الوجـوه الكئيبة تبعث عـلى اليأس من هـذه الحيـاة ، بل ان سماع هذه الاسـماء وذكرها لكابوس بالنهـار وعفريت بالليل •

ولابد أن كل شعب فى الدنيا عنده وجوه ألعن وأبغض من هذه الوجوه وهذه الاسماء •• ولذلك فالعـالم كله يتطلع الى هذا الزفاف •• كأنه قد هبط علينا من عـالم آخر •• وفى طريقـه الى عالم لا نعـرفه •• أو عالم نسيناه •• أو نتمناه •• ان النظر الى السـعداء راحـة أو عدوى نتمنى أن تنتقل الينا •

ولذلك فالدنيا كلها انما أرادت أن تسـتريح فى ظل عروسين ربط بينهما الحب واستدرجهما الى جنات النعيم فى هذه الحياة •• انها لحظة لا تنسى عندهما ، ولحظـة نسيان للعالم لان هذه الدنيا مقبرة للاموات وللاحيـاء أيضا •• انها فرصة للحالمين أن يقولوا : لو تكون الدنيا هكذا ••

من المسـتحيل أن تكون كذلك •• ولكن من الممكن أن تكون أحيانا هكذا •• انها لحظة فى عمق وطـول وعرض الابدية !

هذه سيناء مقبرة الغزاة !

يجب ألا ننسى بسرعة أن الجيش المصرى قد قـــام بعمل عظيم • فمن المؤكد الآن أن الجيــش المصرى قد اقتــحم خط بارليف • واسرائيــل قد علمت مقـــدما باستعدادها للقتال • ومخابرات أمريكا تأكدت من ذلك • فنحن اقتحمنا خط بارليف وكل شىء فيه يستعد لهــذا اللقاء العنيف • ولكن المفــاجأة هى فى يوم وســـاعة العبور • وحجم القــوات التى ســـوف تعبر • وقدرة الجندى المصرى على القتال وصبره على المقاومة العنيفة، فاسرائيل قد أعدت عشرات الالوف من جنودها ومئــات من الدبابات والطائرات وأجهـزة الانذار الالكترونى • وهيأت لقواتها الطعام والشراب والعتاد والراحة والنوم، وغرست فى عقـــولهم أن المصريين لن يحاربوا • واذا حاربوا ففى الحرب نهايتهم • واذا قاوموا فلن يفعلــوا ذلك الا لكى تتضاعف خسائرهم المادية والروحية ، وسوف

تجون خسائرهم عقابا عنيفا على انهم فكروا لاى سبب أن يحاربوا • وأن يعبـــروا من أرضهم الى أرضهم وأن يضعوا على أيديهم أرواحهم !

فالمفاجأة هى فى اليوم والســاعة وكفاءة المقـــاتل المصرى •

وقبل الجندى والى جواره ووراءه هـــذه الوحـــدة العربية الرائعة •• وهذا العطاء بلا حدود •• هـــذه الاخوة السامية • ان هذه المحنة القومية هى التى كشفت الصديق الاصيل المؤمن من أدعياء الصداقة والايمان •• والذى عرفناه من الاصدقاء ليس قليلا ، بل انه من أهم ماكشفت عنه حربنا مع الاعداء ــ مع أن المثــل الشعبى يقول : أنا وأخى على ابن عمى •• وأنا وابن عمى على الغـــريب • ومن الضررى أن أكون أنا وأخى وابن عمى على الغريب الصهيونى فى أرضنا المقدسة !

ثم اننا عرفنا قيمة الذى فى أيدينا من قوة الســلاح وسلطة المـــال وجبروت البترول وحرارة الايمـــان ونور العلم • كل ذلك عرفناه ، وتفوقنا فى استخدام كل شىء بحساب وعقل ــ وليست هذه المقدرة بالشىء القليل • بل انها مكسب يضاف الى شجاعة القتال والصبر عليـــه والاعداد والاستعداد لقتال آخر جـــديد •• وقد أصبح واضحا لدينا الآن انه مادامت اسرائيل على كتف أمريـــكا فالقتال مكتوب علينا مدى الحياة !

ثم كان خطأ التسلل عبر القناة • ولا توجد حرب بلا أخطاء • ولا توجد أخطاء خطيرة • ولكنه خطأ لابد من مواجهته • ونحن نواجهه ونحسبه ونعرف اننا سوف ننتصر على عدونا • كيف؟ بنفس العقيدة ونفس الروح العالية والعطاء والصمود •

وسوف نعبر بالعدو الى كل سيناء مقبرة الغزاة من ثلاثين قرنا •

معركة الكلمات عبر القارات !

تحدث وزير الحربية المصرية ومن بعده تحدث رئيس الاركان . وكلاهما وصف للعالم كيف كان الاستعداد والاعداد لاقتحام خط بارليف وعبور القناة وازاحة التراب واذابة الحديد اندفاعا الى سيناء .

وبذلك يتعاون الاثنان فى نشر المعلومات الصحيحة عن حقيقة هذه الاعمال المجيدة . فقد امتلأت الاذاعات الاجنبية والصحف العربية بكثير من الاجتهادات والخيال والاوهام . فهذه المعلومات الرسمية هى تقرير لواقع . وتصحيح لمعلومات خاطئة .

وفى نفس الوقت ضرورة . فالشعب العربى الذى وقف معنا وساندنا ، والشعب المصرى ، يجب أن يعرف كل مايمكن أن يقال من مصدره الصحيح . وأن يرى الناس كل شىء بحدوده المعقولة .

ولا خوف علينا من كل هذه المعلـومات التى قيلت ، فكثير منها معروف لدى العسكريين فى الجانبين ولدى مئات الملايين من الناس • وأهم من ذلك أن الذى صنعه العدو فى خط بارليف ليس معجزة المعجزات • وانما هى حسابات وتطبيقات علمية • ويستطيع من لديه علم وفهم ودراسة واصرار وايمان أن يبطل هذا السحر • وقد أبطلنـــا السحر وليس بسحر آخر • ولكن بعلم وفهم وتجـارب طويلة واصرار وبايمـان بأن الحق معنــا ، وأن الحق سنبلغه مادمنا على علم وعلى ايمان بهذا العلم وبأن الله معنا لاننـــا معه •

ثم انها بعد ذلك فرصة رسمية لكى توزع الشـــكر على كل الاسلحة التى ساهمت فى هذا العمل الجليـل • فالمهندسون والمشاة والطيران والمدفعية وكل الاسـلحة الاخرى فى الجيش قد ساهمت فى هذا النصر العظيم •• وليس فقط نصرا على حاجز من الماء أو التراب أو النار أو الحديد أو الاسمنت •• وانما هو نصر على الخوف من الارهاب الذى أحاط به العدو شعبنا وقواتنا فى الاذاعة وفى الصحف المعادية وفى كثير من الشائعات التى يطلقهـا والتى يتطوع بعض الناس بنشرها عن حسن نية أو عن خـــوف •

وعندما لا يتكلم القواد ويواجهون الشعب بحقيقـــة

ماجرى ، فان الملايين يتحولون من تلقاء أنفسهم الى قواد عسكريين والى خبراء فى الاسلحة وفى الدعاية ، ولذلك كان حديث وزير الحربية ورئيس الاركان وضعا لكل انسان فى مكانه بطوله وعرضه فى مصر وفى العالم العربى كله ٠

ومن المؤكد أن شيئا واضحا قد تغير فى أجهزة الاعلام العربية ، وانها لا تصرخ ولا تبالغ فى كل ماحققناه ولا فى كل ماسوف نقوم به ٠٠ ثم أن تصريحات العسكريين وبلاغاتهم وأحاديثهم : علمية موضوعية حسابية

وليس هذا بالمكسب القليل فى معركة الكلمات عبر القارات !

النصر في حرب الأعياد !

حرب ٦ أكتوبر هي حرب الاعياد أو حرب مابين الاعياد ٠ فقبل هذا اليوم بأسبوع كان عيد (رأس السنة) العبرية، ويوم ٦ أكتوبر هو (عيد الغفران) ٠ وبعده بأسبوع (عيد المظال) ٠٠ ثم (عيد الفطر) ٠

وكنت قد ذكرت من أيام أن بعض الملقين العسكريين لمـــا رأونا قد انتصرنا ، قد تطوعوا يتساءلون ولمـــاذا لم نحارب يوم رأس السنة ٠ فبعد هذا اليوم يقضى اليهود أجازة طولها أسبوع ٠ ويتفرقون فى كل مـــكان ويصعب جمعهم فى وقت واحد ليحاربوا المصريين ٠ ويتســـــاءل الملقون العسكريون : ولماذا لم يحارب المصريون فى عيد المظال أو الظلل أو الخيام فأجازاتهم ســـبعة أيام ٠ وفى هذه الايام ينشغل اليهود فى كل مكان باقامة الخيام من أغصان الشجر خارج البيت أو فى داخل البيت ٠ يتذكرون

أيام خرجوا من مصر وأقاموا فى سيناء أربعين عاما • وفى هذا العيد يتبعثر اليهود فى أماكن بعيـــدة •

ولكن يظهر أن القيادة المصرية قد اختارت يوم الغفران عن عمد • ففى هذا اليوم تتعطل الحياة فى اسرائيل تماما، لا اذاعة ولا تليفزيون ولا مواصلات • وانما الشعب يمضى يومه يصلى على خطاياه •

ويستبيح الدين اليهودى أن ينقض كل يهودى أى عهد مع كل من ليس يهوديا • ففى هذا اليوم لا يفى اليهودى بأ ى وعد • ولا يحترم أى قانون ولا أية علاقة مع غيره من الكفار ــ وفى الديانة اليهودية كل من ليس يهوديا فهو كافرا وهو حيوان • ولا علاقة محترمة بين انسان ــ أى يهودى ــ وحيوان ــ أى انسان آخر •

فاختيار هذا اليوم وساعة الصـــلاة بالذات لابد أن يكون قد دخل فى الحساب تماما •

وقد صرخ مندوب اسرائيل فى مجلس الامن كيف تكون الحرب فى عيد الغفران • وأعاد أبا ايبان نفس الشكوى ولكن الرجلين وملايين اليهود لم يذكروا السبب الحقيقى وراء هذا الاستنكار •

فالسبب الحقيقى هو أن هذا اليوم له ذكرى ســوداء فى تاريخهم • ذكرى لا يزالون يبكون عليها حتى اليوم ، ففى هذا اليوم من سنة ٥٨٦ قبل الميـــلاد ، دخل الملك

البابلى يختنصر وهدم معبد سليمان عليهم • ومن ذلك اليوم وهم يبكون ويلطمون فى الصلاة ويضعون التراب على رؤوسهم وعلى وجوههم حزنا على ماأصابهم فى عيد الغفران !

ولان ينسى اليهود مافعله المصريون فى يوم عيد الغفران عندما هدموا عليهم معبدهم العسكرى ـ خط بارليف ـ فقد أقام اليهود صلوات فى كل مكان لهذه المعجزة العلمية والعسكرية الرادعة المانعة المنيعة لاى هجوم مصرى • وقد طلب حاخامات اسرائيل أن يبكى الشعب اليهودى فى يوم وأن يصوم عن الطعام فى آخر حدادا على انهدام خط بارليف •

وسوف تنهدم عليهم ووراءهم قلاع أخرى باذن الله !

هزيمة نفسيّة في إسرائيل

كل ما تنشره الصحف عن الحالة النفسية للعدو صحيح ومعناه أن هناك خلافات شديدة بين الأحزاب السياسية وبين أعضائها من القواد في معارك ٦ أكتوبر وكل حزب يساند رجاله ويتهم الرجال الآخرين .. وهذه الاتهامات سوف تتخذ شكلا حادا في الشهر القادم الذي ينتهي بالانتخابات العامة لثلاثة عشر حزبا سياسيا ودينيا .

والأحزاب السياسية والصحف التي تعبر عنها تستغل الموقف لصالحها . فالصفحات الأولى لامهات يبكين أولادهن الذين قتلوا أو جرحوا أو فقدوا ولا يدري أحد من الحاخامات مكانا لدفنهم .

وكل هذا طبيعي جدا في مجتمع يرى أن أفراده هم اسمى البشر .. وان الحياة لهم والموت لكل الناس .. وأن الواحد منهم بملايين من الناس . وان اسرائيل يجب

ان تكون أرض الميعاد حيث اللبن والعسل • فاذا تحولت الى مقبرة لكل المهـاجرين والمشردين فى كل أرض ، فان الموقف يستحق البكاء على ما حدث • والبكاء طبع يهودى صميم • فهم يبكون على الذى كان ويبكون على الذى هو كائن لأنهم يخافون ألا يكون • وفى صـلواتهم يبكون • وعندهم أيام للبكاء • ويضايق رجال الدين الآن ان الجيل الجديد لا يبكى بقدر كاف • وفى احدى المسرحيات التى عرضت فى تل أبيب فى العـام الماضى بعنوان « لا تنظر وراءك فى غضب » • يظهر أحد الشـبان يحاول ان يبكى ولكن عينيه لا تطاوعانه • ويحاول ولكنه لا يسـتطيع • ويطلب اليه زميل له ان يتذكر كل المواقف الأليمة فى حياته ويتذكر ولكن الدموع لا تجىء • ويظهر شـخص ثالث ويقول أنه قد جرب هذا الموقف كثيرا • ولذلك اهتدى الى طريقة بسيطة : ان يحمل فى جيبه زجاجة صغيرة بها نوع من القطرة اللاسعة • يضعها فى عينيه فتسيل دموعه •• ويعطيه الزجاجة • ولكن فى نهاية المسرحية يكتشف البطل ان القطرة مغشوشة • !

ومن أيام نشرت الصحف المصرية نقلا عـن الوكالات العالمية ان اسرائيل فى حالة فزع بعد مصائبها فى ٦ أكتوبر والذى يخفيها ان ٩٠٪ من قتلاها من الشبان تحت سن العشرين •• وان هذه خسارة فادحة • وان أثرها سوف

يكون فظيعا على نفسية الجيل الجديد وسكان المستعمرات وانهم فى اسرائيل لا يستبعدون ان يهرب الشـــبان من الحياة فى المستعمرات ومن الخدمة العسكرية وان يمتنع الشباب اليهودى عن الهجرة الى اسرائيل !

وكل هذا صحيح •• ولكن يجب الا نستهين بالعدو •• فاسرائيل ترسانة عسكرية • واسلحتهم امريكية متطورة • وسوف تعطيهم امريكا دائما •

والذى حـــدث فى ٦ أكتوبر ليس معناه ان اسرائيل ضعفت •• ولكن معناه ان مصر قويت وصمدت وان لديها استعداد أعظم لتضـحيات أكبر : عسكريين ومدنيين •• وليست مصر وحدها • بل ان الأمة العربية قد وقفت الى جوارها ووراءها • وسوف تظل كذلك بمنتهى الصـــدق والاخلاص والايمان • لأنها لم تعد قضـــية مصر وانما قضية كل العرب • ولم يعد كل هذا سرا • وانما هـــو معروف • ولم تنته حرب أكتوبر ، بل توقفت • ويجب أن نستعد لكل الاحتمالات فعدونا يستعد أيضا • ولا أمان مع اسرائيل ولا أمان لها • ولا نهاية لكذبها وغدرها بل ان اسرائيل أكثر حقدا ومرارة وأشـــد تعطشا للدم من أى وقت فى كل تاريخها • وقد اعـــددنا لهم كل شىء ، والله معنا عليهم !

الجلوس معا
والاتفاق معا !

قمة المؤتمرات العربية فى الجزائر . فقد استخدم العرب أسلحة كثيرة فى مواجهة اسرائيل وأمريكا . أو أمريكا الجيوش خاضت المعارك . واراقت دماء الشهداء . واكتسبت شيئا اعرض من الأرض التى استردتها واعمق من القناة التى عبرتها .. وأكثر مناعة من بارليف .

وأول ما كسبت : ثقتها بقدرتها على القتال بأحدث الأسلحة .. وليس هذا بالشىء القليل . فقد انغرس فى اعماق النفسية العربية كثير من الألم والنقص والنكوص والمرارة بعد ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ . ولم يكن العالم كله مبالغا اذا نظر الى هذه السنوات وقال : لا أمل فى هؤلاء العرب انهم يتكلمون كثيرا . ويحلمون أكثر . وكل معجزاتهم فى صناعة الكلام وتلحين الآلام ، وانتظار المعجزات من السماء أو من الأرض .

حتى كانت سنة ٧٣ .. لقد تغير فينا وبنا كل شىء ..

وأهم هذه التغيرات اننا ننظر الى ما حدث على ان القتال سوف يستأنف مرة أخرى . وأنه لايمكن — بعد كل تجاربنا الطويلة المريرة مع اسرائيل — ان نثق فى كلمة واحدة مما تقول . ولذلك نحن نتمسك بكل ما نراه مناسبا والا عدنا الى القتال . وقد أشار السادات الى ذلك فى مؤتمره الصحفى . عندما قال ان هناك ضغطا شديدا من القواد العسكريين . فهؤلاء القواد يخشون من اكاذيب اسرائيل . ولا يستريحون الى وقف اطلاق النار ، حتى لا يكون الوقف هدنة . وحتى لا تكون الهدنة جمودا أو تجميدا للموقف ، ولكن الرئيس السادات يؤكد أنه ليس رجل حرب . وانما هو رجل سلام . وان الحرب عمل مشروع لكل من يحرر أرضه . ولأننا استنفدنا كل الطرق الدبلوماسية والأساليب الجانبية .

وشىء هام جدا : هذه الوحدة العربية التى ليس لها نظير فى كل تاريخنا الحديث . لقد وقف الأشقاء العرب جنبا الى جنب . واستعدادهم للتضحية والبذل الى آخر قطرة بترول فى أرضهم . وآخر قرش فى رصيدهم . وهذا مكسب عظيم جدا . وأهم من ذلك استعداد الأشقاء العرب لمواصلة الوقوف والمساندة والعطاء . ومن أجل هذا كان مؤتمر القمة بالفعل مؤتمرا وبالصدق قمة !

ولابد للعرب أن يحسبوها من جديد . فالموقف دولى

متشابك • وهناك أصدقاء • وهنـــاك انتهازيون ، وهناك اعداء • ويجب ان نحرص على صداقة الصـــــديق • وان نكسب ما نقدر عليهم من الأعداء •• والطـــــريق أمامنا طويل ، ولابد ان نتشاور فيما يمكن عمله حتى نهاية هذا العام ، وطول العام القـــــادم كله •• وان نتدارس معا ما سوف تلجأ اليه الدول المعادية من حيـــل لاحراجنا •• ولتمزيق الوحدة العربية والتهوين من المكاســـب القومية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ان ما حدث عظيم ، ولكن أعظم منه ان نتطلع الى المستقبل بالعقل والايمـــان بالنصر !

تعب الناس راحة الناس!

يروى طبيب تشرشل د • موران ان الزعيم البريطانى كان عنده وقت لكل شىء •

ويشرح ذلك بأن يقول : كان يجـد الوقت للقراءة •• الكتابة • واملاء الرسائل والنوم والشرب والضـحك والبحث عن النكت •

يقول د • موران : ان تشرشل حاول فى احد المؤتمرات العالمية ان يخفف من حدة المناقشات فقال أنه امضى نصف ساعة يناقش فى ضربة الجزاء التى تفوق بها أحد الاندية الرياضية فى ا .

ويبدو أن موران لم يفهم ماقاله تشرشل ــ وان روزفلت لم يستطع أن يتابع مايقوله تشرشل • ولكن تشرشل قال لهما : من أجل هذا كان من الواجب ان أجد أحدا يحدثنى عن كرة القدم • حتى لا أبدو كئيبا حزينا كأننى أمشى فى

جنازة الانسانية كلها • مع اننا هنا نحاول انقاذ الانسان من عدوه الانسان !

وكان تشرشل أيضا يرسم لوحات فنية وقد أهدى هذه اللوحات الى كثير من قواد الحرب العـالمية الثانية مثل ايزنهاور ومونتجمرى • وقد أصدر تشرشل كتابا بعنوان « الرسم ملء الفراغ » •

وقال تشرشل ان الانسان عنـدما يسـتبد به التوتر الشديد لا يجد أمامه الا ان يلعب بأصـابع البيانو • أو يلعب باصابعه هو على احدى اللوحات •• أو يمسك قلما ويشعر ان القلم فى يده مثل « مانعات الصواعق » التى توضع فى أعلى العمارات أو الطائرات •• ان القلم يمتص هذه الشحنة ويفرغها بعيدا عن عقله وقلبه •• وعن الناس الذين حوله • !

وكل انسان لا يختلف كثيرا عن تشرشل • فلا أحـد بلا هم ولا غم • ولا أحد يتطلع الى السماء يطلب من الله راحة اليوم والغد • ولذلك عندما تشتد أزمات الانسان ــ والشعوب أيضا ــ يجب ان يفتش عن شىء يريحه •• يريح يده التى التفت حول القلم •• أو التى التفت حول الدركسيون فى السيارة أو الطيارة أو البـاخرة أو التى التفت حول السلاح •• فاذا كان التعب هو طعام كل يوم فالراحة هى الساعة أو الساعات التى تجىء بعد الأكل ••

أو عند النوم •• وكما ان الارهاق ينشر السموم فى الجسم والفكر فان الراحة تمتص هذه السموم •

وإذا كنا ننادى كل النـــاس ان يعملوا وان يشـــــدوا أعوادهم يرفعوا رؤوسهم وسلاحهم وفئوسهم واقلامهم واعلامهم ، فمن الواجب ان نشجع الناس على الراحة من التعب • لكى نســتأنف التعب من جـــديد •• والتعب المستمر ، هو تعطيل مستمر •• أو هو انتاج أقل •• وكما ان العمل واجب • فالراحة من العمل ضرورة • واذا كنا فى حالة حرب ، فنحن أيضا فى حالة عمل • ومادمنا نعمل فلابد ان نريح وان نســتريح •• ولذلك يجب أن يذهب الناس الى الســـينما والى المسرح والى الاندية والى الملاعب •• والا استسلمنا للتعب الذى يقعد بنا عن العمل الايجابى المفيد •

والذى لا يعرف لعمله أجازة ، لا يعرف العمل •• وانما يعرف الارهاق فى العمل •• يعرف الملل من العمل والقرف من الحياة •• والذى لا يعرف الا الاجازة لا يعرف معنى الحياة •• واذا كان يقال ان الله خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى السابع • فليس معنى ذلك ان اللـــه فى حاجة الى راحة ـــ حاشا لله ـــ ولكن هى دعـــوة الأن نعمـــل ونستريح من العمل لكى نستأنف العمل حتى نهاية الحياة !

بكاؤهم على عزيز لديهم ؟!

بدأ العام الدراسى فى اسرائيل • ولابد أن يتســـاءل الطلبة الصغار – لأن الكبار مجندون – عن هـذا الذى حدث • والذى حدث يختلف عن الذى درسوه فى العـام الماضى والأعوام السابقة •

فمن بين الموضوعات دائما ما أصـــاب، اليهود فى كل التاريخ فى كل البلاد • فيقال للطلبة ان الشـــعوب كلها حاربت اليهود • وأعدمتهم واحرقتهم • أما ســـبب ذلك فيقال لهم : لأن الشعوب كلها تحقد عـــلى اليهود لأنهم شـــعب متفوق •• ولأن الرب اختارهم • ولأن ابراهيم تحدث الى الرب فى الخيمة • واتفق عـــلى ان يعبده هو وحده • وان يتعهد الرب أيضا بأن يحمى شعب اسرائيل من الدمار والانقراض • ولأن موسى تعهد للرب بأن يقود شعبه الذى اختاره من التيه الى أرض المعاد • ولأن الرب تعهد لموسى بأن يصونه هو وشعبه •• ولذلك فكل الشعوب

تحقد على اليهود بسبب هذا العهد القديم ، وبسبب هذ الاختيار •

وفى سنة ١٩٦٧ بلغت الأساطير اليهودية أقصى مداها • فقد احتلت اسرائيل سيناء واحتلت الهضبة السورية •• وسيناء هى العازل الطبيعى بين الصواريخ المصرية واسرائيل •

والهضبة السورية هى البلكونة أو المنصة التى كانت تنطلق منها الصواريخ السورية الى المستعمرات اليهودية وقناة السويس أصبحت عازلا عريضا •• وأرتفع العازل على شكل تراب ووراء التراب مواقع بارليف المتبعة الالكترونية • التى انشأها اليهود للرقابة والردع والأغراض السياحية أيضا •

واحتلوا كذلك الضفة الغربية لنهر الأردن •

فى سنة ١٩٦٧ وما بعدها أعلن اليهود ان هذه هى القمة •• وما بعدها سوف يجىء حالا • وليس على اليهود الا ان يصبروا • وان يثقوا بقيادتهم العسكرية والسياسية •

وبدأ اليهود فى اسرائيل وفى العالم يتطلعون الى خريطة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات •• ويتساءلون : كم بقى من الوقت ؟

وقيل فى ذلك الوقت ان هذه هى الحدود الآمنة •• أى الحدود التى يأمن فيها الاسرائيلى من صواريخ مصر

وسوريا •• وأنه على هذا الأساس وحده يجب مناقشة كل شيء مرة واحدة •• أي مع كل العرب أو مع العرب دولة دولة •• وتأمل اسرائيل وأمريكا طبعا الا يكون « العرب معا » •• والا يجمعهم شيء واحد أو طريق واحد أو هدف واحد •• واعظم هدية يقدمها العرب لأمريكا واسرائيل ان يختلفوا وان يتمزقوا !

ولكن الذى سوف يقال للطلبة عن المدرسين ومن الأمهات ومن الساسة ومن رجال الدين شيء مختلف تماما هـــذا العام • ولا أعرف بالضبط ما الذى سيقال لهم • ولكن لابد أن العام الدراسى قد بدأ بالبكاء فى الفصول • وبعد ذلك انتقل الطلبة الى مزيد من البكاء عنـــد حائط المبكى •• وحائط المبكى هو الحائط المغربى من معبد سليمان الذى تحطم لأول مرة سنة ٥٨٦ ق • م •• ثم سنة ٧٠ م •• وهم هذه المرة يبكون على تحطيم معبد بارليف عـــلى الشاطىء الشرقى للقناة •• ادام الله بكاءهم على عزيز منيع لديهم !

وانطلقت أمامهم وبهم : الشرارة !

صاحب السيف هو أيضا صاحب القلم . فلقد تلقيت مئات الرسائل من المقاتلين على كل الخطوط ومن مصر ومن سوريا .

وهذه الخطابات تبدأ عادة بهذه العبارة : لا أستطيع أن أصف لك ما حدث . فأنا لست كاتبا ولا شاعرا . أنا مقاتل فقط !

وتجيء هذه العبارة عادة بعد ان يكون المقاتل قد وصف الحرب وكيف دارت على عدونا . وكيف كانت النار والشرار والدخان والرعد والبرق والله أكبر والله أكبر من كل كبير والله اقوى من كل قوى . والله أبقى من كل باق . والله مع الايمان .. ويريد المقاتل ان يعتذر عن أسلوبه فى الكتابة بأنه يمسك المدفع .

ولكن رغم احساس المقاتل بأنه ليس كاتبا ولا شاعرا فانه قال مالا يستطيع أن يقوله شاعرا أو كاتبا . لماذا ؟

لأن المقاتل قد هيأه الحماس الى دخول النار • وهيأه العلم لأن يخرج من النار بالعقل وان يخرج من الدمار سالما • وهذه النار التى دخلها لا أحد يعرف كم طولها وكم عرضها وكم سرعتها وكم حرارتها وأين بدايتها وأين نهايتها • أن أحدا منا لم يدخل النار • ولكن المقاتل دخلها وخرج منها وهذه الدرجات العالية من النار قد ركبت فى فمه ألف لسان وصاغت مدفعه قلما ، ودبابته فرشاة ، وطائرته قيثارة •• ومن النار والدخان والرعد والنصر استطاع مئات الشبان المقاتلين أن ينظموا احساسهم شعرا ، وان لم يكونوا شعراء •• وان يعزفوا انتصاراتهم على الخوف والخرافات اغنيات ، وان لم يكونوا ملحنين •

وان مؤرخى الحضارة يقولون ان الانسان قد نطق باسم الله عندما امسك قطعتين من الحجر وضرب الواحدة بالأخرى فانطلقت الشرارة •• ثم جعل الشرارة تجرى فى أعواد الحطب الجاف ، فكانت أول نار فى التاريخ •• ولم يكد الانسان الأول يكتشف النار حتى قال : الله وباكتشاف النار اهتدى الانسان الى الدفء فى الشتاء ، والى النور فى الليل •• وفى النور صنع الانسان كل حضارته •

والذين اطلقوا النار دفاعا عن شرفنا وكرامتنا وحريتنا هم الذين صرخوا : الله أكبر •• وكانت هذه الصرخة هى بدايةبداية الميلاد الجديد لمصر وللأمة العربية •

ان مقاتلينا شعراء ومطـــربون ورســـــامون ونحاتون فلا شىء ينقصهم : عندهم التجربة الهائلة والشــــجاعة والصبر وليسوا فى حاجة الى صنعة •• فالمعنى يخـــرج منهم صافيا صادقا واضحا ــ وهذا هو الفن !

هذه الحرب طويلة.. طويلة!

شيء مهم يجب ان نفهمه جميعا بوضوح شديد : وهــو ان الحرب مع اسرائيل طويلة جدا . طول العمر كله .. فلا سلام مع اسرائيل ، مع وجودها فى الأرض العربية . لأنه لا سلام مع اليهود فى كل التاريخ . ثم ان اسرائيل لها مطامع لم تتراجع عنها . ولن تتراجع عنها . وخريطة اسرائيل الكبرى موجودة فى مكاتب الوزارات الاسرائيلية فى الكنيست . وفى كتب الطلبة فى المدارس والجــامعات وفى الصلوت .

واذا كنا لم نقتنع بهذه الفكرة ، فلننتظر الى الوراء ٢٥ عاما أو خمسين عاما . ماذا حدث فى فلسطين . لقد تسلل اليهود الى الأرض العــربية . واشتروا الأرض وأقاموا المستعمرات والمصانع . وأقاموا الورش الصغيرة لصناعة الذخيرة . ثم أقاموا المعامل والمعاهد الفنية .

كل ذلك حــدث دون ان يدرى أحد بذلك . ثم درسوا

العالم العربى ، تاريخا وجغرافية وآدبا ودينا وسياسة •
ولديهم فكرة واضحة عن كل الذى يجـــرى على أرضنا
ويجرى من تحتها •

ونحن لم ندرس الجانب الآخر بنفس الوضوح • لقد
تأخرنا فى ذلك كثيرا جدا • ولكن مادامت المعركة طويلة ،
فان الوقت لم يذهب • ومايزال أمامنا وقت طـــويل لكل
مافات • واذا كنا عسكريا قد استدركنا مافات واستطعنا
ان نقف وان نتصدى وان نتحـدى • فذلك لأن كثيرا من
المعلومات قد عرفها العسكريون • وعلى ضـوء هــذه
المعلومات الواضحة ، اســتطعنا ان نفعل الكثير • ولكن
لا أظن أننا فى المجالات الأخرى قد عرفنا عـدونا بنفس
القدر • مازلنا نجهل الكثير • ولذلك يجب أن نسرع وأن
ننشر العلم عن العدو لأن العلم بالعدو شرط ضرورى من
شروط محاربته والنصر عليه • ولابد من النصر عليه ••
والا ضاع كل شىء •• ولن يضيع شىء مادام لدينا هــذا
القدر الهائل من الاستعداد واليقظة •

ولا يوجد أى سبب أو أى عذر أو أى مبرر يمنع ملايين
المواطنين العرب من عمل شىء ، فى أى موقع وفى أى وقت
وبأى قدر • لأن العمل ضرورى • وهذا العمل فى ظروف
الحرب أكثر الحاحا فى أية ظروف أخرى • وليست الحرب
بين العسكريين وحدهم من الجانبين •• بل الحرب يجب أن
يخوضها كل المواطنين • وسوف تطول • وهى هذه المرة

سوف تلمس كل موقع وكل شخص • ولذلك يجب ان تستعد من جديد لتقبل كل ما سوف تأتى به الاحداث •• فنحن لم ننخدع بما قيل لنا • ولكننا أعطينا لأنفسنا فرصة ان نستعد وان نرى أوضح وان نحسبها علـى مهل ، وان نضم الصفوف العربية وان نتأكد من كل النيات • وقد تجمع لدينا الآن كل شيء • ولا يبقى أمامنا الا ان نختار بين طريقين والله معنا : أما الحرب واما الحرب !

ليس شرفا أن نقتل

مع بداية السنة العبرية الجديدة كانت معارك ٦ أكتوبر، وكانت المفاجأة العسكرية الكبرى ، انتصار المقاتل المصرى، وكان من الصدف الموجعة أن يكون يوم العبور هو نفس يوم عيد الغفران عند اليهود . وفى هذا اليوم منذ ٢٥٧٩ سنة انهدم معبد سليمان على اليهود أمام قوات الملك البابلى بختنصر ، ولا يزال اليهود يبكون على ما أصابهم فى ذلك اليوم . وجاء يوم ٦ أكتوبر يذكرهم بما حدث فى ذلك اليوم وما حدث بعد ذلك اليوم الاسود: عندما تفرق اليهود فى كل أرض .. وعندما ساقهم الملك بختنصر الى بابل عبيدا يباعون فى الاسواق بأرخص الاسعار .

وبعد ستة أيام أخرى من أيام العبور ، اتجهت ألوف الامهات اليهوديات الى حائط المبكى يلطمن الخدود ويضعن التراب على الرؤوس حزنا على أولادهن الذين أحرقتهم مدافع وصواريخ المصريين فى سيناء وفى خط

بارليف •• وسارت الجنازات فى الشوارع • وليس هناك الا أمل قومى واحد : أن يعود المقاتل اليهـودى حيا أو ميتا لوالديه •• فان كان ميتا دفنوه فى المقبرة المؤقتة ، لينقلوه بعد عام الى مقبـرة الاسرة •• ولم يكن ألوف اليهود سعداء الى هذه الدرجة • فقد تحول ألوف منهم الى رماد ، لا يمكن دفنه فى أى مكان •

وبعد ستة أيام أخرى أصيب دافيد بن جوريون باغماء شديد ، وكانت الازمة القلبية الحادة التى أصابته سقوط أكبر معبد عسكرى : خط بارليف •

وبن جوريون هو من بناة اسرائيل •• بولندى جـاء مهاجرا من سبعين عاما ، على ظهر باخرة روسـية ونزل بها فى يافا ، وكانت صدمته الكبرى ، فالمدينة قذرة ضيقة، وبها عشرات الجنسيات من كل دين ، وعمل بن جوريون فلاحا فى مستعمرة «بتاح تكفا» ومعناها : باب الامل • وراح يجمع اليهود من كل مكان ويدعو للهجرة الى أرض الميعاد •• وبن جوريون من وحوش الصهيونية العالميـة فهو رجل شرير دموى لا يكن لاحد فى العالم أدنى احترام أو حب •• وهو يرى أن كل يهـودى نبى ، وأن كل نبى يجب أن يمشى وراءه العـالم كله • فالبشرية يجب أن تمشى وراء اليهود •• كما تمشى الاغنام وراء الراعى •

ولم يتحمل بن جوريون هذه الصـدمة فى أعز عزيز لديه •• فى جيشه وشعبه •

وسوف تكون هذه السنة العبرية الجديدة بداية شؤم على اسرائيل ان شاء الله •

وليس شرفا عظيما أن يقال أن رصاصة انطلقت من بندقية مصرية وراحت تدور فى أعماق سيناء حتى اهتدت الى دافيد بن جوريون •• فأصابته فى عقله وقلبه وأعـز آماله •• واذا كان بن جوريون هو رمز اسرائيل الكبرى، فسوف يحمل معه الى قبره هذا الامل المجنون ـ آمين!

خجلت جداً من مرضى!

انسحبت بسرعة من احدى الصيدليات .. ثم سحبت قلمى عن الكتابة فى موضوع خاص وشخصى جدا .. فقد أصابنى الزكام أكثر من مرة هذا الاسبوع . وبحثت عن بعض العقاقير فلم أجدها .. الخ .. وكان من عادتى فى كل سنة أن أصرخ وأن أطلب من المسئولين احضار هـذه العقاقير الى كل الصيدليات . ويكون الكلام عن عـدم وجود هذه فرصة «للتسول» من الناس الطيبين . وفى كل سنة يتقدم هؤلاء الطيبون فى مصر وفى البلاد العربية لرفع الحصار الميكروبى عن عينى وأنفى وحلقى .

ولكنى بالامس وجدت انه من العار أن أشكو من نقص هذه المواد ، أو أن أشكو .. فهذه الشكوى صبيانية ، أو هى نوع من الترف . وهى ترف فى أيام يحارب فيها الشباب مقدمين أرواحهم أعز مالديهم من أجل مصر .. من أجل أن يعيش الملايين فى دفء وفى نور وفى سلام ..

هؤلاء الشباب ، مئات الالوف ، بل ملايين الشبان يعيشون على الرمل فى البرد الشديد ، وفى الدخان وفى الانفجارات يأكلون القليل من الطعام ، والقليل من الشرب والقليل من الدفء والنوم ، كل ذلك يفعلونه عن طيب خاطر ، من أجل أن يعيش أناس فى الدفء • من أجل أن تكون أمراضهم هينة •• ومتاعبهم يسيرة •• ومن أجل أن يجد بعض الناس الوقت لكى يشكو من أوجاع صغيرة •• وأن يجدوا الشجاعة فى أن يخجلوا من هذه الشكوى — انهم يدافعون عنا وعن المعقول واللامعقول فى حياتنا • وليس معنى ذلك أن ننسى أن نكون معقولين •

وقد أحسست فجأة اننى غير معقول ، أو لا معقول ، وأن آلامى مهما كبرت يجب أن تتواضع وأن تتلاشى وأن استحى وراءها من أن أقول : آه •• فهناك شباب يبادر الى الالم وينساه ، ويلقى بنفسه على الموت وينسى أن له حقا فى الحياة • وانما يرى أن الموت حياته •• والشرف هدفه والتضحية واجبه !

وعندما سألنى طبيب كبير مسئول عن الدواء : هل كان فى نيتك أن تقول شيئا ؟ قلت : نعم •• أن نوفر الدواء لجنودنا على كل جبهة •• فأجاب : ليست هناك شكوى من أى نوع •• ولا يمكن أن تكون هناك شكوى •• فقد أعددنا لهم كل شىء •• قلت: وأن ندبر مثل هذه الادوية

أيضا للمحتاجين من المدنيين الذين يعملون من أجل المعركة ومن أجل سلامة الدولة كلها . فأجاب : لا تحمل هما . كل شيء قد أعددناه تماما !

وعندما زرت جريحا فى أحد المستشفيات وجدته سعيدا يقول : الحمد لله على كل شيء .. فقد انتظرت هذا اليوم سنوات طويلة .. انتظرت أن أرمى عدونا بسلاحى فان لم أجد سلاحى قطعت ذراعى ورميته بها . وان لم أجد ذراعى ألقيت بجسمى كله عليه .. وقد فعل شباب كثيرون ذلك .. لفوا الديناميت حول أجسادهم ورموا بحياتهم على العدو : نارا وشظايا !

هكذا توهب لمصر الحياة ، لان شبابا قد وهبها الموت سعيدا راضيا !

هذه الدموع مرفوضة فورا !

عندما ذهب رئيس وزراء هولندا لمشاهدة مباراة فى كرة القدم ، راحت الجماهير تصفر استنكارا لما فعل . والذى فعله رئيس وزرائهم معروف . فهو قد قرر أن تعانى هولندا أقسى شتاء عرفته فى العصور الحديثة . فالدول العربية قطعت عنه البترول وعليه أن يتسول الوقود من أى مكان آخر . فليس هذا مايعنى العرب . فهولندا قد ساندت اليهود ضد العرب . وعندما أعلنت النمسا انها ليست مأوى لليهود المهاجرين من روسيا ، وانها تريد أن تتخذ موقفا حياديا فى الشرق الاوسط أعلنت هولندا انها على استعداد لان تفعل ذلك وما هو أكثر .. مثل ارسال أسلحة الى اسرائيل لتعاونها فى حربها ضد العرب !

وهولندا عندها تبريرات لهذا الموقف . فقد كان يعيش فى هولندا حتى الحرب العالمية الثانية حوالى ١٥٠ ألف يهودى . ولكن هتلر قد أطاح بهم .. وطردهم من هولندا

أو جعلهم يهاجرون أو أحـرق عددا كبيرا منهم • وكان هؤلاء اليهوذ يعملون فى كل أنواع التجارة • وفى مقدمتها صناعة الماس • وقد أدى خروج هؤلاء اليهود الى كساد عمليات تجارية كثيرة • وعند الهولنديين شـعور بالذنب ولذلك رأوا انه من الواجب عليهم حمـاية ماتبقى من اليهود فى بلادهم أو فى اسرائيل •• ولذلك فالشـعور بالذنب يستحقون عليه العقاب • أما العقـاب فهو أن يموتوا من البرد فى الظلام طول هذا الشـتاء • فاذا تعذبوا بدرجة كافية استراحت ضمائرهم !

وقد حاولت هولندا أن تتراجع بأشكال مختلفة • ولكن أحدا لم يصدقها • وأوفدت مبعوثين لها يشرحون قضيتها ويجدون لها أنصارا عند العرب الذين مات منهم عشرات الالوف بمدافع اليهود وتشرد منهم ملايين الفلسطينيين، ومليونين من المهجرين أبناء منطقة قناة السويس • ومن الطبيعى ألا يجدوا أحدا •

وحاولت الملكة الهولندية أن تبعث برسائل خاصة الى الملك فيصل لعل قلبه يرق لمـا سوف يعانيه الهولنديون من أجـل عطفهم على اليهـود الذين لم تلن قلوبهم للمصريين أو للعـرب • ومن المنطقى أن يرفض الملك فيصل أية رسائل وأية شفاعة ، أيا كان مصـدرها ، وأيا كانت الدموع التى امتلأت بها !

واستطاع اليهود أن يقطعوا قلوب الشعب الهولندى عندما نشروا مذكرات فتاة مزعومة اسمها «أنا فرانك» هذه الفتاة أحرق النازى أسرتها كلها • وتعيش هذه الفتاة لتكتب مذكراتها •• ولتتحول المذكرات فى عشرين لغة أوروبية الى مسرحية والى أوبرا والى سيمفونية •• والى الآن يبكى الهولنديون على ماأصاب هذه الفتاة فى عهد الاحتلال الالمانى • ومن العجب أن الالمان لم يهتزوا لهذه الفتاة ولا اتخذوا موقفا هولنديا من القضايا العربية ولكن هولندا شاءت أن تكون أكثر نازية من الالمان ، وأن تدفع الثمن بردا وظلاما وخوفا •• مع أن هؤلاء اليهود لا يستحقون من أحد التضحية بعسود كبريت فى ليلة باردة ، أو • فى ليلة حارة !

سيجيء الوقت لكي نقرأ ؟!

ان اسرائيل تعيب على قوادها ومؤرخيها انهم كتبوا كل شيء عن حرب ٦٧ ، وأطلعوا العرب على أدق أسرار هذه المعركة • واستفاد العرب من ذلك !

ولو نظرنا بسرعة الى ما الذى نشرناه عن معارك ٦ أكتوبر ، فاننا نجد الكثير قد قيل • واننا عرفنا كيف تم العبور • وكيف أقيمت الجسور • وكيف اننا استخدمنا نوعا خاصا من المضخات وكيف انهال التراب ، ومن بعده داب الحديد ، وتقدمت القوات المصرية الى سيناء •• وأعلن وزير الحربية المصرى عن حيل وخدع لجأت اليها القوات المصرية •• وأشفقنا نحن على أنفسنا من أن نكشف أوراقنا هكذا أمام العدو •• وتمنيت لو لم يكن أحد قال شيئا عن شيء • ولكن فى نفس الوقت نريد أن نعرف ماذا حدث وكيف حدث •• ونريد أن نطمئن على أن أعظم من ذلك وأروع يمكن أن نقوم به مع هذا العدو

الغادر الكاذب المخادع • وتأكد لدينا أن الوضع قد تغير تماما • وأن القوات التى استطاعت أن تنتصر وأن تصمد لاقوى ترسانة فى العالم ، قادرة على أن تقوم بما هو أعجب وأصعب •

وتساءلت أنا وغيرى: هل هناك الكثير الذى لا نعرفه عن الذى حدث يوم ٦ أكتوبر وما بعده ؟

فقيل: مايزال هناك كثير جدا •

وتساءلت : ولكن لماذا قيل كل ماقيل؟ ألم يكن في الامكان اخفاء شىء !

وكان الجواب : أن الشعب يريد أن يعرف معلومات على حقيقتها ، فقد تطوعت الصحف العربية والاذاعات الاجنبية برواية قصص وخيالات وأحيانا خرافات • ولذلك فمن الواجب أن نضع كل خبر أو معلومة فى مكانها الصحيح •

ولم يكون من الصعب أن أعرف أن هناك بعض الاخبار تتعمد الهيئات الرسمية اطلاقها • وتكون هذه الاخبار مثل المصيدة تلتقط أخبارا أخرى من هنا ومن هناك •• وتتجمع فى النهاية على شكل قصة أو رواية • وهذه الرواية تعكف عليها أجهزة جمع المعلومات لتعرف ماالذى يشعر به الناس ويتصورونه وكيف يمكن توجيه أفكار الناس ومخاوفهم وآمالهم وجهات نافعة أو ايجابية • وكل هذا معروف عندنا وعند العدو ، وعند كل أجهزة

المخابرات فى العالم •• فهذه الاجهزة تريد أن تعــرف الرأى العام ومدى صلابته ومدى قدرته على اســتيعاب أشياء كثيرة أو رفضه لها •

وبالاختصار : لا خوف علينا مما قيل ومما يقــال أو سوف يقال • فقد تغيرت الصورة وتبدلت تفاصيلها تماما، وأصبح المقاتل المصرى جنديا وضابطا ، طرازا آخر من البشر •

وسوف يكون أروع وأقدر •

اذن لا داعى لان نتعجل مايقال • فسيجىء وقت نقرأ ماحدث ، وتزداد اعجابا بالذين حققوا لنا النصر الكريم اليوم والنصر العظيم غدا !

مدن جديدة
بلا عيوب قديمة !

لابد أن المدن التى ستقام حول القاهرة ، ستختفى منها كل عيوب القاهرة نفسها . فالقاهرة خانقة لمن يسكنها ومخنوقة بسكانها ومواصلاتهم وبيوتهم ومتاجرهم وملاعبهم . والقاهرة قديمة ولذلك لا تستطيع أن تقف أمام الضغط اليومى على شوارعها وعلى مواسيرها .. فلا أحد يعرف كيف يركب مواصلاتها ، واذا أراد أن يمشى على رجليه عملا بنصيحة الاطباء ، وحلا لازمة التاكسيات ، فانه لا يستطيع ذلك . فالشوارع ضيقة والارصفة أضيق . والشمس تأكل الاسفلت أولا بأول . والاحذية تنقش الاسفلت وتلحس طبقته الرقيقة حتى يبرز الزلط والاحجار من تحت الاقدام .

وهذه الشوارع التى تجعل الناس يكرهون أن لهم أقداما . وأن الاقدام محبوسة فى الاحذية . وأن الاحذية بما فيها من مسامير لا تغرى بالمشى . أو بالاستمرار فيه

كرياضة يومية أو ضرورة عملية . وهذه الشوارع أيضا هى التى تحطم السيارات . وتجعل صاحب كل سيارة يقع ضحية الاسطوات الشطار تجار قطع الغيار « المفبركة » محليا أو الغالية الثمن .

أما المدن الجديدة فسوف نجد شوارعها واسعة وقبل ذلك سنجد مواسير المياه والمجارى وأسلاك النور والتليفون . وستكون البيوت واسعة .. ولا داعى طبعا لان تكون عالية جدا .. لان ارتفاع البيوت سببه ضيق الارض . ولكن مادامت الارض واسعة جدا ، فمن الضرورى أن تنتشر البيوت لا أن يتكدس السكان فى بيت واحد . بل أن الكثير من المدن التى تبنى فى الصحراء تحرم ارتفاع البيوت تحريما باتا .. وأعتقد أن شيئا من ذلك سوف يحدث فى هذه المدن الجديدة التى تخفف الضغط على القاهرة والجيزة .

ومدينة نصر التى أقيمت فى الصحراء وروعى فيها أن تكون أفضل من القاهرة . ماتزال بها شوارع ضيقة .

ولابد انه سيراعى فى المدينة الجديدة أن تقتسم مع القاهرة والجيزة الكثير من المؤسسات والهيئات والمعاهد والملاعب . وهناك فى العالم مدن كثيرة جدا قد أقيمت على الصحارى الحارة والصحارى الباردة . وهناك مدن كثيرة فى روسيا ومدن كثيرة فى البرازيل وفى شبه الجزيرة العربية . ومن الطبيعى أن نستعين بخبراء فى تخطيط المدن

بما يتفق مع احتياجات أبناء المناطق الحارة •

ومن المناسب أن نختار لهذه المدن أسماء عزيزة علينا ، كأن تكون احدى المدن اسمها : ٦ أكتوبر ــ أو العبور •• أو تحمل اسم السادات • ففى الدنيا مدن كثيرة تحمل اسم الاحداث التاريخية أو القادة المنتصرين أو زعماء الشعوب •

المهم جدا أن يراعى دائما أن سكان مصر يزيدون كل عام مليونا •• وأن عدد المتعلمين يزداد أيضا • وأن خدمات الناس واحتياجاتهم تتضاعف •• وأن هذه المدن يجب ألا يكون بينها وبين القاهرة أى شبه بل تكون هذه المدن نوعا من «التصحيح» لكل الاخطاء التى وقعت فيها القاهرة وسكانها على مدى ألف عام !

الذوق الطويل والقوة الخاطفة!

كانت السياسة فى الشرق الاوسط منذ ستين عاما : اسرائيل ولا فلسطين •
وبعد ذلك بخمسين عاما أصبحت فلسطين ولا اسرائيل•
والآن هى : فلسطين واسرائيل •• أو اسرائيل والدول العربية •

وموقفنا الآن بجميع الموازين ومن جميع الزوايا أفضل مما كان عليه فى أى وقت • وليس هذا المعنى جديدا • ولكنه معنى معروف • وهو مكرر لان كل من يمسك قلما أو صحيفة قد قاله لنفسه ولغيره • ولكن لابد من الى حين أن نعيده حتى لا ينسى الناس ذلك • والناس ينسون ذلك من شدة التعب ونفاد الصبر • ولان الناس يتعجلون تحقيق آمالهم • وليس هذا ممكنا دائما • فلا تزال المسافة بين ما نريد وما نستطيع طويلة وعريضة وعميقة • ولكن الموقف لا يبعث على اليأس • ولابد أن

فتفاءل وتفاؤلنا هذه المرة له أساس • وهذا الاســاس هو الواقع الذى تغير • وهذا الواقع قد تغير بنا • ولكن ماالذى تغير؟ لقد تغيرت الارض التى يقف عليها المقاتل المصرى • وتغيرت «وقفة» المقاتل •• وأصابعه ونظــرته ودقات قلبه ولهفته وتطلعه الى الســماء والى الارض • وعلى هذا الاساس الجديد تغيرت نظرة الساسة والقادة عندنا وعند عدونا •

ومن ستين عاما تماما كتب الزعيم الصــهيونى حاييم وايزمان لزوجته يقول لها : هذا هو الوضع ولا أفكر كثيرا ان هذا الوضع يرضى العرب أو لا يرضيهم فليس أمامهم الا أن يختاروا هذا أو يتركوه •

ووايزمان هذا رجل أرعن متغطرس ولا أحد يتفــوق عليه فى هذه الحماقة الا السيدة جولدا مائير وحارســها موشى ديان •• وقد رفضت جولدا مائير مجرد النظر الى القضية الفلسطينية أو الى فلســـطين •• وأن اللاجئين لا يشغلون بالها بأى معنى من المعانى • وانما القضــية تخصهم وحدهم ان شاءوا عاشوا فى قلب اسرائيـــل مواطنين من الدرجة الثانية ، أو شاءوا تركوا البلاد الى البلاد العربية !

وقد قرأت فى كتاب صدر أخيرا للصحفى اليهودى جون كيمش الذى عمل فى مصر عشرات السنين أن الغلطة أولا وأخيرا غلطة العرب لانهم لم يفهموا ولم يتشــددوا •

يقول كيمش فى كتابه «القصة التى لم يروها أحد عن كيف فشلنا مع فلسطين وكيف فشلنا مرة أخرى مع اسرائيل» : يجب أن يلوم العرب الملك حسين ملك الحجاز وابنه الاكبر الملك فيصل فقد كان فى استطاعتهما أن يوقفا النشاط الصهيونى لو انهما ساندا العرب أو انهما اعتمدا قليلا على الانجليز بدلا من أن يحاولا الايقاع بين الانجليز والالمان وبين الانجليز والاتراك .

وأهم مافى عبارة جون كيمش أن العرب لم يتساندوا . أما وجود قوات كبرى أو أعظم ، فسوف يبقى ذلك فى كل عصر . ولكن فى وجه القوى الاكبر يجب أن يتماسك العرب . ولو فعلوا لتغير كل شىء .

والآن تتكرر الصورة مع اختلاف فى أسماء الدول الاكبر . ولكن هناك شىء هام جدا هو أن العرب اتفقوا على كل شىء . واتفقوا على ألا يتركوا ثغرة بين صفوفهم لاحد يفرق بينهم . ثم أن اسرائيل بعنادها وصلفها قد انعزلت . وامتحنت كثيرا من الدول . فكان على هذه الدول أن تختار بين اسرائيل وبين ضياع أسواقها وتعطل مصانعها وتبدد طاقتها ، وكان من الطبيعى أن تختار الشعوب كلها مكسبها ورواجها !

وأمامنا الآن فرصة عظيمة : أن يتحسن وضعنا والعالم كله وراءنا ومعنا لان مطالبنا مشروعة ــ بالذوق الطويل أو بالقوة الخاطفة !

الشجاعة أن نعيش اليوم وغدا ..

الكاتب الروسى سولوفيف له قصـــة تصف كيف كانت مدينة القدس عندما حكم الرومان على المسيح بالصلب . فى ذلك اليوم حزن الناس . وتجمعـــوا فى كل مكان . ويبكون ويلطمون خدودهم حزنا على ماأصاب المسيح .. وسار الناس وراءه فى ذهول .. فى ذلك اليوم العظيم وقف أحد أبناء القدس فوق سطح بيته . وكان يشـــكو من ألم شديد فى ضرسه . ويقول : آه .. وتنهره زوجته قائلة : يارجل يارجل .. انهم ســوف يصلبون المسيح ،. ولكن الرجل كان يتوجع من ضرســـه ويقــول : ولكن أسنانى تؤلمنى .

أما زوجته فقد انصرفت تماما الى النظر الى المسيح وهو يحمل صليبه الى حيث يرفعونه فوق الجبل ويدقون المسامير فى جسمه .. وكان زوجها يقول: شىء عجيب ، كيف يستطيع هؤلاء النـــاس أن يفتحـــوا أفواههم

ويصرخون •• كيف اننى لا أستطيع أن أفتح فمى ـ انتهت القصة !

وهذا لم يحدث فقط منذ عشرين قرنا •• ولكنه يحدث كل يوم • فهناك هموم كبرى تجتاح الناس • وفى نفس الوقت هناك هموم صغرى واهتمامات حيوية تشغل الناس • فهذا الرجل الذى يشكو من أسنانه • هذه الشكوى كانت بالنسبة له أكبر من صلب المسيح •• انه هو شخصيا عاجز عن فتح فمه •• وهو مشغول بأوجاعه عن كل الاوجاع القومية أو الدينية أو الكونية •

والطبيعى أن تكون هناك هموم عامة وهموم خاصة • وأن تكون الهموم الخاصة أكثر ايلاما • صحيح أن للناس رؤوسا وقلوبا • ولكن مطالب المعدة أكثر صراخا !

ومهما كانت الهموم كبيرة ومهما كانت قومية أو وطنية أو عالمية ، فان الناس لا ينشغلون عن نداء الجسم ، نداء الجوع ونداء الجنس • ونداء الراحة والنوم والتسلية •

والانسان الطبيعى هو الذى ليس جسما فقط ، ولا عقلا فقط • والذى ليس الا مواطنا فقط • ولكن الطبيعى هو الاب والابن والاخ والزوج ، والعامل والساكن والجائع والتعب •

ولكى يكون الناس جميعا فى حالة طبيعية أو فى حالة

سوية • يجب أن توجههم الى أن يعملوا ماهو طبيعى بصورة طبيعية •. أى أن يعملوا وأن يستريحوا •• أن يأكلوا ويشربوا ويكون عندهم وقت لهضم الطعام • أن يهتموا بالصحة الجسمية والنفسية •

ففى زمن الازمات الكبرى ، يجب أن نبذل مجهودا أكبر فى «تعويد» الناس ـ أى جعلهم عاديين •• لانه فى زمن الازمات الكبرى يكون الناس : أما عدوائيين أو هاربين •• أى يكون الناس متطرفين فى رغبتهم فى كل شىء أو رغبتهم عن أى شىء • وليس هذا بالامر السهل ، وليس علاج ذلك ممكنا لكل الناس !

فليس عجيبا أبدا أن نجد الناس فى زمن الحروب مقبلين على الحب وعلى الزواج • بل هذا هو طبيعى • لانه فى مواجهة الموت يجب أن نتمسك بالحياة • ويجب أن تستمر الحياة •• وفى زمن الاحزان الكبرى نحتاج الى التفريج الكبير عن النفس وعن الجسم •• والا كان معنى ذلك أن يعيش الناس مقهورين باختيارهم •• فاذا استشعر الناس القهر كانت قدرتهم على مواصلة الحياة أصعب •• ونحن يجب أن نواصل الحياة ، لنصبح قادرين على الفرح وعلى الحزن •• أى لنصبح قادرين على أن يكون لنا مستقبل ، وأن نكون أقدر على الاستفادة من الماضى •

انها الشجاعة على أن نعيش اليوم وغدا !

الدنيا برد يا عرب..!

لابد انه يقال فى أوروبا وأمريكا الآن أن هذا الشتاء سوف يكون أكثر برودة من شتاء الحرب العالمية الثانية . وسبب ذلك أن العرب قد استخدموا سلاح البترول لحل قضاياهم الدولية مع اسرائيل وأمريكا التى تساندها بالمال والسلاح والرجال .

ولكن بسرعة واجهت أوروبا نفس البترول بالحد من استهلاكه فى بعض أيام الاسبوع . وباطفاء الانوار . واخراج الملابس الصوفية القديمة وعرضها فى الاسواق. وبسرعة أعلنت دور الازياء انه من الطبيعى أن يكون الفستان القصير هو موضة هذا الشتاء . وأعلنت أيضا أن الملابس الداخلية هى ملابس أبناء الصحارى الجليدية، وأعلن الاطباء انه من المتوقع أن يزداد وزن الانسان فى هذا الشتاء . لان الانسان سوف يكون أقل حركة . وسيبقى طول الوقت فى البيت . لان الانسان يدخر

حركته • ومادام الانسان قد نقصت حركته ولم يتناقص طعامه ، فسيمتلىء جسده • وسوف تكون موضة الربيع القادم هى الفتاة الممتلئة •

ولكن الجانب القاتم من الصـورة هو الوجه الجـاد منها • فقد عرف العرب كيف يستخدمون سلاحا مشروعا لمواجهة وضع ظالم • وكيف أن العرب قد أشعروا العالم كله بالخجل • فالدول كلهـا تعلم أن اسرائيـل دولة معتدية • وأن أمريكا دولة غاشمة • وانها تساعد الظالم على مزيد من الظلم • وأن الامم المتحدة عاجـزة تماما أمام أمريكا • وأن العالم كله يجب أن يستشعر العـار أمام الحق المهيض والعدل الضـائع •• وأن أوروبا اذا كانت تشكو من البرد هذا الشتاء ، فقد شـكا ملايين العرب من البرد والجـوع والمـرض ربع قرن دون أن يتحرك أحد •• أليست هذه عنصرية صارخة ؟

ثم على العالم كله أن يحترم العرب لانهم يرفضـون الذل والظلم والهوان والبطش • فكيف يتقبل العـالم كله اذلال شعوبه وتجميدها من البرد من أجل اسرائيل ، ماهى اسرائيل ؟ ماالذى تساويه؟ لو كانت مظلـومة أو مقهورة أو كان معتدى عليها ، لحق للعالم كله أن يضحى من أجلها •• ولكن اسرائيل لا هى ضعيفة ولا هى مقهورة وانما هى طاغية باغية • واذا كانت هناك التزامات أمريكية

من نوع خاص بالنسبة ليهود أمريكا أو اسرائيل ، فليس هذا قانونا عاما يلزم أوروبا وآسيا .. ان أوروبا ذات الحضارة العريقة ، يجب ألا تضعف أمام رعاة البقـــر الامريكان .. وليس هــذا من الســـياسة فى شىء .. فالسياسة هى فن توجيه الشعب نحو مصالحه . وليس من مصــلحة الشعوب الأوروبية أن تكســـد مصانعها ، وأن يرد العرب بضائعها ، وأن يتشرد عمال المصـــانع وأن تظلم البيوت . وأن شيئا فى الدنيا كلها لا يســاوى هذا البوار الاقتصادى وهذا الافلاس السياسى !

أن الشــعوب الأوروبية تعــلم أن العــرب هــم سبب هذه البرودة فى الشتاء . ولكن لماذا ؟ لان العرب يدافعون عن حقوقهم . وانهم تعبوا من الكلام بالذوق . ويئسوا من الدبلوماسية . وملوا سراديب الســياسة . وأن الذين اختاروا اسرائيل هم هولندا ورومانيا وأمريكا والبرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا .. وانهم أحـــرار فى أن يتحمــلوا تبعـــة قراراتهم .. وأن تظلم بيوتهم ومصانعهم وشوارعهم . وسوف يقال دائمـــا : انهم العرب .. ولكن سيقال أيضـــا : بسبب العـــدوان الاسرائيلى !

وهذا يكفينا نشرا لقضــيتنا ، وقدرة على الدفـــاع عنهـــا !

الذى نرويه بالتواضع الشديد!

طبيعى أن يتجه الناس الى الله فى كل وقت ٠

وفى ساعات المحن والضعف يتجه الناس الى الله أكثر، ليس بعيونهم فقط ٠ وانما يطبقون عيونهم ، ويتجهون اليه بقلوبهم ٠ ولا يكتفى الناس بأن يرفعوا أيديهم الى السماء ، وانما يجعلون من الدعوات والصلوات سلالم عالية تربط بين الانسان والعناية الالهية ٠

وفى مثل هذه الساعات الاليمة ، يشعر الناس بأنهم فعلا ضعاف جدا ٠ وانهم فى حاجة الى قوة ٠ ولا قوة الا بالله ٠ ويشعرون انهم مهملون مذنبون ٠ أو مجرمون وأن الذى أصابهم ليس الا عقابا عن خطاياهم الكثيرة ٠ ولذلك يسارع الناس بأن يصلحوا عيوبهم ٠ وأن يضموا صفوفهم ، وأن يجلوا قلوبهم وأن ينصرفوا تماما عن رغبات الحياة ٠ أو عن الحياة التى يتقاتل عليها الناس ، فيدوس بعضهم بعضا يدوسون أقدامهم ، ويسحقون قلوبهم ويطيحون برؤوسهم ٠ ويتعالى من الناس شعار

واحد : أنا وبعدى الطوفان •• أنا وحدى ولا أحـــد بعـــدى !

وعندما يحاسب الناس أنفسهم على ماقدموا أو الذى نسوا أن يقدموه •• هنا فقط يشعر الناس انهم كانوا قد غفلوا عن شىء هام : أن يكونوا قريبين من الله • وانهم عندما لا يكونون كذلك ، فليس من العدل أن يطلبـوا من الله أن يكون معهم ، لانهم لم يكونوا معه !

طبيعى جدا عندما تظلم الدنيا أن تلمح نجوم السماء، وأن يبدو القمر حتى لو كان هلالا ، سراجا منيرا •

فى هذه الحالة الشفافة الوجدانية بين الناس يحتـاج الناس الى من يقول لهم كلاما مفيدا • الى من يقول لهم: ماالذى يجب أن يفعله كل انسان •• فالله لا يظلم أحدا «ولكن النـــاس أنفسهم يظلمون» •• «وماربك بظـلام للعبيـــد» •

و « التواكل » على الله ليس ايمانا • وانما «التوكل» عليه هو الايمان • والله يقول: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» • ولابد أن يكون العمل هو أن يؤدى كل انسان ماهو مطلوب منه • أو ماهو قادر عليه • وليس هــذا أمرا سهلا • ففى هذا الجو الذى يشعر فيه الانســان بأنه ضعيف وانه وحده ، تكون رغبته فى العمـل أو فى الامل فاترة جدا • ولذلك يجب أن يتدارك كل انســان

نفسه حتى لا يقع فى بحيرة «قطر الندى» التى كانت تنام على سرير من الذهب فى بحيرة من الزئبق سعيدة كسولا وكأن الدنيا من حولها تغنى لها لكى تنام ، وليكن مايكون !

وفى أيام المحن الكبرى يشعر الناس جميعا أن السماء قد اقتربت من الارض • أو أن السماء قد انطبقت على الارض •• وأن هناك قوى خفية تلعب لهم أو تلعب بهم •• وكل ذلك يدل على أن الناس قد استشعروا الضعف الشديد • وقد جردوا أنفسهم من كل ثقة بما يرون ويسمعون ويفهمون ويعملون •

وليس هذا من الايمان أيضا • لان الانسان انما يحصد مازرع • ومن يزرع الشوك لا يحصد الا الشوك، ومن يزرع الكسل لا يحصد الا الهزيمة • ومن يزرع الثقة بالنفس يحصد الصمود • ومن يزرع الصمود والصبر والتضحية يحصد النصر •• ولم ننتصر الا لاننا عملنا والا لاننا آمنا بالله ، وبأنه هو الحق وهو العدل وانه أقوى من كل قوى وأغنى من كل غنى وانه سوف يكون معنا ، مادمنا قد راعيناه فى كل قول وعمل •

واذا زرعنا النصر ورويناه بالتواضع ، فسوف نحصد النصر الكبير !

الأعداء يشهدون لك .. طبيعى!

والفضل ماشهدت به الاعداء ـ نصف بيت شعر قديم ـ و «الفضل» هو العمل المتفوق الذى قامت به ، وسوف تكمله ، قواتنا المسلحة • أما الاعداء فنحن نعرف أقلامهم وأصواتهم وأصداءهم فى كثير من الصحف والاذاعات العالمية •• وأخيرا هذا الكتاب الذى سوف يصدر بعد أسبوعين للكاتب أندريه دوتيش • الكتاب عنوانه «رؤية فى حرب الشرق الاوسط» وقد نشرت صحيفة التيمس البريطانية فصلا من هذا الكتاب • وهذا الفصل دراسة موضوعية تلمع فيها كلمات: الذكاء والبراعة وحسن التقدير والتنفيذ الرائع والحسابات الدقيقة واختيار الفرص المناسبة سياسيا وفلكيا وجغرافيا ودينيا • وكل هذه الصفات من نصيب القيادة العسكرية والسياسية هنا فى مصر وسوريا والبلاد العربية الشقيقة • ولا يخفى الكاتب اعجابه بما حدث فى ٦ أكتوبر

ولا يخفى دهشته لارتباك اسرائيل وانتظارها للمعـونة الامريكية بكل أنواعها : سلاحا وخططا وتدخلا مباشرا •

وأهم مارآه المؤلف بوضوح : انه منذ الآن لا يمـكن تجاهل ماحدث ومايمكن أن يحدث •

وأمس نشرت صحيفة «الاوبزرفر» مقالا عن «الوزن الحقيقى ليوم ٦ أكتوبر» ، والمقالة دراسة منصفة • وليس من المتوقع أن تصدر عن هذه الصحيفة بالذات • وأهم ماجاء فى المقال : أن المقاتل المصرى قد ارتفعت معنوياته بصورة مخيفة •• أو يجب أن تكون مخيفة لاسرائيل • لأن المقاتل المصرى يعتقد الآن بصورة مؤكدة انه انتصـر يوم ٦ أكتوبر • مافى ذلك شك • وانه قادر على أن يقوم بما هو أعظم من ذلك •• وأخطر من هذا كله انه يعتقـد انه لم يهزم ٥ يونيو ٦٧ • وانما كل الذى حدث انه لم يعط قط فرصة للقتال •• ولكن لاسباب لا يعرفها أو لم تعد تهمه الآن ، قد تقـرر له أن ينســحب •• وألا يحارب !

ونشرت «الموند» الفرنسية مقالا للكاتب الكبير ريمون أرون يقول عن الذى جرى بعد يوم ٦ أكتــوبر : من البديهيات العسكرية الآن أن تراجع اسرائيل وأمريـكا موقفهما بوضوح من العرب •• بعـد أن نجحــوا فى استخدام أسلحة متطورة ووضع خطط ناجحة ، وبعد أن نجحوا فى استخدام البترول •• وبعد أن نجحوا فى ضم

كلمتهم ومواجهة العالم بحائط من الصلابة والعنـــاد والرغبة الاكيدة فى الاستشهاد من أجل الحق •

ويقول أرون أيضا : والعرب يتذاكرون الآن اللحظات التى مرت فى تاريخهم كله واتحدوا ضد قوات أجنبية •• ويربطون بين موقفهم اليوم ومواقف أخــرى مماثلة • ويرون فى ذلك وحدة كفاحية انتصروا فيهـــا •• أو فى استطاعتهم آن يكرروها !

وغير ذلك مقالات كثيرة ، وغدا كتب جديدة ، تطمئنك على سلاحنا ، وعلى الذين خططوا ونفذوا واســتشهدوا وعلى استعداد لنصر جديد !

شكراً لكم لأننا في الدفء !

عبارة للعالم الكبير اينشتين يقول فيها : من البديهيات فى حياتنا هذه أننا ضيوف على هذا العالم .. ولاسباب لا نعرفها توقفنا هنا .. وفى هذه الفترة نحاول أن نجعل للرحلة والاقامة معنى .. ومن بديهيات هذه الاقامة أيضا أننا نعمل لانفسنا ولغيرنا وأن غيرنا يعمل لنفسه ولنا !

ولكن من عيوب هذه المعانى أن بعضنا يشعر بأنه بالفعل ضيف فى كل وقت وعلى كل مائدة . وأنه جالس والعالم كله يدور من حوله ومن أجله .. اذا أحد تصور هذا المعنى فلن يظل فى مكانه كثيرا . أى لن يبقى ضيفا فترة طويلة .. لان الناس ليس عندهم هذا الاستعداد لان يخدموا الآخرين دون مقابل . أى دون أن يقوم هؤلاء الآخرين بشىء .

حتى الطفل الصغير عندما يشعر أبواه أنه ضيف وأنه يعتمد عليهما فى كل تصرفاته .. لا يرضيان ألا يقوم

الطفل بشيء من الامتنان لما يلقاه من والديه .. يقـول الفيلسوف برتراند رسل : كانت عندى مربية .. ولـكن هذه المربية كانت تضيق بى .. لاننى لا أرد على خدماتها بابتسامة !

أى أن المربية التى تعمل موظفة عنده ومرغمة على خدمة هذا الطفل الصغير ، لا تجد كلمة الشكر عـلى لسانه .. رغم أن ما تقوم به واجب عليها !

وبعض الآباء يقول عن طفلة الصغير : أنه مكشر الوجه مهما فعلت له فلن تجد الا هذه المعالم الجامدة !

مع أن الاب يعلم أن هذا الطفل صغير . وأنه ليس من المعقول أن يعرف ما يدور حوله .. بل أن الاب يجب أن يعلم ابنه كيف يشكره وكيف يمتن له .. وكيف يشكر كل من قدم له شيئا !

وفى حياتنا العادية نجد أناسـا وقفوا عند مرحلـة الطفولة ينتظرون من الناس جميعا أن يكونوا آباء ، أو كالآباء ، وفى نفس الوقت لا يريدون أن يشكروا أحـدا على ما قدمه لهم .

ولكن هؤلاء الكبار لن يجدوا هذه الابوة من كل الناس وهؤلاء الكبار يتصورون أنه فى استطاعة أى انسان أن يكون ضيفا ، وأن يلقى الترحيب طول الوقت .

الصحيح هو أن يقال أننا ضيوف على ضيوف .. وأن الخدمات متبادلة .. وأن المنفعة مشتركة . وأن الامتنان

لنا ولغيرنا •• وأن الشكر هواء يشمه الجميع •

وكل شيء حولنا يجب أن نشارك فيه بالقول والعمل •
وأن الهدوء والراحة والامان الذى ننعم به جميعا قـــد
تحقق لان آخرين قد غامروا بأرواحهم وأمنهم وهدوئهم •

ولا يكفى أن نقول لغيرنا شكرا لاننا فى الدفء والامان
وأنتم فى العراء وفى الخطر •• ولكن أن نعمل مثلهم ••
فاذا عملنا جميعا كان هذا العمل هو أعظم امتنان للـــذين
سبقونا فعملوا أكثر وأخطر !

إنه الموت الذى يلخبط !

تلقيت من صديق فى أمريكا خطابا أدهشنى •• فهو يعاتبنى بشدة • وأعدت قراءة الخطاب ولم أفهم سبب العتاب • وبعثت أستوضحه •• فرد لى خطابى بسرعة فائقة •• وانزعجت عندما رأيت ماجاء فى هذا الخطاب •

ليس فى الخطاب شىء من نوع خاص •• وانما كلام وسلام •• وربما كان عيب هذا الخطاب أنه « عمومى » أى من الممكن أن أوجهه الى أى انسان فى أى مكان وبأية مناسبة •• ان هذا الخطاب يشبه الجوارب الجاهزة التى تناسب كل طول وكل عرض •• وهو لذلك لا يدل على شىء وفى نفس الوقت لا قيمة له •• ولكنه صدمة لمن يقرؤه •• لانه يتوقع منى حديثا وديا أو أخويا •• أى حديثا خاصا ، فلا يجد الا خطابا على شكل منشور دورى !

وساءلت نفسى ، ولكن ماضرورة أن أكتب هذا الخطاب ؟

لابد أن تكون الضرورة هى أن أبين له أننى مشغول وان هذا الخطاب أكبر دليل على ذلك •• وانها محاولة منى أن التفت اليه بعض الوقت • فلما حاولت كانت نظـرتى له ببعض عينى وبجانب منوجهى والافضل طبعا الا أفعل شيئا من ذلك ـ وهذا هو المعنى الذى انتهيت اليـــه أخيرا •• وعذرته واعتذرت له !

أكثر من ذلك أننى وجدت فى الخطاب كلمات بدلا من كلمات أخرى : فبدلا من كلمة الحب وجدت كلمة الحرب • مجرمة • كان يجب أن أعرف ذلك من البداية • والا أقطع هذه الاميال الطويلة لكى أركع عنـد قدميك !! وتموت الام •• وكان فىاستطاعته انقاذها • •ولكنه لا يعرف من حياتها كلها الا هذه اللحظة !

ولم أجد عذرا لصديقى الا أن أشير الى هذه القصة • على أمل أن يستنتج الباقى مع افتراض حسن النيـة •• لان أية لحظة هدوء وصفاء ليست الا قطرة من ماء عذب فى بحر مالح عاصف بالعقـــل والقلب معا ـ فهذه هى الحقيقة فى هذا الخطاب وفى تصرفات أخـرى كثيرة فى حياتنا اليومية ـ مع الاسف !

مراجع

كثيرة جدا الكتب التى يمكن الرجوع اليها ، والتى رجعت اليها . ولكنى اطلت النظر فى هذه الكتب .

1 — N. WEINSTOCK, Le Sionisme Contre Israel, Paris, 1969.

2 — Ronald SANDERS, Israel, The View From Masada, New York, 1966.

3 — M. MENUHIN, The Decadence of Judaism In Our Time Beirut, 1969.

4 — J — A. MATHEZ, Le Passé Les temps presents et La Question Juive, Vevey, 1965.

5 — Amos ELON The ISRAELS Founder and Sons, New York, 1971.

6 — BRUNO Bettelheim, The Children of the Dream, London 1969.

7 — Barnet LITVINOFF, A Peuliar People, inside the Jewish world today, London 1969.

8 — Werner KELLER, Diaspora the post-biblical History of the Jews, London 1971.

9 — Ted Berkman, SABRA, L'histoire des hommes et des femmes deriere les canons d'Israel, Paris 1969.

10 — M. PEARLMAN Ben Gurion Looks Back, London 1965.

11 — BEN GURION, Recollections, London, 1970.

12 — BEN GURION ISRAEL, Years of Challenge, London 1963.

13 — BEN GURION, Letters to Paula, London, 1968.

14 — John ALLEGRO, The Chosen People, a Study of Jewish History From the Exile until the Revolt of Bar Kochka, London 1973.

15 — John Allegro, The Sacred Mushroom and the Cross, London, 1973.

15 — I. DEUTSCHEN The Non-Jrwish Jew, New York 1968.

16 — CHAIM POTOK, The Chosen, A Novel, New York, 1967.

16 — YAEL DAYAN, Death had two Sons, London, 1967.

17 — John-Noel GARGAND Israeliennes, recit, Paris 1966.

18 — MICHAEL HEIM, The Waters of Aswan, A (Novel) London 1972.

فهـرس الكتاب

كتب أخرى

للاستاذ أنيس منصور

١ — دراسات

١ — وحدى مع الآخرين — الطبعة الثانية
٢ — عذاب كل يوم — الطبعة الثانية
٣ — طريق العذاب — الطبعة الثانية
٤ — مع الآخرين — الطبعة الثالثة
٥ — الوجودية — الطبعة الثانية
٦ — يسقط الحائط الرابع — الطبعة الرابعة
٧ — كرسى على الشمال — الطبعة الثانية
٨ — ساعات بلا عقارب — الطبعة الثالثة
٩ — قالوا — الطبعة السادسة
١٠ — وداعا أيها الملل — الطبعة الرابعة
١١ — الوان من الحب — الطبعة الثالثة
١٢ — مدرسة الحب — الطبعة الرابعة
١٣ — من نفسى — الطبعة الثانية
١٤ — شارع التنهدات .
١٥ — الخبز والقبلات — الطبعة الثالثة
١٦ — الحائط والدموع — الطبعة الرابعة

٢ ـــ قصص

٣ ـــ رحلات

٣٥ — اطيب تخياتى من موسكو — الطبعة الثانية
٣٦ — اعجب الرحلات فى التاريخ — الطبعة الثانية
٣٧ — غريب فى بلاد غريبة .

٤ — مسرحيات

٣٨ — الاحياء المجاورة .
٣٩ — حلمك .. ياشيخ علام !
٤٠ — مين قتل مين ؟
٤١ — جمعية كل واشكر !
٤٢ — كلام لك يا جارة !

٥ — مترجمات

٤٣ — الامبراطور جونز — تأليف أونيل
٤٤ — رومولوس العظيم — تأليف ديرنمات
٤٥ — هبط الملاك فى بابل — تأليف ديرنمات
— امير الاراضى البور — تأليف ماكس فريش
فوق الكهف — تأليف تنسى وليامز
٤٨ — بعد السقوط — تأليف أرثر ميللر
٤٩ — هى .. وعشاقها . (اربع مسرحيات) تأليف ديرنمات
٥٠ — الشهاب — تأليف ديرنمات
٥١ — سواد عينيها — تأليف جيردو
٥٢ — ٣ مسرحيات (لديرنمات — آرثر ميللر — جيرودور)

مطابع مؤســـة روز اليوسف

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٤/٢٨١٨